

Osmania University Library

Call No. ٨٩٢٤٤٥

Accession No. A-15290

Author

١ - ج ١

١٥٢٩٠

ابن حيان النخعي

Title

١٩١٢

الامتناع والموانع كتاب

This book is held in reference only and is not to be loaned out.

بجته التأليف والترجمة والنشر

كتاب

الامتثال للموانسة

تأليف

أنس حيان التوحيدى

وهو مجموع مسائل في منطق شتى
مترجمة عن العربية إلى العربية

الجزء الثانى

مترجمة ووضيعة وشرح غريبه

أحمد أمين و أحمد الزين

المطبعة

مطبعة الأستاذ الفاضل والترجمة والنشر

تنبيهات

(١) يلاحظ أن حجم هذا الجزء يخالف بعض الخالفة حجم الجزء الأول ، وقد اضطررنا إلى ذلك ندرة الورق فضلنا خروج الكتاب مع هذا الاختلاف على إرجائه إلى أن يتفق الجزآن في الحجم .

(٢) لم ننشر فهرس الموضوعات في هذا الجزء وسابقه اعتماداً على أننا سننشر فهرساً عاماً للموضوعات كلها في آخر الكتاب .

(٣) كان اعتمادنا في الطبع على النسخة الكاملة الوحيدة المشار إليها في الحواشي بحرف ١ وهناك قطع قليلة غير مرتبة الصفحات ولا كاملة الأجزاء ، تبلغ خمس الكتاب تقريباً ، ومن ثم جعلناها نسخة إضافية ، وقد نجد فيها بعض الزيادات فنضمه بين مربعين من غير تنبيه عليه . فليلاحظ ذلك .

أحمد أمين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) أيها الشيخ — أطالَ اللهُ يَدَكَ في الخيرات ، وزادَ في هِمَّتِكَ رَغْبَةً في أصطناعِ المَكْرَمات ، وأجراكَ على أحسن العادات في تقديم طُلابِ العِلْمِ وأهلِ البُيوتات — قد فرغتُ في الجزء الأول على ما رَسَمْتَ في القيامِ به ، وشرَفْتُ بالخوض فيه ، وسرَدْتُ في حواشيه أعيانَ الأحاديث التي خَدَمْتُ بها مجلسَ الوزير ، ولم آلُ جُهْدًا في روايتها وتقويمها ^(١) ولم ^(٢) أحتجْ إلى تَعْمِيةِ شيء منها ، بل زَبَرْتُ كثيرًا منها بناصِعِ اللفظ ، مع شرحِ الفايضِ وصلةِ المَحذوفِ وإتمامِ المنقوص ، وسَحَلْتُه إليك على يدِ (فاتقِ) الغلام ، وأنا حريصٌ على أن أتُبِعَهُ بالجزءِ الثاني ، وهو يَعلِى إليك في الأسبوع إن شاء الله تعالى .

(٢) وأنا أسألكَ ثانيةً على طريق التوكيد ، كما سألتك أولاً على طريق الاقتراح ، أن تكون هذه الرسالةُ مَنصُونَةً عن غيورِ الحاسدينِ القَتايين ، بعيدَةً عن تناولِ أيديِ المفسدينِ المنابسين ؛ فليس كلُّ قائلٍ يَسْلَمُ ، ولا كلُّ سامعٍ يُنصِفُ ، ولا كلُّ مُتَوَسِّطٍ يُفْلِحُ ، ولا كلُّ قادمٍ يُفَسِّحُ له في المجلس عندَ القدوم .

والبَلِيَّةُ مضاعفةٌ من جهةِ الثُّغَرَاءِ في الصناعة ، وللحسدِ ثَوْرَانٌ في نفوسِ هذه الجماعة ؛ وقَلَّ من يَجْهَدُ جُهْدَهُ في التقربِ إلى رئيسٍ أو وزيرٍ ، إلا جَدَّ في إبعاده من مَرَامِهِ كلُّ صغيرٍ وكبيرٍ ؛ وهذا لأنَّ الزمانَ قد استحالَ عن المعهودِ ،

(١) هذه الكلمة مطبوعة في (١) .

(٢) في (١) ولو لم أحتج ، وقوله : « لو » زيادة من الناسخ .

وجفا عن القيام بوظائف الديانات وعادات أهل الروءاء ؛ لأمورٍ شَرَحَهَا يَطُولُ ؛
وقد كان الناس يتقبلون في بسيط^(١) الشمس ؛ (أعنى الذين) فَرُبَّتْ عَنْهُمْ ،
فعاشوا بنور القمر ، (أعنى الروءاء) فَأَقْلَ دُونَهُمْ ، فَبَقُوا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ،
(أعنى الجهل وقلة الحياء) فَلَا جَرَمَ أَغْضَلَ الدَّاءَ ، وَأَشْكَلَ الدَّوَاءَ ، وَغَلَبَتْ
الْحَيْرَةُ ، وَفُقِدَ الْمُرْشِدُ ، وَقَلَّ الْمُسْتَرْشِدُ ؛ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .
وَأَزْجِعُ إِلَى مَا هُوَ الْغَرَضُ مِنْ نَسْخِ مَا تَقَدَّمَ فِي الْجُزْءِ الْأَوَّلِ .

الليلة السابعة عشرة

(١) فلما عُذْتُ إِلَى الْجُلُوسِ قَالَ : مَا تَحْفَظُ فِي تَفْعَالٍ وَتِفْعَالٍ . قَدْ اشْتَبَهَا ؟ وَفَزَعْتُ
إِلَى ابْنِ عُبَيْدِ الْكَاتِبِ فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مَقْنَعٌ ، وَأَقْبَيْتُ عَلَى مَسْكُونِهِ فَلَمْ يَكُنْ لَهُ
فِيهَا مَطْلَعٌ ؛ وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى دُورِ الْأَدَبِ وَبَوَارِ الْعِلْمِ وَالْإِعْرَاضِ عَنِ الْكَذْحِ
فِي طَلْبِهِ . فَقُلْتُ :

قال شيخنا أبو سعيد الشيرازي الإمام — نَفَرَ اللَّهُ وَجْهَهُ — : الْمَعَادِرُ
كُلُّهَا عَلَى تَفْعَالٍ يَفْتَحُ التَّاءَ ، وَإِنَّمَا تَجِيءُ تِفْعَالٌ فِي الْأَسْمَاءِ ، وَلَيْسَ بِالْكَثِيرِ .
قال : وَذَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ اللُّغَةِ مِنْهَا سِتَّةَ عَشَرَ اسْمًا لَا يَوْجَدُ غَيْرُهَا . قال : هَاتِيهَا .
قلت : مِنْهَا التَّبَيُّانُ وَالتَّلَقُّاءُ ، وَمَرَّةٌ يَهْوَى مِنَ اللَّيْلِ ؛ وَتَبْرَاكُ^(٢) ، وَتَعْشَارُ^(٣)
وَتَرْبَاعٌ ، وَهِيَ مَوَاضِعٌ ؛ وَتَسَاحُ لِلدَّابَّةِ الْمَعْرُوفَةِ ؛ وَالتَّسَاحُ الرَّجُلُ الْكَذَّابُ أَيْضًا .

(١) كذا ورد هذا اللفظ في كلا الأصلين ولعل المراد ببسيط الشمس ضوءها المنبسط .

(٢) في كلتا النسختين « وتنزال » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا نقلًا عن ياقوت .

وتبراك : ماء لبني العنبر وقيل موضع بمخاء تعشار .

(٣) في كلتا النسختين « وتمشاء » ؛ وهو تحريف ؛ والتصويب عن ياقوت . وتمشار

موضع بالدهناء .

وتجفاف وتمثال وتبراد^(١) بيت الحمام ، وتلفاق ، وهو ثوبان يُلَفَقان . وتِلْقَام : سريعُ اللَّقْم .

ويقال : أنت الناقَةُ على تَضْرَابِها ، أى على الوقت الذى صَرَبَها الفَحْلُ فيه ، وتَضْرَاب كثيرُ الضَّرْب [وتَقْصَار]^(٢) ، وهى المِخْنَقَةُ ؛ وتَنْبَال ، وهو القصير .

قال : هذا حَسَنٌ ، فما تقولُ فى تذْكار ؟ فإنَّ الخوض فى هذا المَثالِ إنما كان من أَجْلِ هذا الحَرْف ، فإنَّ أصحابنا كانوا فى مجلس الشَّرَاب ، فأَخْتَلَفُوا فيه ؟ فقلتُ : هذا مُعْتَذَرٌ ، وهو مفتوح .

ثم قال : اِجْمَعْ لى خروفاً نظائرَ لهذا من اللغة ، واشْرَحْ^(٣) ما نَدَرَ منها ، وعَرِّضْ الشُّكَّ لكثير من الناس فيها .

قلتُ : السمع والطاعة مع الشَّرَفِ بِالْخِدْمَةِ .

وقال أيضاً : حدثنى عن شىء هو أَمُّمٌ من هذا لى وأَخْطَرُ على بالى ، إني لا أزال أَسْمَعُ من زَيْدِ بْنِ رِفَاعَةَ قولاً ومذهباً لا عهد لى [به]^(٤) وكنايةً عما لا أَحَقُّهُ ، وإشارةً إلى ما لا يتوضَّحُ شىءٌ منه ، يذكرُ الحروف ويذكرُ النُّقْط ، ويرزَعُمُ أن الباء لم تُنْقَطْ من تحت واحدةٍ إلا بسبب ، والتاء لم تُنْقَطْ من فوق أُفْتِنِينَ إِلَّا لَعْلَةً ، والألف لم تُمرَّ إِلَّا لِفَرَض . وأشباه هذا ؛ وأشهدُ^(٥) منه فى عَرَضِ ذلك دَعْوَى يتعاطَمُ بها ويتَفَنَّجُ^(٦) بِذِكْرِها ؛ فما حديثه ؟ وما شأنه ؟

(١) فى كتب اللغة أن التمراد هو بيت صغير فى بيت الحمام لميضه .

(٢) لم ترد هذه الكلمة فى كلتا النسخين ، وقد أثبتناها عن كتب اللغة .

(٣) فى « ب » : « وتوخ » .

(٤) لم ترد هذه الكلمة فى (١) .

(٥) « وأشهر » فى كلتا النسخين .

(٦) يتفنج : يفتخر بما ليس فيه . وفى كلتا النسخين « يتفنج » .

وما دُخِلَتْهُ ؟ وما خَبِرُهُ ؟ قد بلغني أنك تغشاه وتجلس إليه ، وتكثرُ عنده ، وتورِّقُ له ، ولك معه نوادرٌ مضحكة ، ونوادرٌ معجبة . ومن طالت عِشْرَتُهُ لإنسانٍ صدقتْ خِبرَتُهُ به ، وأنكشَفَ أمرُهُ له ، وأمكنَ إطلاعه على مستكنٍ رأيهِ وخافِ مَذْهَبِهِ وعويصِ طريقته .

قلتُ : أيُّها الوزير ، هو الذي تعرِّفه قَبْلِي قديمًا وحديثًا بالتربية والاختبار والاستخدام ، وله منك الأُخُوَّةُ ^(١) القديمة والنسبة المعروفة .

قال : دَعِ هذا وصفهُ لِي . قلتُ : هناك ذِكرُ غالب ، وذِهنٌ وثَّادٌ ، وبِقَطةٌ حاضرة ، وستوانخٌ متناصرة ^(٢) ، ومتَّسعٌ في فنونِ النَّظْمِ والنثر ، مع الكتابة البارة في الحساب والبلاغة ، وحفظُ أيامِ الناس ، وسماعُ لمعالات ، وتبصُّرٌ في الآراء ، والدِّيانات ، وتصرفٌ في كلِّ فنٍّ : إمَّا بالشدو ^(٣) الموهوم ، وإمَّا بالتَّبَقُّرِ المفهم ، وإمَّا بالتَّنَاهِي الفحيم . فقال : فعَلَى هذا ما مذهبُهُ ؟ قلتُ : لا ينسب إلى شيء ، ولا يُعرَفُ برَهْطٍ . لجيشانه بكلِّ شيء ، وغلبانيه ^(٤) في كلِّ باب . ولأختلاف ما يبدو من بَطْطَةِ تَبْيَانِهِ . وسطوته بلسانه ^(٥) . وقد أقام بالبصرة زمانًا طويلاً ، وصادفَ بها جماعةَ جامعةٍ لأصنافِ العِلْمِ وأنواعِ الصَّنَاعَةِ ؛ منهم أبو سليمان محمد بنُ معشر البَيْسَتِيِّ ^(٦) ، ويُعرَفُ بالمُعَدِّسِيِّ . وأبو الحسن علي بن

(١) في « ب » الأصرة . والأصرة ما عطفك على إنسان من ود أو رحم أو نحوهما .

(٢) متناصرة ، أي يتصر بعضها بعضا .

(٣) بالشدو ، أي أخذ النظم وتلقيه .

(٤) في كلتا النسخين « وعبائه » .

(٥) في (أ) « بلسطانه » .

(٦) في كلتا النسخين « ابن معر البستي » ، وهو تحريف والبستي نسبة إلى بستي

من قرى الري .

هارون الزنجاني^(١)، وأبو أحمد المهرجاني^(٢) والعوفى وغيرهم، فصحبهم وخدمهم؛ وكانت هذه العصابة قد تآلفت^(٣) بالعشرة، وتصافت بالصداقة، واجتمعت على القدس والطهارة والنصيحة، فوضعوا بينهم مذهباً زعموا أنهم قرَّبوا به [الطريق] إلى الفوز برضوان الله والمصير^(٤) إلى جنَّته، وذلك أنهم قالوا: الشريعة قد دُنِّست بالجهالات، واختلطت بالضلالات؛ ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة، [وذلك] لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية، والمصلحة الاجتهادية.

وزعموا أنه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال؛ وصنفوا خمسين رسالة في جميع أجزاء الفلسفة: علميها وعمليها، وأفردوا لها فهرستاً وسموها رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، وكتبوا أسماءهم، وبثوها في الوراقين، ولقنوها للناس، وأدعوا أنهم ما فعلوا ذلك إلا ابتغاء وجه الله عز وجل، وطلب رضوانه ليخلصوا الناس من الآراء الفاسدة التي تضر النفوس، والعقائد الخبيثة التي تضر أصحابها، والأفعال المذمومة التي يشقى بها أهلها؛ وحشوا هذه الرسائل بالكلم الدينيَّة والأمثال الشرعيَّة والحروف^(٥) المحتملة والطُرُق الموهمة.

فقال: هل رأيت هذه الرسائل؟ قلت: قد رأيتُ جملةً منها، وهي مثبوتة من كلِّ فنٍّ نثفاً بلا إشباع ولا كفاية، وفيها خرافات وكنائيات وتلفيقات

(١) في (١) اترجاني .

(٢) المهرجاني: نسبة إلى مهرجان من قرى أسفرايين أو مهرجان ففق، وهو كورة، وفي كلتا النسخين « المهرجوني » .

(٣) في (١): « بالفت » .

(٤) كذا في « ب »، والذي في (١) « والفوز » مكان قوله: « والمصير » وهو خطأ من الناسخ .

(٥) الحروف: الكلمات .

وتلزيقات ؛ وقد غرّق الصوابُ فيها لظلمة الخطأ عليها ؛

(٣)

وحلتُ عدّةً منها إلى شيخنا أبي سليمان المنطقي السجستاني (محمد بن بهرام)^(١) وعرضتها عليه ونظر فيها أياما واختبرها طويلا ؛ ثم ردّها عليّ وقال :
تعبوا وما أغنوا ، ونصبوا وما أجدوا ، وحاموا وما وردوا ، وغنوا وما أطربوا ،
ونسجوا فلهلكوا ، ومشطوا فقلقلوا^(٢) ؛ ظنّوا ما لا يكون ولا يمكن ولا
يُستطاع ؛ ظنّوا أنهم يمكنهم أن يدسوا الفلسفة — التي هي علمُ النجوم والأفلاك
والمجسطي والمقادير وآثار الطبيعة ، والموسيقى التي هي معرفة النغم والإيقاعات
والنقرات والأوزان ، والمنطق الذي هو اعتبار الأقوال بالإضافات والكميات
والكيفيات — في الشريعة ، وأن يضمّوا^(٣) الشريعة للفلسفة .

وهذا مرأى دونه حدّد^(٤) ؛ وقد توفّر على هذا قبيل هؤلاء قوم كانوا أحدّ
أثيابا ، وأحضر أسبابا ، وأعظم أقدارا ، وأرفع أخطارا ، وأوسع قوى ، وأوثق
عمرًا ، فلم يتمّ لهم ما أرادوه ، ولا بلغوا منه ما أمّلوه ؛ وحصلوا على لوناتٍ قبيحة ،
ولطحاتٍ فائحة ، وألقابٍ موحشة ، وعواقبٍ مخزية ، وأوزارٍ مُثقلة .

فقال له البخاريّ أبو العباس : ولم ذلك أيها الشيخ ؟

قال : إنّ الشريعة مأخوذة عن الله — عز وجل — بسلطة السّفير بينه وبين
الخلق من طريق الوحي ، وباب المناجاة ، وشهادة الآيات ، وظهور المعجزات ،
على ما يوجبُه العقل تارة ، ويتجوّزه تارة ، لمصالح عامّة متقنة ، ومراشد تامّة

(١) في كلنا النسخين : « ابن إبراهيم » .

(٢) في (أ) : « تفلّوا » وفي (ب) : « فقلّوا » ؛ وهو تصحيف . وفلّوا ، أى جعلوا
الشعر شديد الجودة . يقال : شعر مفلل ، إذا كان كذلك .

(٣) في (ب) : « يطبقوا » .

(٤) دونه حدّد ، أى دفع ومنع .

مُبيَّنة ؛ وفي أثنائها ما لا سبيلَ إلى البحثِ عنه ، والقَوْصِ فيه ؛ ولا بدَّ من التسليمِ للداعي إليه ، والمنبِّه عليه ؛ وهناك يَسْقُطُ (لَمْ) وَيَبْطُلُ (كَيْفَ) ، وَيَزُولُ (هَلَّا) ويذهبُ (لَوْ) و(لَيْتَ) في الرَّجْح ، لأنَّ هذه الموادَّ عنها محسومة ، وأعتراضات المعترضين عليها مردودة ، وأرتياب المرتابين فيها ضارٌّ ، وسكون الساكنين إليها نافع ؛ ومُجْلَتْها مُشْتَمِلَةٌ على الخير ، وتفصيلها موصولٌ بها على حُسْنِ التَّعْبُلِ ، وهي متداوِلة بين متعلِّق بظاهرٍ مكشوف ، ومُخْتَجِّج بتأويلٍ معروف ؛ وناصرٍ باللغة الشائعة ، وحامٍ بالجدلِ المُبين ، وذابٍ بالعمل الصالح ، وضاربٍ للثل السائر ، وراجعٍ إلى البرهان الواضح ، ومتفقٍّ في الحلال والحرام ، ومُسْتَنِدٍّ إلى الأثر والخبرِ المشهورين بين أهلِ المِلَّةِ ، وراجعٍ إلى اتفاقِ الأُمَّةِ .

وأساسُها على الوَرَعِ والتَّقْوَى ، ومُنْتَهَاها إلى العبادةِ وطلبِ الرُّتْبَى .

ليس فيها حديثُ المنجِّمِ في تأثيراتِ الكواكب وحركاتِ الأفلاكِ ومقاديرِ الأجرامِ ومطالعِ الطَّوَالعِ ومغاربِ الغواربِ .

ولا حديثُ تشاؤمِها وتياؤمِها ، وهبوطِها وصُعودِها ، ونَحْسِها وسُعدِها ، وظُهورِها واستِئْرارِها ، ورُجوعِها واستقامتِها ، وتربيعِها وثلاثيَّها ، وتسديسِها ومُقارَنتِها .

ولا حديثُ صاحبِ الطبيعةِ الناظِرِ في آثارِها ، وأشكالِ الأسْطَقُوسَاتِ ، بثبوتِها وافتراقِها ، وتصريفِها في الأقاليمِ والمعادنِ والأبدانِ ، وما يتعلقُ بالحرارةِ والبرودةِ والرطوبةِ واليُبوسة ؛ وما الفاعلُ وما المُنْفَعِلُ منها ؛ وكيف تَمَازُجُها وتَزَاوُجُها ، وكيف تَنَافَرُها وتَسَايَرُها ؛ وإلى أين تَسْرِي قُوَاهَا ، وعلى أي شَيْءٍ يَقِفُ مُنْتَهَاها .

ولا فيها حديثُ المهندسِ الباحثِ عن مقاديرِ الأشياءِ وَتَقْطِعِها وَخُطُوطِها وَسُطُوحِها وَأَجْسَامِها وَأَصْلَاعِها وزواياها ومقاطعِها ، وما السُّكْرَةُ ؟ وما الدَّائِرَةُ ؟ وما المُسْتَقِيمُ ؟ وما المُنْحَنَى ؟

ولا فيها حديثُ المنطقيِّ الباحثِ عن مراتب الأقوال ، ومتناسِبِ الأسماء والحروف والأفعال ؛ وكيف أرتباطُ بعضها ببعض على موضوع رجل من يونان حتى يصحَّ بزعمه الصدق ، ويُنبَذَ الكذب .

وصاحبُ المنطق يرى أنَّ الطيبَ والمنجمَ والمهندسَ وكل من فاء بلفظٍ وأمَّ غرضاً قراء إليه ، محتاجون إلى ما في يديه .

قال : فعلى هذا كيف يسوِّغ لإخوان الصفاء أن ينصبوا من تلقاء أنفسهم دعوةً تجمع حقائقَ الفلسفة في طريق الشريعة ؟

على أن وراء هذه الطوائف جماعة أيضاً لم تأخذ من هذه الأغراض ، كصاحب الغزمية وصاحب الطلسم وعابر الرؤيا ومدعى السحر وصاحب الكيمياء ومستعمل الوهم . قال : ولو كانت هذه جائزةً وممكنةً لكان الله تعالى نبيه عليها ، وكان صاحبُ الشريعة يُقوِّم شريعته بها ، ويكتملها باستعمالها ، ويتلافى نقصها بهذه الزيادة التي يجدها في غيرها ، أو يحضّر المتفلسفين على إيضاحها [بها] ويتقدم إليهم بإتمامها ، ويفرض عليهم القيام بكل ما يُدبِّ به عنها حسب طاقاتهم فيها ، ولم يفعل ذلك بنفسه ، ولا وُكِّله إلى غيره من خلفائه والقائمين بدينه ؛ بل نهى عن الخوض في هذه الأشياء ، وكرهه إلى الناس ذكرها ، وتوعدّم عليها ، وقال : من أتى عرافاً أو طارقاً ^(١) أو حازياً ^(٢) أو كاهناً أو منجماً يطلب غيب الله منه فقد حارب الله ، ومن حارب الله حُرب ، ومن غلبه غلب ، حتى قال :

« لو أنَّ الله حبَسَ عن الناس القطرَ سبعَ سنينَ ثم أرسله لأصبحت طائفةً به كافرين » .

(١) الطارق : الذي يطرق الحصى مستخبراً لماه عن الغيب .

(٢) الحازي : الذي ينظر في الأعضاء وفي خيالات الوجه يتكهن . ومنه قولهم : على الحازي وقت ، أى على الحير ؛ والحازي أيضاً : الذي يزجر الطير .

ويقولون : مُطَرْنَا بِنَوْءِ الْمَجْدَح ، فهذا كما ترى ، والمَجْدَحُ : الدَّبرَان .
ثم قال : ولقد اختلفت الأئمةُ ضروباً من الأختلاف في الأصول والفروع ،
وتنازَعوا فيها فتوناً من التنازع في الواضح والمُشْكَل من الأحكام ، والحلال
والحرام ، والتفسير والتأويل ، والعِيَان والخبر ، والعادة والأَصْطِلَاح ؛ فافزعوا
في شيء من ذلك إلى منجَمٍ ولا طيبٍ ولا منطِقٍ ولا مُهَنْدِسٍ ولا مُوسِيقٍ
ولا صاحب عَزِيمَةٍ وشَقِيقَةٍ وسِحْرِ وكِيمِيَا ، لأن الله تعالى تَمَّ الدين بنبيه
صَلَّى الله عليه وسلم ، ولم يُخَوِّجْهُ بعد البيان الوارد بِالْوَحْيِ إلى بيانٍ
موضوع بالرأى .

قال : وكألم نجد في هذه الأئمة من يَفْزَعُ إلى أصحاب الفلسفة في شيء من
دينها ، فكذلك أئمة عيسى عليه السلام وهي النصارى ، وكذلك المجوس .
قال : ومما يَزِيدُكَ وُضُوحاً وَيُرِيكَ عَجَباً أَنَّ الأئمة اختلفت في آرائها
ومذاهبها ومقالاتها فصارت أصنافاً فيها وفِرَقاً ؛ كالتُرْجُمَةُ والمعتزلة والشَّيعَةُ
والشَّنْتِيَّة والخوارج ، فافزعت طائفة من هذه الطوائف إلى الفلاسفة ، ولا
حَقَّقَتْ مَقَالَاتِهَا بِشَوَاهِدِهِمْ وشهادتهم ، ولا اُسْتَفْتَلَتْ بِطَرِيقَتِهِمْ ، ولا وَجَدَتْ عِنْدَهُمْ
مَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَهَا بِكِتَابِ رَبِّهَا وَأَثَرِ نَبِيِّهَا .

وهكذا الفقهاء الذين اختلفوا في الأحكام من الحلال والحرام منذ أيام
الصِّدْرِ الأوَّل إلى يومنا هذا لم نَجِدْهُمْ تَظَاهَرُوا بِالْفَلَّاسِفَةِ فَأَسْتَنْصَرُوهُمْ ، ولا قالوا
لهم : أَعِينُونَا بِمَا عِنْدَكُمْ ؛ واشهدوا لنا أو علينا بِمَا قَبْلَكُمْ .

قال : فَأَيْنَ الدِّينُ مِنَ الفِلسَفَةِ ؟ وَأَيْنَ الشَّيْءُ الْمَأْخُوذُ بِالْوَحْيِ النَّازِل ، من
الشَّيْءِ الْمَأْخُوذِ بِالرَّأْيِ الزَّائِل ؟

فَإِذَا أَدْلَوْا بِالْعَقْلِ فَالْعَقْلُ مَوْهِبَةٌ مِنْ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ لِكُلِّ عَبْدٍ ، وَلَكِنْ يَقْدِرُ

ما يُدرك به ما يملوه ، كما لا يُخفى به عليه ما يتلوه ، وليس كذلك الوحي ، فإنه على نوره المنتشر ، وبيانِه المبسّر .

قال : وبالمجمل ، النبي فوق الفيلسوف ، والفيلسوف دون النبي ؛ وعلى الفيلسوف أن يتبع النبي ، وليس على النبي أن يتبع الفيلسوف ، لأن النبي مبعوث ، والفيلسوف مبعوث إليه .

قال : ولو كان العقل يُكتفى به لم يكن للوحي فائدة ولا غناء ، على أن منازل الناس متفاوتة في العقل ، وأنصباؤهم مختلفة فيه ؛ فلو كنا نستغنى عن الوحي بالعقل كيف كنا نصنع ، وليس العقل بأشرف لواحد منا ، وإنما هو لجميع الناس ، فإن قال قائل بالعبث والجهل : كل عاقل موكول إلى قدر عقله ، وليس عليه أن يستفيد الزيادة من غيره ، لأنه مكنتي به ، وغير مطالب بما زاد عليه .

قيل له : كفالك تماديا في هذا الرأي أنه ليس لك فيه موافق ، ولا عليه مطابق ؛ ولو أستقل إنسان واحد بعقله في جميع حالاته في دينه ودينياه لاستقل أيضاً بقوته في جميع حاجاته في دينه ودينياه ، ولكان وحده يفي بجميع الصناعات والمعارف ، وكان لا يحتاج إلى أحد من نوعه وجنسِه ؛ وهذا قول مرذول ورأى تحذول .

قال البخاري : وقد اختلفت أيضاً درجات النبوة بالوحي ، وإذا ساغ هذا الاختلاف في الوحي ولم يكن ذلك ثلماً له ، ساغ أيضاً في العقل ولم يكن مؤثراً فيه .

قال : يا لهذا ، اختلاف درجات أصحاب الوحي لم يُخرجهم عن الثقة والطمأنينة بمن أصطفاهم بالوحي ، وخصهم بالمناجاة ، وأجتابهم للرسالة ، وأكملهم بما ألبسهم من شِعار النبوة ؛ وهذه الثقة والطمأنينة مفقودتان في الناظرين بالقول المختلفة ،

لأنهم على بُعدٍ من الثقة والطمأنينة إلّا في الشيء القليل والنزير اليسير؛ وعوارِ
هذا الكلام ظاهر، وحطّل هذا التكلم بين .

قال الوزير: أفا سمع شيئاً من هذا المقدسي؟ قلت: بلى قد ألقيتُ إليه هذا
وما أشبهه بالزيادة والنقصان، والتقديم والتأخير، في أوقات كثيرة بحضرة حمزة
الوراق في الوراقين، فسكت، وما رآني أهلاً للجواب؛ لكن الحريري غلام ابن (٤)
طرارة هيّجه يوماً في الوراقين بمثل هذا الكلام، فاندفع فقال: الشريعة طبُّ
المرضى، والفلسفة طبُّ الأصحاء، والأنبياء يطبّون للمرضى حتى لا يزايد مرضهم،
وحتى يزول المرض بالعافية فقط. فأما الفلاسفة فإنهم يحفظون الصحة على
أصحابها حتى لا يفترهم مرض أصلاً، فبين مدبرِ المريض ومدبرِ الصحيح
فرق ظاهر وأمر مكشوف، لأن غاية مدبرِ المريض أن ينتقل به إلى الصحة،
هذا إذا كان الدواء ناجماً، والطبُّ قابلاً، والطبيب ناصحاً. وغاية مدبرِ الصحيح
أن يحفظ الصحة، وإذا حفظ الصحة قد أفادته كسب الفضائل، وفرغها لها،
وعرضه لاقتنائها؛ وصاحب هذه الحال فائز بالسعادة العظمى، ومتبوء
الدرجة العليا؛ وقد صار مستحقاً للحياة الإلهية؛ والحياة الإلهية من الخلود
والديمومة والسرمدية.

فإن كسب من يبرأ من المرض بطبِّ صاحبه الفضائل أيضاً؛ فليست (١)
تلك الفضائل من جنس هذه الفضائل، لأن إحداها تقليدية، والأخرى برهانية؛
وهذه مظنونة، وهذه مستيقنة (٢)، وهذه روحانية، وهذه جسمية، وهذه دهرية،
وهذه زمانية.

(١) في ب « قلت »؛ وهو تحريف.

(٢) في ب « مستقنة »؛ وهو تحريف.

وقال أيضاً : إنما جَمَعْنَا بين الفلسفة والشرِعة لأن الفلسفة مَقَرَّةٌ بالشرِعة ، وإن كانت الشرِعةُ جاحدةً لها ؛ وإنما جَمَعْنَا أيضاً بينهما لأن الشرِعةَ عامة ، والفلسفةَ خاصّة ، والعامةُ قِوامُها بالخاصّة ، كما أن الخاصّةَ تمامُها بالعامة ؛ وهما متطابقتان إحداهما على الأخرى ، لأنها كالظَّهارة التى لا بدَّ لها من البِطانة ، والبطانة اتى لا بدَّ لها من الظَّهارة .

فقال له الحريرى : أما قَوْلُكَ طِبُّ المَرْضَى وطِبُّ الأَسْفَهِّ وما نَسَقْتَ عليه كلامَكَ فَمَثَلٌ لا يعبِّرُ به غيرُك^(١) ومن كان فى مُشْكَل ، لأنَّ الطَّيِّبَ عندنا الحاذِقَ فى طِبِّهِ هو الذى يَجْمَعُ بين الأمرَيْنِ ، أعنى أَنَّهُ يُرِىُّ المَرِيضَ من مَرَضِهِ ، وَيَحْفَظُ الصَّحِيحَ على صِحَّتِهِ ؛ فأما أَنْ يَكُونَ هاهنا طَيِّبانَ يَعالِجُ أَحَدَهُما الصَّحِيحَ ، وَالْآخَرَ يَعالِجُ المَرِيضَ ، فهذا ما لم نَعْقِدْهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ ؛ وهو شَيْءٌ خَارِجٌ عَنِ العادة ، فَمَثَلُكَ مُرَدُّدٌ عَلَيْكَ ، وَتَشْنِيعُكَ فَاضِحٌ لَكَ ، وَكُلُّ أَحَدٍ يَعْلَمُ أَنَّ التَّدْبِيرَ فى حِفْظِ الصَّحَّةِ وَدَفْعِ المَرَضِ — وَإِنْ كَانَ بَيْنَهُمَا فَرْقٌ — وَاحِدٌ ، فَالطَّبُّ يَجْمَعُهُمَا ، والطَّيِّبُ الْوَاحِدُ يَقُومُ بِهِمَا وَبِشَرائِعِهِمَا .

وأما قَوْلُكَ فى الفصلِ الثَّانِى : إِنَّ إِحْدَى الْفَضِيلَتَيْنِ تَقْلِيدِيَّةٌ ، وَالْأُخْرَى بَرَهَانِيَّةٌ ، فَكَلَامٌ مَدْخُولٌ ، لِأَنَّكَ غَلَطْتَ عَلَى نَفْسِكَ ؛ أَلَا تَعْلَمُ أَنَّ الْبَرَهَانِيَّةَ هِىَ الْوَارِدَةُ بِالْوَحَى ، النَّاطِلَةُ لِلرَّشْدِ ، الدَّاعِيَةُ إِلَى الْخَيْرِ ، الْوَاعِدَةُ بِحَسَنِ الْمَأْبِ ؛ وَأَنَّ التَّقْلِيدِيَّةَ هِىَ الْمَأْخُودَةُ مِنَ الْمَقْدَمَةِ وَالنَتِيجَةِ ، وَالِدَعْوَى الَّتِى يُرْجَعُ فِيهَا إِلَى مَنْ لَيْسَ بِحُجَّةٍ ، وَإِنَّمَا هُوَ رَجُلٌ قَالَ شَيْئاً فَوَاقَفَهُ آخَرٌ وَخَالَفَهُ آخَرٌ ، فَلَا الْمَوَافِقُ لَهُ يَرْجِعُ إِلَى الْوَحَى ، وَلَا الْخَالَفُ لَهُ يَسْتَنِدُ إِلَى حَقٍّ ؛ وَالْعَجَبُ أَنَّكَ جَعَلْتَ الشَّرِيعَةَ مِنْ بَابِ الظَّنِّ ، وَهِيَ بِالْوَحَى ، وَجَعَلْتَ الْفَلَسَفَةَ مِنْ بَابِ الْيَقِينِ ، وَهِيَ مِنَ الرَّأْيِ .

وأما قولك : هذه رُوحانيّة — تعني الفلسفة — وهذه جسميّة — تعني الشريعة — فزخرفة لا تستحقّ الجواب ، ومثل هذا فليعمل المُرْخِرُونَ ؛ على أنّا لو قلنا : بل الشريعة هي الرُوحانيّة ، لأنها صَوْتُ الوحي ، والوحي من الله عزّ وجل ، والفلسفة هي الجسميّة ، لأنها برزت من جهة رجل بأعتبار الأجسام والأعراض ، وما هذا شأنه فهو بالجِسم أشبه ، وعن لُطْفِ الرُّوح أبعد [لما أبعدنا] .

وأما قولك : الفلسفة خاصّة والشريعة عامّة ، فكلام ساقط لا نُورَ عليه ، لأنك تشير به إلى أن الشريعة يعتقدها قوم — وهم العامة — والفلسفة يَنْتَحِلُها قوم — وهم الخاصة — فلمَ جَمَعْتُم رِسَائِلَ إِخْوَانِ الصِّفَاء ودعوتهم الناس إلى الشريعة وهي لا تُلْزَم إلا للعامة ، ولمَ تقولوا للناس : مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْعَامَةِ فَلْيَنْتَحِلْ بِالشَّريعة ، فقد ناقضتم ، لأنكم حَشَوْتُم مَقَالَتِكُمْ بآيَاتٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَزْعُمُونَ بِهَا أَنَّ الْفلسفة مدلولٌ عليها بالشريعة ، ثم الشريعة مدلولٌ عليها بالمعرفة ، ثم هَانَتْ تَذَكُّرُ أَنَّ هَذِهِ لِلْخَاصَّةِ ؛ وَتِلْكَ لِلْعَامَّةِ ؛ فَلِمَ جَمَعْتُم بَيْنَ مَفْرُقَيْنِ ، وَمَزَجْتُم بَيْنَ مَجْتَمِعَيْنِ ؛ هَذَا وَاللَّهُ الْجَهْلُ الْمُبِين ، وَالْخُرْقُ الْمَشِين .

وأما قولك : إِنَّا^(١) جمعنا بين الفلسفة والشريعة^(٢) لأنّ الفلسفة معترفةٌ بالشريعة ، وإن كانت الشريعة جاحِدةً للفلسفة ، فهذه مناقضةٌ أخرى^(٣) ، وإني أظنّ أَنَّ حَسَنَ كَلِيلٍ ، وَعَقْلَكَ عَلِيلٍ ، لِأَنَّكَ قَدْ أَوْضَحْتَ عُدْرَ أَصْحَابِ الشَّريعة ، إِذْ جَعَلُوا الْفلسفة ، وَذَلِكَ أَنَّ الشَّريعة لَا تَذَكُّرُهَا ، وَلَا تَحْصُرُ عَلَى الدِّيْنُونَةِ^(٤)

(١) في (١) « إذا » وهو تحريف .

(٢) ورد بعد قوله : الشريعة في (١) « وما » وهي زيادة من الناسخ لا معنى لها .

(٣) في (١) « للآخرى » وهذان اللامان زيادة من الناسخ .

(٤) « النوبة » .

بها ؛ ومع ذلك فليس لم علم بأن الفلسفة قد حَثَّتْ على قبول الشريعة ، ونهت عن مخالفتها ، وسمتها بالناموس الحافظ لصلاح العالم^(١) ثم قال الحريري : حدثني أبيها الشيخ : على أية شريعة دلت الفلسفة ؟ أعلى اليهودية ، أم على النصرانية ، أم على المجوسية ، أم على الإسلام ، أم ماعليه الصائبون ؟ فإن ها هنا من يتفلسف وهو نصراني كابن زُرعة وابن الحمار وأمثالهما ، وها هنا من يتفلسف وهو يهودي ، كأبي الخير بن يعيش ، وها هنا من يتفلسف وهو مسلم ، كأبي سليمان والنوشجاني وغيرهما ، أفتقول إن الفلسفة أباحت لكل طائفة من هذه الطوائف أن^(٢) تدين بذلك الدين الذي نشأت عليه ؟ ودع هذا ليخاطبَ غيرك ، فإنك من أهل الإسلام بالهدى والجيالة والتنشيط والوراة ؛ فما بالنا لا نرى واحدا منكم يقوم بأركان الدين ، ويتقيد بالكتاب والسنة يُراعى معالم الفريضة ووظائف النافلة ؟ وأين كان الصدر الأول من الفلسفة ؟ أعنى الصحابة ، وأين كان التابعون منها ؟ ولم خفي هذا الأمر العظيم — مع^(٣) ما فيه من الفوز والنعيم — على الجماعة الأولى والثانية والثالثة إلى يومنا هذا وفيهم الفقهاء والزهاد والعباد وأصحاب الورع والتقى ، والناظرون في الدقيق ودقيق الدقيق وكل ما عاد بخير عاجل وثواب آجل ، هيهات^(٤) لقد أسررتم الحسوفى الارتقاء^(٥) وأستقيم بلا دلو ولا رشاء ، ودلتم على فسولتكم وضعف منكم

(١) ورد في (أ) بد قوله : « العالم » قوله : « قبله » ولا معنى لها هنا .

(٢) في (أ) « لمن تدين » ؟ وهو تحريف .

(٣) في (أ) « على مع ما فيه » ؟ وقوله : « على » زيادة من الناسخ .

(٤) في (أ) « ها هنا هيهات » ؟ وقوله : « ها هنا زيادة من الناسخ .

(٥) الارتقاء : أخذ الرغوة ، وهذا مثل يضرب لمن يظهر أمراً وهو يريد خلافه ،

أو لمن يظهر طلب القليل وهو يريد الكثير ، وقد سئل النبي في رجل قبل أم امرأته فقال :

يُسِرُّ حسواً في ارتقاء ، وقد حرمت عليه امرأته .

أردتم أن تقيموا ما وَضَعَهُ اللهُ ، وتضعوا ما رَفَعَهُ اللهُ ، والله لا يُقَالِبُ ؛ بل هو غالبٌ على أمره ، فقال لما يُريد .

قد حاول هذا الكيد خَلَقَ في القديم والحديث ، فنكسوا على أعقابهم غائبين ، وكتبوا لوجوههم خاسرين ؛ منهم أبو زيد البلخي ؛ فإنه أدعى أن لفلسفة مُقاوِدة^(١) للشرعية ، والشرعيةَ مشاكلةً للفلسفة ، وأن إحداها أمُّ الأخرى ظنٌّ ، وأظهرَ مَذْهَبَ الزَيْدِيَّةِ ، وأنقادَ لأمير خراسان الذي كتب له أن مل في نشر الفلسفة بشفاعَةِ الشرعية ، ويدعو الناسَ إليها بِاللُّطْفِ والشفقة الرَّغْبَةِ ، فشَتَّ اللهُ كلمته ، وقَوَّضَ دِعَامَتَهُ ، وحال بينه وبين إرادته ، ووَكَّلَهُ لى حَوَالِهِ وقُوَّتِهِ ، فلم يَتِمَّ له من ذلك شيء .

وكذلك رامَ^(٢) أبو تمام التَّيْسَابُورِيّ ، وخدمَ الطائفةَ المعروفةَ بِالشَّيْمِيَّةِ لجأ إلى مطرّف بن محمد وزير مرداويج^(٣) الجليل ليكونَ له به قُوَّةٌ ، ويتنطقَ سافى نَفْسِهِ من هذه الجملة ، فما زادتْه إلا صِفْراً في قَدْرِهِ ، ومَهَانَةً في نَفْسِهِ ، تَوَارِيّاً في بيته ؛ وهذا بَعِيْنُهُ قَصْدُ العاصِريِّ فما زال مَطْرُوداً من صُتْعٍ إلى صُتْعٍ نَذْرُ دَمِهِ وَيُرْتَصَدُّ قَتْلُهُ ، فمَرَّةً يَتَحَصَّنُ بِغَنَاءِ ابْنِ العَمِيدِ ، ومَرَّةً يَلْجَأُ إلى ماحِبِ الجَيْشِ بَنِيْسَابُور ، ومَرَّةً يَتَقَرَّبُ إلى العائِمةِ بِكُتُبٍ يَصْنَعُهَا في نُصْرَةِ إِسْلَامٍ ، وهو على ذلك يُتَبَمُّ وَيُقَرَّفُ بِالْإِلْحَادِ ؛ وَيَقْدِمُ الْعَالَمَ وَالْكَلَامَ في مَيَّوَلَى والصُّورَةِ والزَّمَانِ وَالْمَكَانِ ، وما أشبه هذا من ضروب الهَذْيَانِ الَّتِي

(١) مُقاوِدة للشرعية ، أى مساوِقة لها ؛ يريد أنها تدير معها في قود واحد . وفي ب : مقارعة .

(٢) في (١) « أم »

(٣) في كلتا النسخين : « ابن أحر وزير مرداج » ؛ وهو تحريف .

ما أنزل الله بها كتابه ، ولا دعا إليها رسوله ، ولا أفاضت فيها أمته .

ومع ذلك يُناغى صاحب كل بدعة ؛ ويجلس إليه كل منهم ؛ ويلقي كلامه إلى كل من أدعى باطنًا للظاهر وظاهرًا للباطن .

وما عندي أن الأئمة الذين^(١) يأخذ عنهم ويقتبس منهم ، كأرسطوطاليس وسقراط وأفلاطون ، زهط الكفر ذكروا في كتبهم حديث الظاهر والباطن ، وإنما هذا من نسج القدّاحين في الإسلام ، السائرين على أنفسهم مامم فيه من التهم ؛ وهذا بعينه دبره الهجريّون^(٢) بالأسس ، وبهذا دندن^(٣) الناجون بقروين وبثوا الدعاة في أطراف الأرض ، وبذلوا الرغائب وفتنوا^(٤) النفوس .

وقد سمعنا تأويلات هذه الطوائف لآيات القرآن في قوله عز وجل : (اِنطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ) وفي قوله تعالى : (بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهَرُهُ مِنْ قَبْلِهِ الْعَذَابُ) وفي قوله تعالى : (عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ) وفي قوله تعالى : (سَنَرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ) إلى غير ذلك مما يطول ويقول^(٥) فدعونا^(٦) من التورية والحيلة والإيهام والكناية عن شيء لا يتصل [بالإرادة ، والإرادة لشيء لا يتصل] بالتصريح ، فالتناس أنقذ لأديانهم وأخرص على الظفر ببغيتهم^(٧) من الصيارفة لدنآئيرهم ودرآهمهم .

فلما أنبهر المقدسي بما سمع وكاد يتفري إهابه من القَيْظ والعَجْز وقلة الحيلة

(١) في كلتا النسختين : « الدين » . وهو تحريف .

(٢) في كلتا النسختين « الهجون » .

(٣) يقال : دندن الذباب : إذا صوت وطن . ودندن الرجل إذا نغم ولم يفهم منه كلام .

(٤) في كلتا النسختين : « وقتلوا » .

(٥) يقول : من عال الشيء فلائ إذا ثقل عليه وغلبه وأمه .

(٦) في كلتا النسختين : « قد عنونا » ؛ وهو تحريف .

(٧) في (١) « بنصبيهم » .

قال : الناس أعداء ما جهلوا ، ونشر الحكمة في غير أهلها يورث العداوة ويطرح^(١) الشفاء ويقدح زند الفتنة .

ثم كره الحريري كره الدليل وعطف عطفه الواثق بالظفر ، قال : يا أبا سليمان ، من هذا الذي يُقرئ منكم أن عصا موسى انقلبَت حية ، وأن البحر أنقلب ، وأن يداً خرَجَت بيضاء من غير سوء ، وأن بشراً خلق من تراب ، وأن آخر ولدته أُمِّي من غير ذكر ، وأن ناراً مَوْجَّبة طُرح فيها إنسان فصارت له برداً وسلاماً ، وأن رجلاً مات مائة عام ثم بُعث فنظر إلى طعامه وشرابه على حالهما لم يتغيَّرا ، وأن قبراً تفقأ عن ميت حي ، وأن طيناً دُبِّر^(٢) مُفْنِخ فيه فطار ، وأن قرا انشق ، وأن جذعاً حن ، وأن ذنباً تكلم ، وأن ماء نبع من أصابع فروى منه جيش عظيم ، وأن جماعة شيعت من زريدة في قدر جِسم قطعة ؟

وعلى هذا ، إن كنتم تدعون إلى شريعة من الشرائع التي فيها هذه الخوارق والبدائع فاعترفوا بأن هذه كلها صحيحة ثابتة كائنة لا ريب فيها ولا مِرَّة ، من غير تأويل ولا تدليس ، ولا تعليل ولا تليس ، وأعطونا خطكم بأن الطبائع تفعل هذا كله ، والمواد تُؤاتي له ، والله تعالى يقدر عليه ؛ ودعوا التورية والحيلة والغيلة^(٣) والظاهر والباطن ، فإن الفلسفة ليست من جنس الشريعة ، ولا الشريعة من فن الفلسفة ، وبينهما يرمى الزام ويهمل المأثم ؛ على أننا ما وجدنا الديانين من المتألهين من جميع الأديان يذكرون

(١) يطرح الشفاء ، أي يلقيها في القلوب .

(٢) دبر ، أي صنع كهيئة الطير .

(٣) الغيلة : الخديعة .

أَنَّ أَهْبَابَ شَرَائِعِهِمْ قَدْ دَعَوْا إِلَى الْفَلَسَفَةِ وَأَمَرُوا بِطَلْبِهَا وَاقْتِبَاسِهَا مِنَ الْيُونَانِيِّينَ هَذَا مُوسَى وَعِيسَى وَإِبْرَاهِيمَ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى إِلَى مُحَمَّدٍ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — لَمْ نَحْوَ مَنْ يَعْزُو إِلَيْهِمْ شَيْئًا مِنْ هَذَا الْبَابِ ، وَيُتَكَلَّمُ عَلَيْهِمْ هَذَا الْحَدِيثُ .
قال الوزير : ما عجب من جميع هذا الكلام إلا من أبي سليمان في هذا الاستحقار والتغضب ، والاحتشاد والتعصب ؛ وهو رجل يُعرف بالمنطقي ، وهو من غلمان يحيى بن عدي النصراني ، ويقرأ عليه كتب يُونَانَ ، وتفسير دقائق كتبهم بناية البيان .

قلت : إنَّ أبا سُلَيْمَانَ يقول : إن الفلسفة حقٌّ لكنها ليست من الشريعة في شيء ، والشريعة حقٌّ لكنها ليست من الفلسفة في شيء ، وصاحب الشريعة مَبْعُوثٌ ، وصاحب الفلسفة مَبْعُوثٌ إليه ، وأحدهما مخصوص بالوحي ، والآخر مخصوص ببخثه ، والأول مكفَى ، والثاني كادِح ، وهذا يقول : أُمِرْتُ وَعُلِّمْتُ ، وقيل لي ، وما أقول شيئاً من تلقاء نفسي ؛ وهذا يقول : رأيتُ ونظرتُ واستحسنْتُ واستقبحْتُ ؛ وهذا يقول : نورُ العقل أهدى به ؛ وهذا يقول : معي نور خالق الخلق أمشي بضيائه ؛ وهذا يقول : قال الله تعالى ، وقال الملك ؛ وهذا يقول : قال أفلاطون وشُّطْرَاو ؛ ويُسمع من هذا ظاهر تنزيل ، وسائق تأويل ، وتحقيقُ سنة ، واتفاقُ أمة ؛ ويُسمع من الآخر الهَيُولَى والثورة والطبيعة والأسطقس والذاتى والعرضى والأينسى والأينسى ، وما شاكل هذا مما لا يُسمع من مُسلم ولا يهودى ولا نصرانى ولا مجوسى ولا مانوى .

ويقول أيضاً : من أراد أن يتفلسف فيجب عليه أن يُعرض بنظره عن الديانات ، ومن اختار التدبُّث فيجب عليه أن يُمرِّد^(١) بعنايته عن الفلسفة

ويتحلى بهما مُتَفَرِّقَيْنِ في مكانين على حالين مُخْتَلِفَيْنِ ، ويكونَ بالذَّيْنِ مُتَفَرِّقًا إلى الله تعالى ، على ما أَوْضَحَهُ له صاحبُ الشَّريعة عن الله تعالى ، ويكونَ بالحِكمة مُتَصَفِّحًا لِقُدْرَةِ الله تعالى في هذا العَالَمِ الجَامِعِ للزَّيْنَةِ البَاهِرَةِ لكلِّ عَيْنٍ ، المُحَيِّزَةِ لكلِّ عَقْلٍ ، ولا يَهْدِمُ أَحَدَهُمَا بِالْآخَرِ . أعني لا يَجْحَدُ مَا أَلْقَى إِلَيْهِ صَاحِبُ الشَّريعة مُجْمَلًا وَمُقَصَّلًا ، ولا يَفْعَلُ عَمَّا اسْتَخَزَنَ اللهُ تعالى هذا انْخِلَاقَ العَظيمِ عَلَى ما ظَهَرَ بِقُدْرَتِهِ ، وَأَشْتَمَلَ بِحِكْمَتِهِ ، وَاسْتَقَامَ بِمَشِيئَتِهِ ، وَانْتَضَمَ بِإِرَادَتِهِ وَاسْتَمَّ بِعِلْمِهِ ؛ ولا يَفْتَرِضُ عَلَى ما يَبْعُدُ في عَقْلِهِ وَرَأْيِهِ مِنَ الشَّريعة ، وَبِدَائِعِ آيَاتِ الثَّبُوتِ بِأَحْكَامِ الفِلسَفَةِ ، فَإِنَّ الفِلسَفَةَ مأخُودَةٌ مِنَ العَقْلِ المَقْصُورِ عَلَى الغَايَةِ ، وَالدِّيانَةِ مأخُودَةٌ مِنَ الوَحْيِ الوَارِدِ مِنَ العِلْمِ^(١) بِالْقُدْرَةِ .

قال : وَلَمَعَرَى إِنَّ هَذَا صَعْبٌ ، وَلَكِنَّ جَمَاعُ الكَلَامِ ، وَأَخْذُ المُسْتَطَاعِ ، وَغَايَةُ مَا عَرَضَ لَهُ الإِنْسَانُ الْمُؤَيَّدُ بِاللَّطَائِفِ ، المُرَّاحُ بِالْعِلْلِ وَبِضُرُوبِ التَّكَالِيفِ . قال : وَمَنْ فَضَّلَ نِعْمَةَ اللهِ تعالى عَلَى هَذَا المَخْلُوقِ أَنَّهُ نَهَجَ لَهُمُ سَبِيلَيْنِ وَنَصَبَ لَهُمُ عِلْمَيْنِ ، وَأَبَانَ لَهُمُ نَجْدَيْنِ^(٢) لِيَصْلُوا إِلَى دَارِ رِضْوَانِهِ إِمَّا بِسُلُوكِهِمَا وَإِمَّا بِسُلُوكِ أَحَدِهِمَا .

فقال له البخاري : فَمَا دَلَّ اللهُ عَلَى الطَّرِيقَيْنِ اللَّذَيْنِ رَسَمْتَهُمَا فِي هَذَا المَكَانِ ؟ قال : دَلَّ وَبَيَّنَّ ، وَاسْكُنْكَ عَمْرٍ ، أَمَا قال : (وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ) ؟ وَفِي فَحْوَى هَذَا وَمَا يَعْلَمُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ؟ فَقَدْ وَصَلَ العَقْلُ بِالْعِلْمِ ، كَمَا وَصَلَ العِلْمُ بِالْعَقْلِ ، لِأَنَّ كَمَالَ الإِنْسَانِ بَيْنَهُمَا ، أَلَا تَرَى أَنَّ العَاقِلَ مَتَى عُرِّيَ مِنَ العِلْمِ قَلَّ انْتِفَاعُهُ بِعَقْلِهِ ؟ كَذَلِكَ العَالِمُ مَتَى خُلِّيَ مِنَ العَقْلِ بَطَلَّ انْتِفَاعُهُ بِعِلْمِهِ ، أَمَا قال : (وَمَا يَتَذَكَّرُ

(١) في كلتا النسخين : « العقل » .

(٢) يشير بالسيلين والعلمين والتجدين إلى العقل والعلم .

إِلَّا أُولَئِكَ الْآلِثَابِ) ؟ أَمَا قَالَ : (فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ) ؟ أَمَا قَالَ :
 (أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ) ؟ أَمَا ذَمَّ قَوْمًا حِينَ قَالَ : (سَيَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ) ؟ أَمَا قَالَ : (أَوَمَن كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ
 وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا) !
 أَمَا قَالَ : (وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُمْرُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا
 مُعْرِضُونَ) ؟ أَمَا قَالَ : (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى
 السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) ؟ وكتاب الله عز وجل مُحِيطٌ بهذا كله ، وإنما تقاد إلى
 طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم بعد هذا فيما لا يناله عقلك ، ولا يتلفه ذهنك ،
 وَلَا يَتَوَلَّوْا إِلَيْهِ فِكْرَكَ ، فأمرَكَ بِاتِّبَاعِهِ وَالتَّسْلِيمِ لَهُ ، وإنما دخلت الآية من قوم
 دَهْرِيَّيْنِ مُنَحِدِيْنِ رَكَبُوا مَطِيَّةَ الْجُلْدِ وَالْجَهْلِ ، ومالوا إلى الشَّغْبِ بالتعصب ،
 وقابلوا الأمور بتحسينهم وتقييحههم وتتهجينهم ، وجعلوا أن وراء ذلك ما يفوت
 ذَرْعَهُمْ ، ويتخلف عن لحاقه رأيُهُمْ ونظرُهُمْ ، ويقع دُونُ كُنْهِ ذَلِكَ بَصَرُهُمْ ؛
 وهذه الطائفة معروفة ، منهم صالح بن عبد القدوس ، وابن أبي العوجاء ، ومطر بن
 أبي الغيث ، وابن الراوندي ، والحصري ، فإن هؤلاء طاحوا في أودية الضلالة ،
 واستَجَرُوا إلى جهلهم أصحابِ الخِلاعةِ والحِجَانَةِ .

فقال البخاري : فما الذي تركت بهذا الوصف للذين جمعوا بين الفلسفة
 والديانة ؛ ووصلوا هذه بهذه على طريق الظاهر والباطن ، والحقى والجلجلى ، والبادي
 والمكتوم ؟ قال : تركت لهم الطويل العريض ، القوم زعموا أن الفلسفة مواطنَةٌ
 للشريعة ، والشريعة مواقعةٌ للفلسفة ؛ ولا فرق بين قول القائل : قال النبي ، وقال
 الحكم ، وأن أفلاطن ما وضع كتاب التواميس إلا لنعلم كيف نقول ؟ وبأى

ى. نبحت ، وما الذى نُقدِّمُ وتؤخِّرُ ، وأن الثبوة فرعٌ من فروع الفلسفة ، وأن
فلسفة أصلُ علم العالم ، وأن النهى محتاجٌ إلى تنعيم ما يأتى به من جهة الحكيم ،
الحكيم غفى عنه ؛ هذا وما أشبهه ؛ وأنَّ صاحبَ الدين له أن يُعيِّنَ
يوزِّى ويُشيرَ ويُكَيِّى حتى تَمَّ المصلحةُ ، وتنظمَ الكلمة ، وتتفقَ الجماعة ،
نُثبتَ الشَّنة ، وتحلَّوْ العيشة ، وحتى قال قائلٌ منهم : « أوائلُ الشريعة أمورٌ
بُتدعه ، ووسائطها سننٌ مُتَّبَعَة ، وأواخرها حقوقٌ منتزعة » وإنَّ هذا النَّعت من
إلى : « إنَّ الشريعةَ إلهية ، والفلسفةُ بشرية » ، أعنى أنَّ تلك بالوحى ، وهذه
لعقل ، وأنَّ تلك موثوقٌ بها ومُطمأنٌّ إليها ، وهذه مشكوكٌ فيها مضطربٌ عليها .

قال له البخارى : فلمَ لمَ يهيج صاحبُ الشريعة هذه الطريق ، وكان يزول
هذا الخصاص ، وينتفى هذا الظن ، وتكسدُ هذه السُّوق ؟ فقال : إنَّ صاحبَ الشريعة
سُتفرقُ بالنور الإلهيِّ ، فهو محبوس على ما يراه ويُنصره ، ويحده وينظره ،
أنَّه مأخوذ بما شهده بالعيان وأدركه بالحسِّ وناله بوديعة الصدر عن كل ما عده ،
هذا يدعو إلى اقتباس كماله الذى حصل له ، ولا يستعد بدعوته إلا من وفق
إجابته ، وأذعن لطاعته ، واهتدى بكلمته ، والفلسفة كمال بشرى ، والدينُ
كَمالُ إلهيِّ ، والكمال الإلهيُّ غفى عن الكمال البشرى ، والكمال البشرى
يزن إلى الكمال الإلهيِّ ، فهذا هذا ، وما أمر الله عزَّ وجلَّ بالأعتبار ، ولا حثَّ
لِ التدبُّر ، ولا حركَ القلوب إلى الاستنباط ، ولا حَبَّبَ إلى القلوب البحث في
لمب الكونانات ، إلا ليكونَ عبادُه حُكَّاءَ ألباءَ أنقياءَ أذكِياءَ ، ولا أمرَ
تسليم ولا حظرَ الغلوِّ والإفراط في التعمُّق إلا ليكونَ عبادُه لاجئين إليه
نوكَّلين عليه ، مُغتصمين به ، خائفين منه ، راجينَ له ، يدعونَه خوفاً وطمعاً ،

وَيَعْبُدُونَهُ رَغْبًا وَرَهْبًا ، فَبَيْنَ مَا بَيْنَ حِرْصًا عَلَى مَعْرِفَتِهِ وَعِبَادَتِهِ ، وَطَاعَتِهِ وَخِدْمَتِهِ ، وَأَخْفَى مَا أَخْفَى لَتَدُومَ حَاجَتُهُمْ إِلَيْهِ ، وَلَا يَقَعُ الْفِتْنَى عَنْهُ ، وَبِالْحَاجَةِ يَقَعُ الْخُضُوعُ وَالتَّجَرُّدُ ، وَبِالِاسْتِغْنَاءِ يَقَرِضُ التَّجَبُّرَ وَالتَّمَرُّدَ ؛ وَهَذِهِ أُمُورٌ جَارِيَةٌ بِالْعَادَةِ ، وَثَابِتَةٌ بِالسَّيْرِ الْجَائِزَةِ وَالْعَادِلَةِ ؛ وَلَا سَبِيلَ إِلَى دَفْعِهَا وَرَفْعِهَا وَإِنْكَارِهَا وَجَحْدِهَا ، فَلِهَذَا لَزِمَ كُلٌّ مَن أَدْرَكَ بِعَقْلِهِ شَيْئًا أَن يَتَمَّ نَقْصَهُ بِمَا يَجِدُهُ عِنْدَ مَنْ أَدْرَكَ مَا أَدْرَكَ يَوْخِي مِنْ رَبِّهِ .

وقال أيضاً : مما يُؤَكِّدُ هذه الجملة أَنَّ الشَّرِيعَةَ قَدْ أَتَتْ عَلَى مَقْضُولٍ كَثِيرٍ ، بنورِ الوَحْيِ المنيرِ ، وَلَمْ تَأْتِ الْفَلَسَفَةُ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْوَحْيِ لَا كَثِيرٍ وَلَا قَلِيلٍ :

قال : وَلَيْسَ لِيُونَانَ نَبِيٌّ يَعْرِفُ ، وَلَا رَسُولٌ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ صَادِقٌ ، وَإِنَّمَا كَانُوا يَفْرَعُونَ إِلَى حُكَّائِهِمْ فِي وَضْعِ نَامُوسٍ يَجْمَعُ مَصَالِحَ حَيَاتِهِمْ وَنِظَامَ غِيْثِهِمْ وَمَنَافِعَ أَهْوَالِهِمْ فِي عَاجِلَتِهِمْ ، وَكَانَتْ مُلُوكُهُمْ تُحِبُّ الْحِكْمَةَ وَتُؤَثِّرُ أَهْلَهَا ، وَتَقْدِّمُ مِنْ تَحَلِّيٍّ بِجِزَاءٍ مِنْ أَجْزَائِهَا ، وَكَانَ ذَلِكَ النَامُوسُ يُعْمَلُ بِهِ وَيُرْجَعُ إِلَيْهِ ، حَتَّى إِذَا أَبْلَاهُ الزَّمَانُ ، وَأَخْلَقَهُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، عَادُوا فَوَضَعُوا نَامُوسًا آخَرَ جَدِيدًا بِزِيَادَةِ شَيْءٍ عَلَى مَا تَقَدَّمَ أَوْ نَقْصَانٍ ، عَلَى حَسَبِ الْأَحْوَالِ الْمُغَالِبَةِ عَلَى النَّاسِ . وَالْمُغَالِبَةُ بَيْنَ النَّاسِ ، وَلِهَذَا لَا يُقَالُ : إِنَّ الْإِسْكَندَرَ فِي أَيَّامِ مُلْكِهِ حِينَ سَارَ مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَى الْمَشْرِقِ كَانَتْ شَرِيعَتُهُ كَذَا وَكَذَا ، وَكَانَ يَذْكُرُ نَبِيًّا يُقَالُ لَهُ : فَلَانٌ ، أَوْ قَالَ : أَنَا نَبِيٌّ ، وَلَقَدْ وَاتَّقَ دَارًا وَغَيْرَهُ مِنَ الْمُلُوكِ عَلَى طَرِيقِ الْقَلْبَةِ فِي طَلَبِ الْمُلْكِ ، وَحِيَازَةِ الدِّيَارِ وَجَبَايَةِ الْأَمْوَالِ وَالسَّبْيِ وَالْفَارَةِ ، وَلَوْ كَانَ لِلنَّبِوَةِ ذِكْرٌ وَلِلنَّبِيِّ حَدِيثٌ لَكَانَ ذَلِكَ مَشْهُورًا مَذْكُورًا ، وَمُؤَرَّخًا مَعْرُوفًا .

قال الوزير : هذا كلامٌ عجيبٌ ما سمعتُ مثله على هذا الشرح والتفصيل ، قلت :

إِنْ شِيعْنَا أَبَاسْلِيَانَ غَزِيرُ الْبَحْرِ ، وَاسِعَ الصَّدْرِ ، لَا يُضَاقُ عَلَيْهِ فِي الْأُمُورِ الزُّهْوَ حَانِيَةِ
وَالْأَنْبَاءِ الْإِلَهِيَةِ وَالْأَسْرَارِ الْغَيْبِيَّةِ ، وَهُوَ طَوِيلُ الْفِكْرَةِ ، كَثِيرُ الْوَحْدَةِ ، وَقَدْ أَوْقَى
مَزَاجًا حَسَنَ الْإِعْتِدَالِ ، وَخَاطِرًا بَعِيدَ الْمَنَالِ ، وَلِسَانًا فَسِيحَ الْمَجَالِ ، وَطَرِيقَتَهُ
هَذِهِ الَّتِي أَجْتَبَاهَا مَكْتَنَفَةً بِمَعَارِضَاتٍ وَاسِعَةٍ ، وَعَلَيْهَا مَدَاحِلُ الْخَصْمَانَةِ ، وَلَيْسَ يَنْبَغِي
كُلُّ أَحَدٍ بِنَتْلِخِيصِهِ لَهَا ، لِأَنَّهُ قَدْ أَفْرَزَ الشَّرِيعَةَ مِنَ الْفَلَسَفَةِ ، ثُمَّ حَثَّ عَلَى اتِّحَالِهَا
مَعًا ، وَهَذَا شَبِيهُهُ بِالْمُنَاقَصَةِ . وَقَدْ رَأَيْتُ صَاحِبًا لِمُحَمَّدِ بْنِ زَكَرِيَاءَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ
وَرَدَّ مِنَ الرَّأْيِ يَقَالُ لَهُ : أَبُو غَانِمِ الطَّبِيبُ يُشَادُّهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ وَيُضَايِقُهُ ، وَيُلْزِمُهُ
الْقَوْلَ بِمَا يُنْكِرُهُ عَلَى الْخَصْمِ ، وَإِذَا أُذِنَتْ رَسَمْتُ كَلَامَهُمَا فِي وَرَقَاتٍ . فَقَالَ
الْوَزِيرُ : قَدْ بَانَ الْغَرَضُ الَّذِي رَمَى إِلَيْهِ ، وَتَقْلِيْبُهُ بِالْجِدْلِ لَا يَزِيدُهُ إِلَّا إِغْلَاقًا ،
وَالْقَصْدُ مَعْرُوفٌ ، وَالْوَقُوفُ عَلَيْهِ كَافٍ ، وَمَعَ هَذَا فَلَيْتَ حَظَّنَا مِنْهُ كَانَ يَتَوَفَّرُ
بِالتَّلَاقِ وَالْإِجْتِمَاعِ ، لَا بِالرَّوَايَةِ وَالسَّمَاعِ ، هَاتِ فَائِدَةَ الْوَدَاعِ ، فَقَدْ بَلَّغْتَ فِي الْمُوَاسَّاتِ
غَايَةَ الْإِمْتَاعِ .

(٧) قُلْتُ : أَكْرَهُ أَنْ أَخْتِمَ مِثْلَ هَذِهِ الْفِقْرِ الشَّرِيفَةِ بِمَا يَشْبَهُ الْمَزَلَ وَيَنَافِي الْجِدَّةَ ،
فَإِنْ أُذِنَتْ رَوَيْتُ مَا يَكُونُ أَسَاسًا وَدِعَامَةً لِمَا تَقْدَمُ . قَالَ : هَاتِ مَا أَحْبَبْتَ ،
فَمَا عَدِدْنَا مِنْ رِوَايَتِكَ إِلَّا مَا يَشُوقُنَا إِلَى رُؤْيَيْكَ .

قُلْتُ : قَالَ ابْنُ الْمَقْفَعِ : عَمَلُ الرَّجُلِ بِمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ خَطَأٌ هَوًى ، وَالْهَوَى آفَةٌ
الْعَفَافِ ، وَتَرْكُهُ الْعَمَلَ بِمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ صَوَابٌ تَهَاوُنٌ ، وَالتَّهَافُوتُ آفَةٌ الدِّينِ ، وَإِقْدَامُهُ
عَلَى مَا لَا يَعْلَمُ أَصَوَابٌ هُوَ أَمُّ خَطَا الْجَهَّاجِ ، وَاللَّجَّاجُ آفَةُ الرَّأْيِ .

قَالَ — حَرَسَ اللَّهُ نَفْسَهُ — : مَا أَكْثَرَ رَوْنَقَ هَذَا الْكَلَامِ ! وَمَا أَعْلَى
رُتَبَتِهِ فِي كُنْهَةِ الْعَقْلِ ! أَكْتُبُهُ لَنَا ، بَلْ أَجْمَعُ لِي جُزْءًا لَطِيفًا مِنْ هَذِهِ الْفِقْرِ ،
فَإِنَّهَا تُرَوِّحُ الْعَقْلَ فِي الْقَيْنَةِ بَعْدَ الْقَيْنَةِ ، فَإِنَّ نَوْرَ الْعَقْلِ لَيْسَ يَشْعُ فِي كُلِّ

وقت ؛ بل يَشِيعُ مرَّةً وَيَبْرُقُ مرَّةً ، فإذا شَعَّ عَمَّ نَفْعُهُ ، وإذا خَفِيَ بَطَلَ نَفْعُهُ . قلت : أفعل . فقال : إن كان ملك شيئا آخر فاذكره ، فإن الحديث الحسن لا يُحْمَلُ ، وما أَحْسَنَ ما قال خالد بن صَفْوَانَ ، فإنه قيل له : أتمل الحديث ؟ قال : إنما يُحْمَلُ الصَّحِيق . قال : صدق خالد : إن الحديث لا يُحْمَلُ من الزَّمان ^(١) إلا نِيا يَليه ^(٢) ، وإلّا فكيف يُحْمَلُ في أوّل زمانه وفاتحه أوانه ، وإنما المللُ يَعرِضُ بتكرُّر الزَّمان وضَجَرِ الحِسِّ ونِزاعِ الطَّبع إلى الجديد ، ولهذا قيل : لكلِّ جديد لَذَّة .

(١) خُكِيتُ أَنَّهُ لَمَّا تَقَلَّدَ كِسْرَى أَنْوَشِرَوَانَ مَمْلَكَتَهُ عَكَفَ عَلَى الصُّبُوحِ وَالنُّبُوقِ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ وَزِيرُهُ رُقْمَةٌ يَقُولُ فِيهَا : إِنَّ فِي إِدْمَانِ الْمَلِكِ ضَرراً عَلَى الرِّعَايَةِ ، وَالْوَجْهَ تَخْفِيفُ ذَلِكَ وَالنَّظَرُ فِي أُمُورِ الْمَمْلَكَةِ . فَوَقَّعَ عَلَى ظَهْرِ الرُّقْمَةِ بِالْفَارِسِيَّةِ بِمَا تَرْجُمُهُ : يَا هَذَا ، إِذَا كَانَتْ سُبُلُنَا آمِنَةً ، وَسِيرَتُنَا عَادِلَةً ، وَالدُّنْيَا بِاسْتِقَامَتِهَا عَامِرَةً ، وَعُمَلَانُنَا بِالْحَقِّ عَامِلَةً ، فَلِمَ نَمْنَعُ فَرَحَةً عاجلة ؟ .

قال : من حَدَّثَكَ بهذا ؟ قلت : أَبُو سُلَيْمَانَ شَيْخُنَا ، قَالَ : فَكَيْفَ كَانَ رِضَاهُ عَنْ هَذَا الْمَلِكِ فِي هَذَا الْقَوْلِ ؟ قُلْتُ : أُعَرِّضُ فَقَالَ : أَخْطَأُ مِنْ وَجْهِهِ ، أَحَدُهَا أَنَّ الْإِدْمَانَ إِفْرَاطٌ ، وَالْإِفْرَاطُ مَذْمُومٌ ؛ وَالْآخَرُ أَنَّهُ جَبَلٌ أَنَّهُ أَمِنَ السَّبِيلَ وَعَدَلَ السَّيْرَةَ وَعَمَارَةَ الدُّنْيَا وَالْعَمَلَ بِالْحَقِّ مَتَى لَمْ يُوسَّكَلْ بِهَا الطَّرْفُ السَّاهِرُ وَلَمْ تُحَظَّ بِالْعَنَايَةِ النَّاتِمَةِ ، وَلَمْ تُحَفَظْ بِالْأَهْتَامِ الْجَالِبِ لِدَوَامِ النِّظَامِ ، كَبَّ إِلَيْهَا النَّقْصُ وَالنَّقْصُ بَابٌ لِلانْتِقَاضِ ، مُزْعِزٌ لِلدَّعَاةِ ، وَالْآخَرُ أَنَّ الزَّمانَ أَهْرَ مِنْ أَنْ

(١) من الزَّمان ، أَيْ فِي وَقْتٍ مِنَ الزَّمان .

(٢) فِي نَسْخَةٍ فَاتَحَتْهُ . وَفِي نَسْخَةٍ مَا تَحْتَهُ ؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلَيْهِمَا ؟ وَسِيَاقُ السَّلَامِ الْآلِ بَدَ يَفْتَضِي مَا أَقْبَتَا .

يُبْذَلُ فِي الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ وَالتَّلَذُّذِ وَالتَّمَتُّعِ ، فَإِنْ فِي تَكْمِيلِ النَّفْسِ النَّاطِقَةِ
بِاِكْتِسَابِ الرِّشْدِ لَهَا وَإِبَادِ الْغَيِّ عَنْهَا مَا يَسْتَوْعِبُ أَعْضَاءَ الْعَمْرِ ، فَكَيْفَ إِذَا
كَانَ الْعُمُرُ قَصِيراً ، وَكَانَ مَا يَدْعُو إِلَيْهِ الْهَوَى كَبِيراً ؟ ! وَالْآخِرُ أَنَّهُ ذَهَبَ عَلَيْهِ أَنَّ
الْخَاصَّةَ وَالْعَامَّةَ إِذَا وَقَعَتْ عَلَى أَسْتِهَارِ الْمَلِكِ بِاللَّذَاتِ ، وَأَنَّهُمَا كِهَ فِي طَلَبِ
الشَّهَوَاتِ ، أَزْدَرَتْهُ وَأَسْتَهَانَتْ بِهِ ، وَحَدَّثَتْ عَنْهُ بِأَخْلَاقِ الْخَنَازِيرِ وَعَادَاتِ الْحَمِيرِ
وَأَسْتَهَانَةُ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ بِالنَّاظِرِ فِي أَمْرِهَا وَالْقِيَمِ بِشَأْنِهَا مَتَى تَكَرَّرَتْ عَلَى
الْقُلُوبِ تَطَرُّقَتْ إِلَى اللِّسَانِ ، وَانْتَشَرَتْ فِي الْحِفَالِ ، وَالتَّفَتَّ بِهَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ
وَهَذِهِ مَكْسَرَةُ الْهَيْبَةِ ، وَقَلَّةُ الْهَيْبَةِ رَاضَةٌ لِلْحَشْمَةِ ، وَارْتِفَاعُ الْحَشْمَةِ بَاعَثَ عَلَى
الْوَسْبَةِ ، وَالْوَسْبَةُ غَيْرُ مَأْمُونَةٍ مِنَ الْهَلَكَةِ ؛ وَمَا خَلَا الْمَلِكُ مِنْ طَامِعٍ رَاصِدٍ قَطُّ
وَلَيْسَ يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ الْحَازِمِ أَنْ يَظُنَّ أَنَّهُ لَا ضِدَّ لَهُ وَلَا مُتَنَازِعَ ، وَقَدْ يَنْجُمُ الضَّدُّ
وَالْمُتَنَازِعُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ، وَمَا أَكْثَرَ خَجَلِ الْوَائِقِ ! وَمَا أَقَلَّ حَزَمَ الْوَائِقِ !
وَمَا أَقَلَّ يَقْظَةُ الْمَاتِقِ (١) !

ثم قال : وعلى الضد متى كان السائسُ ذا تحفظٍ وبحسٍّ ، وتنتبهُ وحزمٍ
وإِكْبَابٍ عَلَى لَمْ أَلْشَعْتُ وَتَقْوِيمِ الْأَوْدِ وَسَدِّ الْأَخْلَالِ وَتَعَرُّفِ الْمَجْهُولِ وَتَحْقِيقِ
الْمَعْلُومِ وَرَفْعِ الْمُنْكَرِ وَبَثِّ الْمَعْرُوفِ ، احْتَرَسَتْ مِنْهُ الْعَامَّةُ وَالْخَاصَّةُ ، وَأَسْتَشْعَرَتْ
الْهَيْبَةَ ، وَالتَزَمَتْ بَيْنَهَا النَّصْفَةَ ، وَكُفِّتْ كَثِيراً مِنْ مُعَانَاتِهَا وَمِرَاعَاتِهَا ، وَإِنْ كَانَ
لِلدَّوْلَةِ رَاصِدٌ لِلْقِرَةِ يَتَسَنَّ مِنْ نَفْوِزِ الْحِيلَةِ فِيهَا ، لِأَنَّ اللَّصَّ إِذَا رَأَى مَكَاناً حَصِيناً
وَعَهْدَ عَلَيْهِ حُرَّاساً لَمْ يَحْدِثْ نَفْسَهُ بِالْتَعَرُّضِ لَهُ ، وَإِنَّمَا يَقْصِدُ قَصْراً فِيهِ ثُلْمَةً ،
وَبَاباً إِلَيْهِ طَرِيقاً ، وَالْأَعْرَاضُ بِالْأَسْبَابِ ، وَإِذَا ضَعُفَ السَّبَبُ ضَعُفَ الْعَرَضُ ،
وَإِذَا انْقَطَعَ السَّبَبُ انْقَطَعَ الْعَرَضُ .

(١) الماتق : الأحمق الغرّ . وفي نسخة ~~الماتق~~ ؛ وهو تحريف .

فقال — أدام الله أيامه — : هذا كلامٌ كافٍ شافٍ . وقال بعد ذلك :
حدثني عما تسمعُ من العامة في حديثنا .

(١٠) قلتُ : سمعتُ (باب الطّاق) قوما يقولون : اجتمع الناس اليومَ على الشّطّ ،
فلما نزل الوزير ليركب المركبَ صاحوا ونحبوا وذكروا غلاء القوت وعوزَ الطعام
وتعذرَ الكسبِ وغلبةَ الفقرِ وتهتكتُ صاحبِ العيال ، وأنه أجابههم بجوابٍ
مرٍّ مع قُطوب الوجه وإظهارِ التبرمِ بالاستغانة : بعدُ لم تأكلوا النُّخالة .
فقال : والله ما قلتُ هذا ، ولا خَطَرَ لي على بال ، ولم أَقابلَ عامَّةَ جاهلةٍ
ضعيفةٍ جائعةٍ بمثل هذه الكلمةِ الغشّاءِ ، وهذا يقولُه من طرح^(١) الشرَّ وأحبَّ
الفسادَ وقصدَ التَّشنيعَ علَيَّ والإيحاشَ مِنِّي ، وهو هذا العدوُّ الكلبُ ، « يعني
ابنُ يوسف » كفاني الله شرَّه ، وسَغَلَه بنفسِه ، ونكسَ كيدَه على رأسِه ؛ والله
لأنظرنَّ لها وللفقراءِ بمالٍ أُطْلِقَه من الخِزانة ، وأرسمُ ببيعِ الخبزِ ثمانيةَ بدرهم ،
ويصلُ ذلك إلى الفقراءِ في كلِّ تحلّةٍ على ما يذكُرُ شيخُها ، ويبيعُ الباقونَ على
السَّعرِ الَّذي يَقوِّمُ لهم ، ويشترِبه الغنيُّ الواجدُ ؛ ففعل ذلك — أحسنَ الله جزاءَهُ —
على ما عرفتُ وشاهدتُ ، وأبلغته بنشرِ الدَّعاءِ له في الجوامعِ والجامعِ بطولِ
البقاءِ ودوامِ العلاءِ وكتبَ الأعداءُ ونصرَ الأولياءُ . ثم كتبتُ جزاءً من أُلْفَرِّ
على ما رسمَ من قبل ، فلما أوصلته إليه قال لي : اقرأ ، فقرأته عليه ، فقال :
صِلْ هذا أُلْجَزَ بجزءٍ آخرَ من حديثِ النَّبيِّ — صلى الله عليه وسلم — والعجوبةُ
وبجزءٍ من الشَّعرِ ، وبشيءٍ من معاني أُلْقرآن ، فإنه مقدَّمٌ على كلِّ شيءٍ بحسبِ
ما رَفَعَ اللهُ من خطره ، وأحوجَ إلى فهمه ، وندبَ إلى العملِ به ، وأثابَ على
التفكيرِ فيه وأُلْتعجِبَ منه .

(١) « طرح الغر » أي ألقاه في القلوب ، وهذا تمييز قد سبق للمؤلف مثله في صفحة ١٧
سطر ٢ ، مرربا به هذا المعنى :

وَعَظَّ^(١) رَجُلٌ مِنْ (جُهَيْنَةَ) (عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ) فِي قِصَّةِ الْحُكُومَةِ ، فَقَالَ عَمْرُو :
 لَهُ : مَا أَنْتَ وَذَلِكَ يَاتِسُ جُهَيْنَةَ ؟ فَوَاللَّهِ مَا يَنْفَعُكَ الْحَقُّ ، وَلَا يَضُرُّكَ الْبَاطِلُ ،
 فَاسْكُتْ فَإِنَّ الظُّلْفَ لَا يَجْرِي مَعَ الْخَفِّ .
 وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : إِنَّ الْمُدُنَ تُبْنَى عَلَى الْمَاءِ وَالْمَرْعَى وَالْمُحْتَطَبِ
 وَالْحَصَانَةِ .

وقال الشاعر :

لَا حُ سُهَيْلٌ فِي الظَّلَامِ الدَّامِسِ كَأَنَّهُ نَارٌ بِكَفِّ الْقَابِسِ
 قَالَ رُبَيْعَةُ بْنُ عَاصِرٍ بْنِ مَالِكٍ فِي عَمْرُو بْنِ الْإِطْنَابَةِ — حِينَ دَفَعَ أُخْتَهُ وَأَخَذَ
 أَخَاهُ وَكَانَ أَسِيرًا فِي قَوْمِهِ ، وَجَعَلَ دَفَعَ أَخِيهِ إِلَيْهِ صَدَاقَ أُخْتِهِ ، وَهُوَ الَّذِي
 تَسَمَّيَهُ الْعَرَبُ الْمَسَاهَاةَ^(٢) — : فَقَدْ حَزَمَى الَّذِي هَدَيْتُ لَهُ ، وَعَزَمَى الَّذِي أُرْشِدْتُ
 إِلَيْهِ . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَسَاحَى بِهَا عَمْرُو وَرَاعَى إِفَالَهُ^(٣) فَرُبُّدٌ وَتَمَرٌ بَعْدَ ذَلِكَ كَثِيرُ
 وَكَانَتْ دِيَّةُ الْعَرَبِيِّ مِائَةَ وَسُقِ ، وَدِيَّةُ الْهَجِينِ خَمْسِينَ وَسُقًا ، وَدِيَّةُ الْمَوْلَى
 عَشْرَةَ أَوْسُقٍ ؛ وَكَانَتْ الْعَرَبُ تَجْعَلُ دِيَّةَ الْمُعَمِّ الْمَخُولِ مِائَةَ بَعِيرٍ ، وَدِيَّةَ الْمَوْلَى
 خَمْسَةَ وَعَشْرِينَ بَعِيرًا .

(١) يُلَوِّحُ لَنَا أَنَّ هَذِهِ الْفَقْرَ الْآتِيَةَ قَدْ قَرَأَهَا الْمُؤَلِّفُ عَلَى الْوَزِيرِ فِي لَيْلَةٍ أُخْرَى غَيْرِ
 اللَّيْلَةِ السَّابِقَةِ عَشْرَةَ السَّابِقَةِ وَإِنْ لَمْ يَرِدْ فِي الْأَصُولِ مَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ ؛ وَإِذْنًا فَتَكُونُ هَذِهِ هِيَ
 اللَّيْلَةُ الثَّامِنَةُ عَشْرَةَ ، وَاللَّيْلَةُ الْآتِيَةُ بَعْدَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ ، لِذَا يَقُولُ أَنَّ يَطْلُبُ الْوَزِيرُ إِلَى
 الْمُؤَلِّفِ كِتَابَةَ هَذِهِ الْفَقْرِ فِي لَيْلَةٍ فَيَكْتُبُهَا ثُمَّ يَقْرُؤُهَا فِي نَفْسِ اللَّيْلَةِ أَوْ لَمَلَةِ اللَّيْلَةِ وَكَتَفَى بِإِرْسَالِهَا
 إِلَى الْوَزِيرِ .

(٢) لَطَفُوا بِمَوَاقِفِهِمْ هَذَا النِّكَاحَ بِالْمَسَاهَاةِ لِأَنَّهُ فِيهِ مِنْ مَعْنَى الْمَسَاهَاةِ وَهِيَ الْمَسَاحَةُ وَتَرْكُ
 الْإِسْتِقْصَاءِ فِي الْمَعَاشَرَةِ .

(٣) « الْإِفَالُ » : صَفَارُ الْإِبِلِ ، الْوَاحِدُ أَفِيلٌ .

وقال جرير :

رَأَيْتُ بَنِي نَهْجَانَ أَذْنَابَ طَيْءٍ وَلِلنَّاسِ أَذْنَابٌ تَرَى وَصُدُورُ
تَرَى شَرْطَ^(١) الْعِزْزِ مُهَوَّرَ نَسَائِهِمْ وَفِي شَرْطِ الْعِزْزِ لَهُنَّ مُهَوَّرُ
وقال خالد بن جعفر بن كلاب^(٢) :

بَلْ كَيْفَ تَكْفُرُنِي (هُوَ زَنْ) بَعْدَمَا أَعْتَقْتُهُمْ فَتَوَالَدُوا أَحْرَارًا
وَقَتَلْتُ رَبَّهُمْ زُهَيْرًا بَعْدَمَا جَدَعَ الْأَنْوَفَ وَأَكْثَرَ الْأَوْتَارَا
وَجَعَلْتُ مَهْرَ نَسَائِهِمْ وَدِيَارِهِمْ عُقْلَ^(٣) الْمُلُوكِ هَجَانًا وَبِكَارَا

وقال جندل بن صفخر ، وكان عبدا :

وَمَا فَكَّ رِقِّي ذَاتُ ذَلِكَ خَدَلَجٍ وَلَا سَاقَ مَالِي صَدَقَةٌ وَعُقُولُ^(٤)
وَلَكِنْ نَمَانِي كُلُّ أَبْيَضٍ خَضِرٍ^(٥) فَأَصْبَحْتُ أَذْرِي الْيَوْمَ كَيْفَ أَقُولُ

وَقَتَلَ الْكَلْبِيُّ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ الْجَوْشَنِ الْغَطَفَانِيَّ بِقَتْلِهِ ابْنَهُ الْجُرَّاحَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ
(رَوَّاد) ، وكانوا عرضوا عليه الدِّيةَ ، فقال :

شَقِيتُ بَرَوَّادٍ غَلِيلاً وَجَدْتُهُ عَلَى الْقَلْبِ مِنْهُ مُسْتَمِرٌّ وَظَاهِرُ

(١) شرط العزى : صفاتها .

(٢) كان من حديث هذا الشعر أن هوازن كانت لا ترى زهير بن جذيمة إلا ربا ، وكان يصهرم فإذا كانت سوق عكاظ أتتها زهير بن جذيمة وأتته هوازن بالإناوة ، فأنته بجوز مرة بنعي فيه سمن ، فذاقه فلم يرض صمعه ، فذفها بقوس كانت في يده ، فسقطت على الأرض ، فانكشفت ، فغضب قوسها ، وأتى خالد بن جعفر أن يقتله ، فلم يزل يعد لذلك عدته حتى أمكنته الفرصة فقتله . في حديث طويل ليس هنا موضع ذكره (انظره في بلوغ الأرب ج ١) .

(٣) العقول : جمع عقول . وهي الناقة الفتيحة الحسنة . والمهبائن من الابل : البيض الكرائم .

(٤) الخدج : المرأة المثلثة الذراعين والساقين . والصدقة : المهر . والعقول : الديات ، واحده عقل .

(٥) الخضرم : اليد .

أَلَا لَيْتَ قَبْرًا بَيْنَ أَدَمِيٍّ وَمُطَرِّقٍ ^(١) يُحَدِّثُهُ عَنِ الْأَحَادِيثِ خَابِرٌ
وَقَالُوا نَدِيهِ مِنْ أَبِيهِ وَفَتَدَى قُلْتُ: كَرِيمٌ مَا تَدِيهِ الْأَبَاعِرُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَالَ يَذْهَبُ دَنَرُهُ ^(٢) وَتَنْبَرُّ أَقْوَالٌ وَتَبْقَى الْمَعَايِرُ
أَدَمِيٍّ وَمُطَرِّقٍ غَدِيرَانِ ^(٣) بَيْنَ فَدَكَ وَبِلَادِ طِيٍّ .

سئلت أبنَةَ الْخُسِّ هَلْ يَلْقَحُ أَلْبَازِلُ؟ قَالَتْ: نَعَمْ وَهُوَ رَازِمٌ، أَى وَإِنْ كَانَ
لَا يَقْدِرُ عَلَى الْقِيَامِ مِنَ الضَّعْفِ وَالْهَزَالِ . يُقَالُ: جَلُّ بَازِلٌ ^(٤) وَنَاقَةُ بَازِلٌ،
وَيُقَالُ: ضَرَبَهُ فَبَرَكَعَهُ إِذَا أَبْرَكَهُ، وَتَبَرَّكَعَ، وَيُقَالُ: شِمُّ لَى هَذِهِ الْإِبِلِ،
أَى أَنْظَرُ لَى خَبَرَهَا .

وَيُقَالُ لَوْلَدٍ كُلٌّ بِهَيْمَةٍ إِذَا سَاءَ غِذَاؤُهُ: جَحِينٌ وَمُخْتَلٌ وَجَذَعٌ، وَكُلُّ
مَا غُذِيَ بِغَيْرِ أُمِّهِ يُقَالُ لَهُ: عَجِيٌّ، وَكَذَلِكَ الْجَحِينُ ^(٥) وَالْوَغِلُ وَالسَّغْلُ كُلُّهُ
السَّيِّئُ الْغِذَاءِ .

سئَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ضَالَّةِ الْإِبِلِ، فَقَالَ: مَا لَكَ وَلَهَا؟ مَعَهَا
حِذَاؤُهَا ^(٦) وَسِقَاؤُهَا تَرِدُ الْمَاءَ وَتَأْكُلُ مِنَ الشَّجَرِ حَتَّى يَأْتِيَهَا «رَبُّهَا» .

سئَلَ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — عَنْ ضَالَّةِ الْغَنَمِ، فَقَالَ: هِيَ لَكَ أَوْ لِأَخِيكَ أَوْ لِلذَّئْبِ .
قِيلَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَالْقَطْعَةُ؟ قَالَ: «تَعْرِفُهَا سَنَةً وَتَحْصِي وَكَأْهًا وَوِعَاءَهَا

(١) آدمي « بضم الهمزة وفتح الدال ، وسكنت للشمع » .

(٢) « المال الدثر » : الكثير الوافر و « تنبر أقوال » ، أى تبقى .

(٣) فى اللسان أن آدمي : أرض بظاهر اليمامة . وذكر ياقوت أقوالا كثيرة فى تعيين هذا

الموضع منها ما يوافق ماورد فى اللسان . ومطرق : باليمامة أيضا .

(٤) البازل : الذى فطر نابه ، أى انشق بدخوله فى السنة التاسعة .

(٥) يلاحظ أن هذه الكلمة قد ذكرت فيما سبق .

(٦) يشير بقوله « معها حذاؤها » إلى أنها بيعة المذهب قوية على المنى وقطع الأرض .

تشبيها لها بالمسافر الذى معه حذاؤه وسقاؤه .

وعِصَاصُهَا^(١) وَعَدَدَهَا ؛ فَإِنْ جَاءَ صَاحِبُهَا فَأَدَّهَا إِلَيْهِ .

وقال أبي بن كعب : أَصَبْتُ مِائَةَ دِينَارٍ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
فَقَالَ : « أَحْفَظْ عِصَاصَهَا وَوِكَاءَهَا وَعَدَدَهَا فَإِنْ جَاءَ صَاحِبُهَا فَأَخْبِرْكَ بِعَدَدِهَا وَعِصَاصِهَا
وَوِكَائِهَا فَأَدَّهَا إِلَيْهِ وَإِلَّا فَعَرَّفْهَا سَنَةً ، ثُمَّ اسْتَمْتِعْ بِهَا » .

قال علي بن الحسن : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان
بِقُفِّ النَّخْلَتَيْنِ^(٢) قَالَ لَهُ الْأَنْصَارُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَلْ لَكَ فِي السَّبَاقِ ؟ قَالَ : نَعَمْ
وَهُوَ يَوْمُئِذٍ عَلَى النَّوَاضِحِ^(٣) — وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسِيرُ فِي
أُخْرَيَاتِ النَّاسِ ، وَأَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ عَلَى الْقَضْبَاءِ نَاقَةً رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، وَهُوَ فِي أَوَّلِ النَّاسِ — فَقَالَ : أَيْنَ أُسَامَةُ ؟ فَتَنَادَى النَّاسُ حَتَّى بَلَغَ أُسَامَةُ
الصَّوْتُ ، فَوَضَعَ السَّوْطَ فِي الْأَنَاقَةِ فَأَقْبَلَتْ ، فَلَمَّا دَنَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ إِخْوَانَنَا مِنَ الْأَنْصَارِ قَدْ أَرَادُوا السَّبَاقَ فَأَرْبَحْ نَاقَتَكَ حَتَّى تَرَعُو ،
ثُمَّ عُلِّقَ الْخِطَامُ ثُمَّ سَابَقَهُمْ ؛ ففَعَلَ وَاسْتَبَقُوا ، فَسَبَقَتْ نَاقَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، فَجَعَلَ أُسَامَةُ يَكْبُرُ وَيَقُولُ : سَبَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَرَسُولُ
اللَّهِ يَقُولُ : سَبَقَ أُسَامَةُ ، فَذَاكَ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ قَالَ لَهُ : أَقْصِرْ يَا أُسَامَةُ ، فَإِنَّ
إِخْوَانَنَا مِنَ الْأَنْصَارِ فِيهِمْ حَيَاءٌ وَخَفِيزَةٌ .

(١٢) قال : وليس لشيء من الحيوان سَنَامٌ إِلَّا الْبَعِيرُ ، وَلِبَعْضِ الْبَخَائِ سَنَامَانِ ،
وَلِبَعْضِ الْبَقَرِ شَيْءٌ صَغِيرٌ عَلَى مَوْضِعِ الْكَاهِلِ . وَالْجَمْلُ يَبُولُ إِلَى خَلْفِ ،

(١) العِصَاصُ : وَعَاءٌ مِنْ جِلْدٍ يَضَعُ فِيهِ الْمَسَافِرُ نَفَقَتَهُ .

(٢) الْقُفُّ : مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ . وَلَمْ نَجِدْهُ مَضَافًا إِلَى النَّخْلَتَيْنِ فَيُتَرَاوِجُهُمَا مِنَ الْكُتُبِ
فَلَمَّا فِي هَذَا الْأَسْمِ تَحَرُّفًا .

(٣) النَّوَاضِحُ : الْإِبِلُ الَّتِي يَسْتَقِي عَلَيْهَا .

وكذلك الأسد . وقضيبُ الجمل من عَصَبٍ ، وقضيبُ الإنسان من لحمٍ وغضروفٍ ، وقضيبُ الذئبِ والثعلبِ من عظمٍ ، وقضيبُ ذكرِ الأرانبِ من عظمٍ على صورة الثقبِ كأنه نصفُ أنبوبةٍ مشقوقة . وفي قلبِ الثورِ عَظْمٌ ، وربما وُجِدَ في قلبِ الجملِ . والمرأةُ تلِدُ من قُبُلٍ ، والناقةُ من خَلْفٍ . وزمانُ نزوِ الجملِ في (شباط) . والإناثُ من الإبلِ تحْمِلُ اثني عشر شهراً وتَضَعُ واحداً وتَلْقَحُ إذا بلغت ثلاثَ سنين ، وكذلك الذَّكَرُ ، ثم تُقيمُ الأثني سَنَةً ثم يُنزَى عليها .

وزعمَ صاحبُ المنطِقِ أن الجملَ لا يَنزُو على أُمِّه ، وإن أُضْطُرَّ كَرِهَهُ . قال : وقد كان رجلٌ في الدَّهْرِ السَّالِفِ سَتَرَ أَلَامَ بَثْوِبٍ ثم أَرْسَلَ بِكَرًا عليها ، فلما عَرَفَ ذلك لم يُتِمِّمْ وقطع ، وحَقَّدَ على الجَمَالِ نَقْلَهُ .

قال : وقد كان للملكِ فَرَسٌ أَثْنَى ، وكان لها أَفْلاها^(١) ، فأراد أن تَحْمِلَ من أَكْرَمِها ، فَصَدَّ عنها وكرِهَها ، فلما سَئِرَتْ وَتَبَّ فَرَكِبَها ، فلما رَفَعَ الثَّوْبُ ورآها هَرَبَ ومَرَّ حُضْرًا^(٢) حتى ألقى نَفْسَهُ في بعضِ الأودِيَةِ فهلك ... (٣)

هذا كلامُ أميرِ المؤمنين عليٍّ بن أبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ .

قال حُذَيْفَةُ : كُنْ في الفتنَةِ كَابِنِ اللَّبُونِ ، لا ظَهَرَ فَيُرَكَّبَ ، ولا لَبِنَ فَيُحْلَبَ .

قال ديوجانس : إِنَّ الْمَرْأَةَ تَلْقَحُ الشَّرَّ مِنَ الْمَرْأَةِ ، كما أَنَّ الْأُنْثَى تَأْخُذُ السَّمَّ (١٣) من الْأَصْلَةِ .

(١) الأفلاها : جمع فلو بكسر الفاء ، وهو المهر الذي لم يبلغ الفطام .

(٢) الحضرة بالضم : سرعة العدو .

(٣) ورد في « ب » مكتوباً على هامشها عند موضع هذه النقطة ما يفيد أنه قد سقط

من النسخة ثلاث ورقات .

وقال فيثاغورس : إن كثيراً من الناس يرون العلى الذى يعرض لعين
أبدن فتأباه أنفسهم ، فأما عى عين النفس فإنهم لا يرونه ولا تأباه أنفسهم ،
فلذلك لا يستحيون .

وقال أيضاً : كما أن الذى يسلك طريقاً لا يعرفه لا يدري إلى أى موضع
يؤديه ، كذلك الذى يسمع كلاماً لا يعرف الفرض فيه لا يرج منه
إلا التعب .

قيل لديوجانس : أيهما أولى ، طلب الفنى ، أم طلب الحكمة ؟ فقال :
للدنيا الفنى ، وللآخرة الحكمة .

وقيل له : متى تطيب الدنيا ؟ قال : إذا تفسف ملوكها وملك فلاسفها .

(١٤) فقال الوزير — أسعده الله — عندي أن هذا الكلام مدخول ، لأن
أفلسفة لا تصح إلا لمن رضى الدنيا وفرغ نفسه للدار الآخرة ، فكيف يكون
الملك رافضاً للدنيا وقاليا لها ، وهو محتاج إلى سياسة أهلها والقيام عليها باجتلاب
مصلحتها ونفي مفسداتها ، وله أولياء يحتاج إلى تديروهم وإقامة أبنيتهم والتوسعة
عليهم ومواكبتهم ومشاربتهم ومداراتهم والإشراف على سرهم وعلايتهم ،
والمملك أتمب من الطبيب الذى يجمع معالجة كثيرة بضروب الأدوية المختلفة
والأغذية المتباينة : هذا والطبيب فقير إلى تقديم النظر في نفسه وبدنه ، ونفى
الأمراض والأغراض عن ظاهره وباطنه ، ومن كان هكذا ومن هو أكثر
منه وأشد حاجة وعلاقة كيف يستطيع أن يكون ملكاً وحكماً ؟ ولعل قائلًا
يظن هذا ممكناً ، ويكون الملك واعياً في الحكمة بالدعوى ، وقائماً بالملك على
طريق الأولى ، وهذا إلى التيات الأمر واختلاله واختلاطه في الملك وأفلسفه

[أَقْرَبُ مِنْهُ إِلَى إِحْكَامِ الْأَصْلِ وَإِثْبَاتِ الْفَرْعِ . قَالَ : وَلِهَذَا] لم نجد نحن في الإسلام من نظري في أمر الأئمة على أئمة الهدى والتقى وإيثار آل البيت وألهدى إلا عدداً قليلاً، وألجوسُ تزعمُ أَنَّ الشريعةَ مُعَرَّجَةٌ عَنْ الْمُلْكِ ، أَيْ أَلَّذِي يَأْتِي بِهَا لَيْسَ لَهُ أَنْ يُعَرَّجَ عَلَى الْمُلْكِ ، بَلْ لَهُ أَنْ يَكِلَ الْمُلْكُ إِلَى مَنْ يَقُومُ بِهِ عَلَى أَحْكَامِ الدِّينِ ، وَلِهَذَا قَالَ مَلِكُنَا الْفَاضِلُ : الدِّينُ وَالْمُلْكُ أَخَوَانِ ، فَالدِّينُ أَسْبَغُ ، وَالْمُلْكُ حَارِسٌ ، فَهَذَا أَسْلٌ لَهُ فَهُوَ مَهْدُومٌ ، وَمَا لِحَارِسٍ لَهُ فَهُوَ ضَائِعٌ .

فقلت له : هذا باب إن توزع^(١) أقول فيه طال ، وإن رُئِيَ بِأَقْصَدٍ جاز ، وللائمة كلامٌ كثيرٌ في الإمامة والخلافة وما يجري مجرى النيابة عن صاحب الدينونة على فنونٍ مختلفة ، ومجملٌ مُتَعَدِّدَةٌ ، إِلَّا أَنَّ النَّظَرَ فِي أَحْوَالِ النَّاسِ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ قَائِمًا بِأَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ ، حَامِلًا لِلصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ ، عَلَى طَرِيقِهَا الْمَعْرُوفَةِ ، لِأَنَّ الشَّرِيعَةَ سِيَاسَةُ اللَّهِ فِي الْخَلْقِ ، وَالْمُلْكُ سِيَاسَةُ النَّاسِ لِلنَّاسِ ، عَلَى أَنَّ الشَّرِيعَةَ مَتَى خَلَّتْ مِنَ السِّيَاسَةِ كَانَتْ نَاقِصَةً ، وَالسِّيَاسَةُ مَتَى عَرِيتْ مِنَ الشَّرِيعَةِ كَانَتْ نَاقِصَةً ، وَالْمُلْكُ مَبْعُوثٌ ، كَمَا أَنَّ صَاحِبَ الدِّينِ مَبْعُوثٌ ، إِلَّا أَنَّ أَحَدَ الْبُعْثَيْنِ أَخْفَى مِنَ الْآخَرِ ، وَالثَّانِي أَشْهُرُ مِنَ الْأَوَّلِ^(٢) . قَالَ — أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ — كُنْتُ أَحِبُّ أَنْ أَعْلَمَ مِنْ أَيْنَ قُلْتُ : إِنَّ الْمُلْكَ مَبْعُوثٌ أَيْضًا ؟ فَإِنْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ مَا ثَبَتَتْ فِي أَذْنِي قَطْ ، وَلَا خَطَرَتْ لِي عَلَى بَالٍ ؛ قُلْتُ : قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي تَنْزِيلِهِ : (إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا) . فَعَجِبَ وَقَالَ : كَأَنِّي لَمْ أَسْمَعْ بِهَذَا قَطْ . ذَكَرَ لِلْإِسْكَانْدَرِ سُوهُ أَحْوَالِ رُؤَسَاءِ مَذْهَبِهِ لَمَّا كَانَ أَبُوهُ أَحْتَازَ أُمُورَهُمْ (١٥) وَسَلَبَ أَحْوَالَهُمْ . فَقَالَ : يَجِبُ لِلآبَاءِ عَلَى الْأَبْنَاءِ إِزَالَةُ أَلَدَتِهِمْ عَنْهُمْ ، [وَهَوُّ الْإِثْمِ ،

(١) فِي (١) «توزع» .

(٢) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : «وَالأَوَّلُ أَشْهُرُ مِنَ الثَّانِي» .

وَأَسْتَطَفُ أَلْقُوبِ عَلَيْهِمْ ، وَنَشْرُ الْحَامِدِ عَنْهُمْ ٢ ؛ وَأَمَرَ بِرَدِّ أَمْوَالِهِمْ عَلَيْهِمْ ،
وَزَادَ فِي الْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ . وَقَالَ : قَدْ بَلَغَ مِنْ فَرْطِ ذِقِّهِ الْآبَاءُ عَلَى الْأَبْنَاءِ أَنْ
يُسَيِّئُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ لِتَكُونَ الْإِسَاءَةُ سَبِيلاً لِلْإِحْسَانِ إِلَى أَوْلَادِهِمْ ، لِأَنَّهُمْ يَرَوْنَ
أَوْلَادَهُمْ كَأَنْفُسِهِمْ لِأَنَّهُمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ .

قُلْتُ : أَيُّهَا الْوَزِيرُ ، إِنِّي لِأَعْجَبُ مِنَ الْإِسْكَانْدَرِ فِي الْقَعْلِ الرَّشِيدِ وَالْقَوْلِ
السَّدِيدِ ، هَذَا الْمَنْصُورُ أَبُو جَنْفَرٍ صَاحِبُ الشَّهَامَةِ وَالْفَرَامَةِ أَخَذَ مِنْ وَجْهِهِ
الْعِرَاقِ أَمْوَالاً بِخَوَاتِيمِ أَحْسَابِهَا وَأَقْرَمَ ، وَجَمَلَهَا فِي خَزَائِنِهِ بَعْدَ أَنْ كَتَبَ عَلَى تِلْكَ
الْخِرَاطِ وَالظُّرُوفِ أَسْمَاءَ أَهْلِهَا ، ثُمَّ وَصَّى الْمَهْدَى بِرَدِّهَا عَلَى أَحْسَابِهَا بَعْدَ مَوْتِهِ ،
وَوَكَّدَ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، وَقَالَ : يَا بُنَيَّ ، إِنَّمَا أُرِيدُ بِهَذَا أَنْ أُحَبِّبَكَ إِلَى النَّاسِ ، فَعَلَّ
الْمَهْدَى ذَلِكَ ؟ فَانْتَشَرَ لَهُ الْصَيْتُ وَكَثُرَ الدَّعَاءُ وَعَجَّتِ الْأَصْوَاتُ ، وَقَالَ النَّاسُ :
هَذَا هُوَ الْمَهْدَى الَّذِي وَرَدَ فِي الْأَثَرِ . قَالَ : هَذَا عَجَبٌ .

وَقَالَ سُقْرَاطُ : يَنْبَغِي لِمَنْ عِلْمُ أَنَّ الْبَدْنَ هُوَ شَيْءٌ جُعِلَ نَافِعاً لِلنَّفْسِ مِثْلَ الْآلَةِ
لِلصَّانِعِ أَنْ يَطْلُبَ كُلُّ مَا يَصِيرُ الْبَدَنُ بِهِ أَفْنَعَ وَأَوْفَقَ لِأَفْعَالِ النَّفْسِ الَّتِي هِيَ فِيهِ ،
وَأَنْ يَهْرُبَ مِنْ كُلِّ مَا يُصِيرُ الْبَدْنَ غَيْرَ نَافِعٍ وَلَا مُوَافِقٍ لِاسْتِعْمَالِ النَّفْسِ لَهُ .
قَالَ أُوْمَيْرُوسُ : لَا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَتَوَثَّرَ عِلْمُ شَيْءٍ إِذَا عُيِّرْتَ بِهِ غَضِبْتَ ،
فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ هَذَا كَفْتَ أَنْتَ الْقَافِظَ لِنَفْسِكَ .

وَقَالَ دِيوجَانِسُ : مِنَ الْقَبِيحِ أَنْ تَتَحَرَّى فِي أَغْذِيَةِ الْبَدَنِ مَا يَصْلُحُ لَهُ وَلَا
يَكُونُ ضَارِئاً ، وَلَا تَتَحَرَّى فِي غِذَاءِ النَّفْسِ الَّذِي هُوَ الْعِلْمُ لِثَلَاثٍ يَكُونُ ضَارِئاً
وَقَالَ أَيْضاً : مِنَ الْقَبِيحِ أَنْ يَكُونَ الْمَلَّاحُ لَا يُطْلِقُ سَفِينَتَهُ فِي كُلِّ رِيحٍ ،
وَنَحْنُ نَطْلِقُ أَنْفُسَنَا فِي غَيْرِ بَحْثٍ وَلَا اخْتِبَارٍ .

ذكر لنا أبو سليمان أن فيلسوفاً وَرَدَ مدينةً فيها فيلسوف ، فوجَّه إليه المدعى
كأسملاى ، يُشير بها إلى أن الاستغناء عنه واقعٌ عنده ، فطرح القادمُ في الكأسِ
إبرةً ، يُعلمه أن معرفته تنفذُ في معرفته .

وقال فيلسوفٌ يونانيٌ : التقلُّبُ في الأمصار ، والتوسطُ في الجامع^(١) ،
والتصرُّفُ في الصَّناعاتِ ، وأستاعُ فنونِ الأقوالِ ، مما يزيد الإنسانَ بصيرةً
وحكمةً ونجربةً ويقظةً ومعرفةً وعلماً .

قال الوزير : ما البصيرة ؟ قلتُ : لَحَظُ النفسِ الأمورَ . قال : فما الحكمة ؟
قلت : بُلوغُ القاصية من ذلك اللحظ . قال : فما التجربة ؟ قلتُ : كمالُ النفسِ بِلحاظِ
مالها . قال : هذا حسن .

قال أنكساغورس : كما أن الإناء إذا امتلأ بما يسعه من الماء ثم تجل فيه
زيادة على ذلك فاض وانصب ، ولعله أن يخرج معه شيء آخر ؛ كذلك
الذهنُ ما أمكنه أن يضبطه فإنه يضبطه ، وإن طُلِبَ [منه] ضبطُ شيء آخر
أكثر من وسعِهِ تحيّر ، ولعلَّ ذلك يُضَيِّعُ عليه شيئاً مما كان الذهن ضابطاً له ،
وهذا كلام صحيح ، وإني لانتعجب من أصحابنا إذ غلّوا وقالوا : إن الإنسانَ
يستطيع حفظ جميع فنونِ العلم والقيامَ بها والإبقاءَ عليها ، ولو كان هذا مقدوراً
عليه [لو جِد ، و] لو وُجِدَ لِعُرِفَ ، ولو عُرِفَ لَذُكِرَ ، وكيف يجوز هذا وقلبُ
الإنسانِ مُضخةً ، وقوته مقصورةٌ ، وانبساطه مُتناهِ ، واقتباسه وحفظه وتصوره
وذكره محدودٌ ؟ ولقد حدثني عليُّ بنُ المهدي الطبري قال : قلتُ بيتداد لأبي
بشر : لو نظرتَ في شيء من ألقه مع هذه البراعة التي لك في الكلام ، ومع هذا

(١) في كلتا النسخين : « والتوسط الجامع » .

اللسان الذى تعَدِّ فيه كلُّ خَصَم . قال : أَمَلُّ ، قال . فكنتُ أقرأ عليه بالتهارِ
مع المختلِفَةِ الكلامِ ، وكان يقرأ علىَّ بالليلِ شيئاً من ألفقه ، فلما كان بعد قليل
أنصَرَ عن ذلك ، فقلت له : ما السَّببُ ؟ قال : والله ما أخضُ مسألةً جليلةً في
ألفقه إلاَّ وأنسى مسألةً دقيقةً في الكلامِ ، ولا حاجةً لى في زيادةٍ شيءٍ يكونُ
سبباً لنقصانٍ شيءٍ آخرَ مئى .

وسأل رجلٌ آخرَ أن يُقرِّضه مالا ، فوعده ثم غدر به ، فلامه النَّاسُ ،
فقال : لأنَّ يَحْمَرَّ وجهى مرةً أحبُّ إلىَّ من أن يصفرَّ سراراً كثيرة .

وولَّى أريوس ولايةً فقال له أصدقاؤه : الآن يظهرُ فضلك . فقال : ليست
الولايةُ تظهرُ الرَّجلَ ، بل الرَّجلُ يظهرُ الولاية .

وقال ديوجانس . الدنيا سوقُ المسافر ، فليس ينبغي للعاقِل أن يشتري منها
شيئاً فوق الكفاف .

وقيل لاسطقانس : مَنْ صديقك ؟ قال : الذى إذا صِرتُ إليه في حاجةٍ وجدتهُ
أشدَّ مُسارعةً إلى قضائها مئى إلى طلبها .

وقال أفلاطون : إن للنفسَ لذتين : لذَّةً لها مُجرَدَةٌ عن الجسد ، ولذَّةً
مشاركةً للجسد ، فأما التى تنفرد بها النفسُ فهى العِلْمُ والحِكْمَةُ ، وأما التى تُشارك
فيها البدنُ فالطعام والشراب وغيرُ ذلك .

وقيل لسقراط : كيف ينبغي أن تكون الدنيا عندنا ؟ قال : لا تستقبلوها
بتمنٍّ لها ، ولا تتبعوها بتأسفٍ عليها ؛ فلا ذلك مُجدٍ عليكم ، ولا هذا راجعٌ إليكم .
وقال سقراط : القُنْيَةُ^(١) مخدومة ، ومن خدم غيرَ نفسه فليس [بحر] .

(١) فى كلتا النسخين : « القينة » ؛ وهو تحريف ؛ والقينة : ما يقتنى

وقال بعض ندماء الإسكندر له : إن فلاناً يسئ الثناء عليك ، قال : أنا أعلم أن فلاناً ليس بشير ، فينبغي أن يُنظر هل ناله من ناحيتنا أمرٌ دعاه إلى ذلك ، فبَحَثَ عن حاله فوجدَهَا رَتْةً ، فأمر له بصلية سنية ، فبلغه بعد ذلك أنه ييسطُ لسانه بالثناء عليه في المحافل ؛ فقال : أما ترون أن الأمر إلينا أن يقال فينا خيرٌ أو شرٌ . قيل لطيماناًوس : لم صِرتَ تسيء القول في الناس ؟ قال : لأنه ليس يمكنني أن أسئهم بالفضل . وكان مرةً في صحراء ، فقال له إنسان : ما أحسنَ هذه الصحراء ! قال : لو لم تحضرها أنت .

وقال غالوس : ما وجه الأهتمام بما إن لم يكن ^(١) أَجْزَى نَوْثُهُ ، وإن كان فالمنفعة به وبحضوره قليلة منقطعة .

وقال سُقراط : ينبغي إذا وَعَظْتَ أَلَّا تتشكَّلَ بشكل منتقمٍ من عدوِّه ، ولكن بشكل من يُسَيِّطُ أو يَكْوِي بملاجه داء بصديق له ، وإذا وُعِظْتَ أيضاً بشئ فيه صلاحك ، فينبغي أن تتشكَّلَ بشكل المريض للطبيب .

ركب مقاريوس في حاجة ، فمرَ بِزَيْمُوس وقد تعلق به رجل يطالبه بمال اختدعه عنه وعليهما جماعةٌ من الناس ، وهو يسأله تنجيم ذلك المال عليه نجومالليثوديه ، ويتضرعُ أشدَّ التضرع . فقال مقاريوس : ما طَلَبْتُكَ عند هذا الرجل ؟ فقال : أتاني فخدعني بالزُّهد والنُّسك عن مالي ، ووعدني أن يملأ بيتي ذهباً من صنعته ، فلم أزل في الأسترسال إلى ظاهره السليم حتى أقفرني باطنه السقيم . فقال له مقاريوس : إنَّ كلَّ مَنْ بَدَّلَ شَيْئاً إِنَّمَا يَبْذُلُهُ عَلَى قَدَرِ وَسْعِهِ ؛ وكان زَيْمُوس أَتَاكَ عَلَى حَالِهِ التي هو عليها ، ولم يكن ليتيسع لأكْثَرِ مِنْ ذَلِكَ الْقَوْل ؛ وَأَمَّا عَمَلُ الذَّهَبِ فَبَيِّنٌ ظَاهِرٌ ، لِأَنَّ قَرَّةَ يَدِكَ عَلَى عَجْزِهِ وَضَعْفِهِ عَنْهُ ، وَمَنْ أَثَلَّ الْفَنَى عِنْدَ الْفَقِيرِ .

(١) يلاحظ أن قوله : «يكن» هنا تامة ، أي إن لم يوجد ؛ وكذلك قوله : «كان» الآتي .

فناية ما يُمكن أن يَبْلُغَهُ أن يَصِيرَ مِثْلَهُ ؛ وَآخِرُ ما يُؤْتَلُّ عندَ الفقيرِ نَيْلُ الفقرِ .
 فقد أَصَبَتْ ما كُنْتَ تُحِبُّ أن تَجِدَهُ عندَ زَيْمُوسَ ؛ وَهو حَظٌّ إِنْ تَسَكَّتَ
 به لم يَغْلُ بِما تَلَفْتَ مِنْ مالِكَ ، وَلَئِنْ كان وَعَدُكَ أن يُفِيدَكَ مالاً باطلاً فَلقد
 أَفادَكَ مَعْدِنًا حَقًّا ، مِنْ غيرِ قصدٍ إلى نفعِكَ . ثُمَّ أَقْبَلَ على زَيْمُوسَ وقال له :
 ما أَبَدَ شَبَهَ مَعْدِنِكَ مِنَ المَعَادِنِ الطَبِيعِيَّةِ ! إِنَّ المَعَادِنَ تَلْفِظُ الذَّهَبَ ، وَمَعْدِنُكَ
 هَذَا يَتَلَعَّ الذَّهَبَ ؛ وَمَنْ جَاوَرَ مَعْدِنًا مِنْها أَغْنَاهُ ، وَمَنْ جَاوَرَ مَعْدِنُكَ أَفْقَرَهُ ؛
 وَالْمَعَادِنُ الطَبِيعِيَّةُ تُشِيرُ مِنْ غيرِ قَوْلٍ ، وَمَعْدِنُكَ يَقُولُ مِنْ غيرِ إِثْمَارٍ . فقال
 زَيْمُوسُ : أَيُّها الفاضلُ ، لَنْ عِيقَتِي فَلَسْتُ بِأَوَّلِ حَكِيمٍ لَقِيَ مِنَ النَّاسِ الأَذَى .
 فقال له : أَجَلْ ، وَلا آخِرَهمْ وَلا أَوْسَطَهمْ ، لَكِنَّكَ مِنَ الجُهَّالِ الَّذِينَ لَقِيَ النَّاسُ
 مِنْهُمُ الأَذَى .

(١٦) فقال — أعلى الله قوله — : فهل لهذا الأمر — أغني الكيمياء — مَرَجُوعٌ ؟
 وهل له حقيقة ؟ وما تَحْفَظُ عن هذه الطاقة ؟

فكان الجواب ، أَمَّا يَحْيَى بْنُ عَدِيٍّ — وهو أستاذ هذه الجماعة — فكان
 فِي إِصْبَعِهِ خَاتَمٌ مِنْ فِضَّةٍ يَزُومُ أَنَّ فِئْتَهُ عَمَلَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَأَنَّهُ شَاهَدَ عَمَلَهَا
 عِيَانًا ، وَأَنَّهُ لا يَشُكُّ فِي ذَلِكَ .

وَأَمَّا أَحْبَابُهُ كَأَبْنِ زُرْعَةَ وَأَبْنِ الْغَمَّارِ ، فَذَكَرُوا أَنَّ ذَلِكَ تَمَّ عَلَيْهِ مِنْ
 فَعْلٍ لَمْ يَفْطِنْ لَهُ مِنْ بَعْضِ مَنْ أَعْتَرَاهُ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُحْتَالِينَ الْخَدَّاعِينَ .

وَأَمَّا شَيْخُنَا أَبُو سُلَيْمَانَ فَحَصَلَتْ مِنْ جَوَابِهِ عَلَى أَنَّهُ مُمْكِنٌ ، وَلَمْ يَذْكُرْ سَبَبَ
 إِمْكَانِهِ وَلا دَلِيلَ حَقِيقَتِهِ .

وَأَمَّا أَبُو زَيْدِ الْبَلْخِيّ — وَهو سَيِّدُ أَهْلِ المَشْرِقِ فِي أَنْواعِ الحِكْمَةِ —

فذكرَ أَنَّهُ مُحَالٌ وَلَا أَصْلَ لَهُ ، وَأَنَّ حِكْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى لَا تَوْجِبُ صِحَّةَ هَذَا الْأَمْرِ ،
وَأَنَّ صِحَّتَهُ مُتَفَسِّدَةٌ عَامَّةٌ ، (وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ) .

وَأَمَّا مِسْكَوِيهِ — وَهَاهُو بَيْنَ يَدَيْكَ — فَيَزْعُمُ أَنَّ الْأَمْرَ حَقٌّ وَصَحِيحٌ ،
وَالطَّبِيعَةُ لَا تَمْنَعُ مِنْ إِعْطَائِهِ ، وَلَكِنَّ الصَّنَاعَةَ شَاقَّةٌ ، وَالطَّرِيقَ إِلَى إِصَابَةِ
الْمِقْدَارِ عَسِيرةً ، وَجَمَعَ الْأَسْرَارَ صَغْبٌ وَبَعِيدٌ ، وَلَكِنَّهُ غَيْرُ مُتَمَتِّعٍ ؛ قَدْ مَضَى
عُمُرُهُ فِي الْإِكْبَابِ عَلَى هَذَا الْبَارِئِ أَيَّامٌ كَانَ بِنَاحِيَةِ أَبِي الْفَضْلِ ^(١) وَأَبَى الْفَتْحِ
ابْنَهُ مَعَ رَجُلٍ يُعْرَفُ بِأَبِي الطَّيِّبِ ، شَاهَدْتُهُ وَلَمْ أَحْمَدْ عَقْلَهُ ، فَإِنَّهُ كَانَ صَاحِبَ
وَسْوَاسٍ وَكَذِبٍ وَسَقَطٍ ، وَكَانَ مَخْدُوعًا فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ ، خَادِعًا فِي آخِرِ عُمُرِهِ .

وَأَبَيَّنُ مَا سَمِعْتُهُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ الطَّبِيعَةَ فَوْقَ الصَّنَاعَةِ ، وَأَنَّ الصَّنَاعَةَ
دُونَ الطَّبِيعَةِ ، وَأَنَّ الصَّنَاعَةَ تَنْشَبُهُ بِالطَّبِيعَةِ وَلَا تَكُلُ ، وَالطَّبِيعَةُ لَا تَنْشَبُهُ بِالصَّنَاعَةِ
وَتَكُمُلُ ، وَأَنَّ الطَّبِيعَةَ قُوَّةٌ إِلَهِيَّةٌ سَارِيَّةٌ فِي الْأَشْيَاءِ وَاصِلَةٌ إِلَيْهَا ، عَامِلَةٌ فِيهَا
بِقَدْرِ مَا لِلْأَشْيَاءِ مِنَ الْقَبُولِ وَالِاسْتِحَالَةِ وَالْأَفْعَالِ وَالْمَوَاتَةِ ، إِمَّا عَلَى التَّامِّ ،
وَإِمَّا عَلَى النِّقْصَانِ . وَقِيلَ : إِنَّ الطَّبِيعَةَ لَا تَسْلُكُ إِلَى إِبْرَازِ مَا فِي الْمَادَّةِ أَبَدًا
الطَّرِيقَ ، وَلَا تَتْرُكُ أَقْرَبَ الطَّرِيقِ ، فَلَمَّا كَانَتْ الْمَعَادِنُ هِيَ الَّتِي تُعْطَى هَذِهِ
الْجَوَاهِرَ عَلَى قَدَرِ الْمُقَابَلَاتِ الْعُلُويَّةِ وَالْأَشْكَالِ السَّائِيَةِ وَالْمَوَادِّ الشُّفْلِيَّةِ وَالْكَائِنَاتِ
الْأَرْضِيَّةِ ، لَمْ يَجْزُ أَنْ تَكُونَ الصَّنَاعَةُ مُسَاوِيَةً لَهَا ، كَمَا لَمْ يَجْزُ أَنْ تَكُونَ
مُسْتَعْمِلَةً عَلَيْهَا ، لِأَنَّ الصَّنَاعَةَ بَشَرِيَّةٌ مُسْتَخْرِجَةٌ مِنَ الطَّبِيعَةِ الَّتِي هِيَ إِلَهِيَّةٌ ،
وَلَا سَبِيلَ لِقُوَّةٍ بَشَرِيَّةٍ أَنْ تَنَالَ قُوَّةَ إِلَهِيَّةٍ بِالمَسَاوَةِ ؛ فَأَمَّا بِالتَّشْبِيهِ وَالتَّقْرِيبِ
وَالْتَّلَاسِ ، فَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ بِالصَّنَاعَةِ شَيْءٌ كَأَنَّهُ ذَهَبٌ أَوْ فِضَّةٌ ، وَلَيْسَ هُوَ فِي

الحقيقة ، لا ذَهَبَ ولا فِضَّة ؛ وإذا كان ظهور القطن بالطبيعة وظهور الثوب بالصناعة فليس هذه أن تَمَرِّضَ هذه ، [ولا هذه أن تَمَرِّضَ لهذه] ؛ والأمور مَوْزُونَةٌ^(١) ، والصناعات متناهية ؛ فإن ادَّعَى في شيء من الصناعة ما يزيد عليها حتى تكون كأنها الطبيعة ، احتيج إلى بُرْهَانٍ واضح ، وإلى عِيَانٍ مُصَرِّحٍ ، لأننا نعلم أنه ما من صناعةٍ ولا علمٍ ولا سياسةٍ ولا نِجْلَةٍ ولا حَالٍ إلا وقد حُمِلَ عليها ، وزِيدَ فيها وكُذِّبَ من أجلها بما إذا طَلَبْتَ صَحَّتَهُ بالبرهان لم تَجِدْ ، أو بالعيان لم تقدر .

(١٧)

فأما أصحابُ الفُسْكَ ومن عُرِفَ بالعبادة والصَّلاح ؛ فقد ادَّعَى لهم أن الصفر يُصَيِّرُ لهم ذهباً ، وشيئاً آخر يصيرُ فضةً ، وأن الله عزَّ وجلَّ يَرْزُقُ لهم الجبل ويُنْزِلُ لهم القطر ، ويُنْبِتُ لهم الأرض ، وغيرُ ذلك مما هو كَالْآيَاتِ لِلْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ يَأْتُونَ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ بِالْكِتَابِ وَالْوَصَايَا وَالْأَحْكَامَ وَالْمَوَاعِظَ وَالنَّصَاحَ ، وربما يسمَّى كثيرٌ من الناس ما يَظْهَرُ لِلزُّهَادِ وَالْعُبَادِ مِنْ هَذَا الضَّرْبِ كِرَامَاتٍ وَلَا يَسْمِيهَا معجزات ، والحقائق لا تَنْقَلِبُ بِالْأَسْمَاءِ ، فإن المسمى بالكرامة هو المسمى بالمعجزة والآية .

والخَوْضُ في هذا الطَّرْفِ قَدِيمٌ ، وفَسَلُهُ في الحقِّ شاقٌّ ، والتنازُعُ فيه قائمٌ ، والظَنُّ يَمْعُلُ عَمَلَهُ ، واليقين غيرُ مَظْهُورٍ به ، ولا مَوْصُولٍ إِلَيْهِ ؛ والطبيعة قد أولت الناسَ بَادِعَاءَ الْغَرَائِبِ ، وَبَعَثَتْهُمْ عَلَى نُصْرَتِهَا بِالْوَقْفِ وَالْعَرَقِ ، وَالتَّسْهِيلِ وَاللَّجَاجِ ، وَالْمَوَاتَةِ وَالتَّحَكُّ ، وَلِلَّهِ فِي طَيِّ هَذَا الْعَالَمِ الْعُلُويِّ أَسْرَارٌ وَخَفَايَا وَغُيُوبٌ وَمَكَامِنُ لَا قُوَّةَ لِأَحَدٍ مِنَ الْبَشَرِ بِالْحِسِّ وَلَا بِالْقَلِّ أَنْ يَحُومَ حَوْلَهَا ، أَوْ يَبْلُغَ مُحَقِّقَهَا ، أَوْ يُدْرِكَ كُنْهَهَا ، وَمَنْ تَصَرَّفَ عَرَفَ ، وَمَنْ عَرَفَ سَلِمَ ، وَالسَّلَامُ .

(١) كذا وردت هذه الكلمة في كلتا النسخين .

- (١٨) وحكى لنا أبو سليمان أن أرسطوطاليس كتب إلى رجل لم يُشَفِّمَهُ^(١) في رَجُلٍ سألَه الكلامَ له في حاجة : إن كنتَ أَرَدْتَ ولم تَقْدِرْ فمُذَوَّرٌ ، وإن كنتَ قَدَرْتَ ولم تُرِدْ فسوف يَحْيى وقتُ تَريدٍ ولا تَقْدِر .
- وقال بعض الحكماء : لا تُرَفِّهوا السُّفلةَ فيعتادوا الكَسَلَ والراحة ، ولا تَجِرَّوهم فيَطْلُبُوا الشَّرَفَ والشَّغَبَ ، ولا تَأْذِنُوا لأَوْلادِهم في تَعَلُّمِ الأدبِ فيكونوا لِرِداءَةِ أَسْوَلمِ أذْهَنَ^(٢) وأَغْوَصَ ، وعلى التعلُّمِ أَصْبَرَ ؛ ولا جرمَ فإنهم إذا سادُوا^(٣) في آخرِ الأمرِ خَرَبُوا بُيُوتَ المِلَّةِ أَهلَ الفضائل .
- (١٩) وقال فيلسوف : للنفس خمسُ قُوَى : الحسَّ والرَّسمَ والدَّهْنَ والأختبارَ والفكرَ .

فأما الحسُّ فَمَلْحَقُ الأشياءِ بلا غِصصٍ ، ولا يُحْتَاجُ في ذلكَ اللَّحَاقِ إلى شَيْءٍ آخرَ ، إلا أن يكونَ مَمْنُوعاً بَمَنْعٍ ، وذلكَ إذا وَجَدَ شَيْئاً أبيضَ حَكَمَ بأنه أبيضُ بلا فِكرٍ ولا قِياسٍ .

وأما الوهمُ ، فإنه يقعُ على الأشياءِ بَتَوْسُطِ الحسِّ .

وأما الأختبارَ فيوافقُ الفكرَ ، كقولك : النفسُ لا تموتُ ، فهذا قولُ اِختِبارِي^٤ بعدَ الفكرِ ، فإن كانَ هذا هَكَذَا فالأختبارُ ليسَ بقياسٍ ، ولكنه أُنْفُقُ القِياسِ .

وأما الدَّهْنُ فإنه لا يَهْجُمُ على أوائلِ الأشياءِ .

وقال آخرُ شَيْباً بهذا الكلامِ ، ولا بأسَ أن يكونَ مضموماً إليه ، ليكونَ شَمِلَ القائِدةَ أَكْثَرَ نِظَماً وأَقْرَبَ مَرَاماً .

(١) يشفمه : يقبل شفاعته

(٢) أذهن ، أى أجود ذهناً ، وفى (١) « أدهى » ، وفى ب « أذهب » ، وهو تصغيرٌ فى كليهما .

(٣) فى كلتا النسخين : « صاروا » .

قال : ليس للحَوَاسِّ والحركاتِ قِلَّةٌ دون أن تَبْعَثَ القوَّةُ المميَّزةَ ، فذلك لا يُحَسُّ السَّكْرَانُ ولا النَّائمُ ، وكذلك أيضاً البهائمُ فإنها لا تَصِيحُ إلا بعد أن يَقرُضَ في فِكْرِها شَيْءٌ ، ولا تَتَحَرَّكُ إلا بِأَنْبِعاثِ القوَّةِ المميَّزةِ .

ولكل واحد من الحيوان ثلاثة أرواحٍ في ثلاثة أعضاء رئيسة : نفسية في الدماغ ، وحيوانية في القلب ، وطبيعية في الكبد .

وفي كل واحد منها قوَّةٌ مميَّزةٌ بها يتم عمله ، فالتى في الدِّماغِ هى العقل المميَّز الحارس للبدن ، ومنه ينبعث الحِسُّ والحركة ، [والتي] فى القلب تنبث منها الحرارة الفريزية فى جميع البدن ؛ وزعموا أن تلك الحرارة هى الروح ؛ والتى فى الكبد هى موضع الهضم والنفث ، وهى التى تنضج الطعام وتغيره وتحيله دماً وتوزَّعُ فى كلِّ عضو ما هو ملائمٌ له ، وبالجاذبة تجذبُ ، وبالحابسة تحبسُ ، وبالماضمة تمضمضُ ، وبالدافعة تدفعُ .

فأما الدِّماغُ فينقسم ثلاثة أقسامٍ يُنحَجَزُ بينها أغشية ، أحدها فى مقدِّم الرأس موضع التخيل ، والثانى فى وسط الرأس موضع العقل والفكر والتمييز ، والثالث فى مؤخَّر الرأس موضع الحفظ والذكر والقبول ؛ فكلُّ واحد مما ذكرنا يخدم الآخر ، وإن ضَعُفَ أحدها ضَعُفَ لضعفه الآخر ، وباعتدالهن وسلامتهن قوامُ البدن والنفس .

ولكل واحد منها آلة بها يستعين على خدمة الآخر .

قال : فكما أن الرِّحَى إذا نقصت شيئاً منها أو زدت أفسد الطحن ؛ إتنا بزيادة أو نقصان ، كذلك سائرُ خَدَمِهِ وآلاتِهِ .

وقال : الدِّماغُ مَسْكَنُ العقل ، وخَدَمُهُ الحِسُّ والحركة ؛ والقلب مَسْكَنُ

الحرارة الفريزية ، وخدمته العروق الضواري ؛ والكبد مسكن النضج والهضم ، وخدمتها العروق غير الضواري .

وقال : النار تحرق ، فإذا كانت موجودة فالدخان والرماد موجودان ، والدخان رماد لطيف ، والرماد دخان كثيف .

وقال أبو سليمان : ذكر بعض الباحثين عن الإنسان أنه جامع لكل ما تفرق في جميع الحيوان ، ثم زاد عليها وفضل بثلاث خصال : بالعقل والنظر في الأمور النافعة والضارة ، وبالمنطق لإبراز ما استفاد من العقل بوساطة النظر ، وبالأيدى لإقامة الصناعات وإبراز الصور فيها مماثلة لما في الطبيعة بقوة النفس . ولما أنظم له هذا كله جمع الحيل والطلب والهرب والمكاييد والحذر ، وهذا بكل الشرعة والخفة التي في الحيوان ، واتخذ بيده السلاح مكان الناب والمخالب والقرن ، واتخذ الجن لتكون وقاية من الآفات ، والعقل ينبوع العلم ، والطبيعة ينبوع الصناعات ، والفكر بينهما قابل منهما ، مؤد من بعض إلى بعض ، فصواب بديهية الفكر من صحة العقل ، وصواب روية الفكر من صحة الطباع .

(٢٠) وقال أبو العباس : الناس في العلم على ثلاث درجات ، فواحد يُعلم فيعلم فيصير متبداً ، والآخر يتعلم ولا يُعلم فهو يؤدى ما قد حفظ ، والآخر يُجمع له بين أن يُعلم وأن يتعلم . فيكون قليل ما يتعلم كثيراً بقوة ما يُعلم .

وقال : الإنسان بين طبيعته — وهي عليه — ونفسه — وهي له — منقسم ؛ فإن اقتبس من العقل قوى نوره ما هو له من النفس ، وأضعف ما هو عليه من الطبيعة ، فإن لم يكن يقتبس بقى حيراناً أو مهوراً .

وقال سُقراط : الكلام اللطيف ، يُنبؤ عن الفهم الكثيف .
وحكى لنا أبو سليمان قال : قيل لفيلسوف : ما بال المريض إذا دأواه الطبيبُ
ودخل عليه فرح به وقبل منه وكافأه على ذلك ، والجاهلُ لا يفعل ذلك بالعالم
إذا علمه ويَبين له ؟ فقال : لأنَّ المريضَ عالمٌ بما عند الطبيب ، وليس الجاهلُ
كذلك ، لأنَّه لا يَعلمُ ما عند العالم .

وقال ديوجانس لصاحبه : أما [تَعَلَّمْ] أَنَّ الحمامَ إذا كان سَمائياً كان أغلى
ثمناً ، وإذا كان أرضياً كان أقلَّ ثمناً^(١) .

قال — أبقاه الله — هذا مَثَلٌ في غاية الحُسن والوضوح .
[وقال ديوجانس^(٢) : المأكول للبدن ، والمؤهوب للعتاد ، والمحفوظ للعدو .
وقال فيلسوف : التهاونُ باليسير أساسٌ للوُتوع في الكثير .
وقال أفلاطون : مَثَلُ الحكيم كَمَثَلِ النملة تجَمِّع في العيف للشتاء ، وهو
يَجْمع في الدنيا للآخرة .

وقال فيلسوف : من يعصف الحكمة بلسانه ولم يتحلَّ بها في سرِّه وجهره فهو
في المَثَلِ كَرَجُلٍ رَزِقَ ثوباً فأخذ بظفره فلم يلبسه .
وقال السيد المسيح : إن أستطعت أن تجعلَ كنزك حيث لا يأكله الشوس ،
ولا تدركه اللصوص ، فأفعل .]

قال فيلسوف : إذا نازعتك إنسانٌ فلا تُجِبه ، فإنَّ الكلمة الأولى أُتِيَتْ
وإجابتها فحلُّها ، وإن تركتَ إجابتها بقرتها وقطعتَ نسلها ، وإن أجبتها

(١) يلوح لنا أن في هذه الفقرة نقصاً سقط من الناسخ في كلتا النسخين .
(٢) آخر هذه الزيادة التي نقلناها عن ب بعض كلمات مطبوعة لم نستطع تمييزها ، فلم
نتبها ، فانظرها في هامش الورقة رقم ٢٠٤ من هذه النسخة .

أَلْقَحَتْهَا ؛ فَمِنْكُمْ مَنْ وَلَدَ يَنْتَمُو بَيْنَهُمَا فِي بَطْنٍ وَاحِدٍ .

وقال فيلسوف : إِنَّ البَعُوضَةَ تَحْيَا مَا جَاءَتْ وَإِذَا شَبِيعَتْ مَاتَتْ .

وقال ديوجانس : إِنْ تَكُنْ مِلْحًا يَصْلُحْ ، فَلَا تَكُنْ ذُبَابًا يُفْسِدُ .

وقيل لـديوجانس : مِنْ أَيْنَ تَأْكُلُ ؟ فَقَالَ : مِنْ حَيْثُ يَأْكُلُ عَبْدٌ لَهُ رَبٌّ .

وقال ديوجانس : كُنْ كَالْعُرْسِ تُرِيدُ الْبَيْتَ خَالِيًا .

قيل لـأرسطوطاليس : إِنْ فَلَانًا عَاقِلٌ . قَالَ : إِذَا لَا يَفْرَحُ بِالدُّنْيَا .

وقيل لـفيثاغورس : مَا أَمَلَكَ فَلَانًا لِنَفْسِهِ ! قَالَ : إِذَا لَا تَصْرَعُهُ شَهْوَتُهُ ، وَلَا تَخْذَعُهُ لَذَّتُهُ .

وقيل لـأسقليبيوس : فَلَانٌ لَهُ هِمَّةٌ . قَالَ إِذَا لَا يَرْضَى لِنَفْسِهِ بِدُونِ التَّوَدُّرِ .

وَمَدَحَ رَجُلٌ ثِيُودُورُوسَ عَلَى زُهْدِهِ فِي الْمَالِ قَالَ : وَمَا حَاجَتِي إِلَى شَيْءٍ
الْبَخْتِ يَأْتِي بِهِ ، وَاللَّوْثُ يَحْفَظُهُ ، وَالنَّفَقَةُ تَبْدُدُهُ ، إِنْ قَلَّ غَلَبَكَ الْمُمْ بِتَكْثِيرِهِ ،
وَإِنْ كَثُرَ تَقَسَّمَكَ فِي حِفْظِهِ ، يَحْسُدُكَ مَنْ فَاتَهُ مَا عِنْدَكَ ، وَيَخْذَعُكَ عَنْهُ مَنْ
يَطْمَعُ فِيهِ مِنْكَ .

وقال سُقْرَاتُ : مَا أَحْبَبُّ أَنْ تَكُونَ النَّفْسُ عَالِمَةً بِكُلِّ مَا أَعْدَّ لَهَا ؛ قِيلَ :
وَلِمَ ؟ قَالَ : لِأَنَّهَا لَوْ عَلِمَتْ طَارَتْ فَرَحًا وَلَمْ يُفْتَقِعْ بِهَا .

وقال ديوجانس : الْقَلْبُ ذُو لَطَافَةٍ ، وَالْجِسْمُ ذُو كَثَافَةٍ ، وَالْكَثِيفُ
يَحْفَظُ اللَّطِيفَ كَضَوْءِ الْمَصْبَاحِ فِي الْقِنْدِيلِ .

وقال افلاطون : الْعِلْمُ مِصْبَاحُ النَّفْسِ ، يَنْفِي عَنْهَا ظُلْمَةَ الْجَهْلِ ، فَمَا أَمَكْنَكَ
أَنْ تُضِيفَ إِلَى مِصْبَاحِكَ مِصْبَاحَ غَيْرِكَ فَأَفْعَلْ .

قال أبو سليمان : مَا أَحْسَنَ الْمِصْبَاحِ إِذَا كَانَ زَجَاجُهُ نَقِيًّا ، وَضَوْؤُهُ ذَكِيًّا ،
وَزَيْتُهُ قَوِيًّا ، وَذُبَالُهُ سَوِيًّا .

قيل لسقراط : ما أَحْسَنُ بالمرء أن يتعلَّم في صِغَرِه ؟ قال : ما لا يَسْمَعُ أن يَجْهَلَ في كِبَرِه .

قال أبو سليمان : ومن هاهنا أَخَذَ مَنْ قال : يَحْسُنُ بالمرء التعلُّمُ ما حَسُنَتْ به الحياة .

قيل لموميروس : ما أَصْبَرَكَ على عَيْبِ النَّاسِ لك ! قال : لَأَنَا أُسْتَوِينَا في العَيْبِ ، فَأَنَا عِنْدَهُمْ مِثْلُهُمْ عِنْدِي .

وقيل للإسكندر : أَى شَيْءٍ أَنْتَ به أَشْرُ ؟ قال : قُوَّتِي على مَكَاافَةِ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيَّ بِأَحْسَنَ مِنْ إِحْسَانِهِ .

[وقال ديوجانس : إِنَّ إِبْرَالِكَ بالحديث على مَنْ لا يَفْهَمُ عَنْكَ بِمَنْزِلَةٍ مِنْ وَضْعِ الْمَائِدَةِ على مَقْبَرَةٍ] .

ورأى دِيُوجَانِسَ رجلاً يأكل ويتذَرَّعُ^(١) وَيُكْثِرُ ، فقال له : يا هذا ، ليست زيادة القوة بكثرة الأكل ، وربما وَرَدَ على بَدَنِكَ من ذلك الضررُ العظيم ، ولكنَّ الزيادة في القوة بمجودة ما يقبل بَدَنُكَ منه على الملاءمة .

وقال ديوجانس : الذهبُ والفضَّةُ في الدار بمنزلة الشمس والقمر في العالَمِ . قال أبو سليمان : هذا مليح ، ولكن ينبغي أن تَتَّبِعَ الشمس والقمر فأنهما يُكْسِفَانِ فيكونان سبباً لفساد كثير ، ويدوبان^(٢) ويَحْمِيَانِ فيكونان ضارَّين . وقال أفلاطون : موت الرؤساء أَصْلَحُ مِنْ رَأْسَةِ السُّفَلَةِ .

وقال : إذا بَخَلَ الْمَلِكُ بِالمالِ كثر الإرجاف به .

وقال سولون : العلمُ صغيرٌ في الكَمِّيَّةِ ، كبيرٌ في الكيفيَّةِ .

(١) يتذرع ، يكثر ويفرط . (٢) ويدوبان ، أى الذهب والفضة .

وقال أبو سليمان : يعنى أن القليل منه إذا استعملته على وجهه كان له إفاء
ونفع فائض وَدَرَّ سَاحِحٌ ، وغاية محمودة ، وَأَثَرٌ بَاقٍ . وهذه كلها كَيْفِيَّاتٌ من
تلك الكَمِّيَّة .

وقال أفلاطون : لا يَسُوسُ النفوسَ الكثيرةَ على الحقِّ والواجِبِ من
لا يُمْكِنُهُ أن يَسُوسَ نفسه الواحدة .

وقال سُقْرَاطُ : النَّفْسُ الْفَاضِلَةُ لَا تَطْعَى بِالْفَرَحِ ، وَلَا تَجْزَعُ مِنَ التَّرَحِّ ، لأنها
تَنْظُرُ فِي كُلِّ شَيْءٍ كَمَا هُوَ ، لَا تَسْلُبُهُ مَا هُوَ لَهُ وَلَا تُضِيفُ إِلَيْهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ ؛
وَالْفَرَحُ بِالشَّيْءِ إِنَّمَا يَكُونُ بِالنَّظَرِ فِي مَحَاسِنِ الشَّيْءِ دُونَ مَسَاوِيهِ ، وَالتَّرَحُّ إِنَّمَا
يَكُونُ بِالنَّظَرِ فِي مَسَاوِيِ الشَّيْءِ دُونَ مَحَاسِنِهِ ؛ فَإِذَا خَلَصَ النَّظَرُ مِنْ شَوَابِ الْفَلَطِ
فِيَا يَنْظُرُ فِيهِ انْتَفَى الطُّغْيَانُ وَالْجَزَعُ ، وَحَصَلَ النِّظَامُ وَرَبَعَ ^(١) .

قال ديوجانس : يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَنْظُرَ فِي الْمَرَاةِ ، فَإِنْ كَانَ وَجْهُهُ حَسَنًا
أَسْتَبْجَحَ أَنْ يُضِيفَ إِلَيْهِ ضَلًّا قَبِيحًا ، وَإِنْ كَانَ وَجْهُهُ قَبِيحًا أَسْتَمْتَعَضَ أَنْ
يُضِيفَ قَبِيحًا إِلَى قَبِيحٍ حَتَّى يَتَضَاعَفَ الْقُبْحُ .

وقال إِبْرَاهِيمُ : مَنَزَلَةُ لَطَافَةِ الْقَلْبِ فِي الْأَبْدَانِ بِمَنَزَلَةِ لَطَافَةِ النَّاظِرِ فِي الْأَجْفَانِ .
وقال : لِلْقَلْبِ آفَتَانِ : وَهِيَ النَّمُّ وَالْهَمُّ ، فَالنَّمُّ يَعْزِضُ مِنْهُ النَّوْمُ ، وَالْهَمُّ
يَعْزِضُ مِنْهُ السَّهَرُ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْهَمَّ فِيهِ فِكْرٌ فِي الْخَوْفِ مِمَّا سَيَكُونُ ، فَهُوَ
يَضْلِبُ السَّهَرُ ؛ وَالنَّمُّ لَا فِكْرَ فِيهِ ، لِأَنَّهُ إِنَّمَا يَحْدُثُ لَمَّا قَدْ مَضَى وَكَانَ .

وقال أفلاطون : مَنْ يَصْحَبُ السُّلْطَانَ فَلَا يَجْزَعُ مِنْ قِسْوَتِهِ ، كَمَا لَا يَجْزَعُ
الْفَوَاصِلُ مِنْ مُلُوحَةِ الْبَحْرِ .

قال أبو سليمان : هَذَا كَلَامٌ ضَرُّهُ أَكْثَرُ مِنْ نَفْعِهِ ، وَإِنَّمَا نَفَعُهُ صَاحِبُهُ

بالمثال ، والمثالُ يَسْتَجِيبُ للحَقِّ كما يَسْتَجِيبُ للباطل ، والمعوّل على ما ثَبَتَ بالدليل ، لا على ما يُدَّعى بالتَّشْيِيل ، وقد يَجِبُ أَنْ يُجْتَنَبَ جَانِبُ الشُّطْرَانِ بِقَايَةِ لَأَسْتَطَاعَةِ وَالْإِمْكَانِ ، إِلَّا إِذَا كَانَ الدَّهْرُ سَلِيماً مِنَ الْآفَاتِ الْغَالِبَةِ . قَالَ لَهُ الْأَنْدَلُسِيُّ : وَمَا صُورَةُ الزَّمَانِ الْخَالِي مِنَ الْآفَاتِ ؟ قَالَ : أَنْ يَكُونَ الدِّينُ طَرِيقاً ^(١) ، الدَّوْلَةُ مُقْبِلَةً ، وَالْخَضْبُ عَائِثاً ، وَالْعِلْمُ مَطْلُوباً ، وَالْحِكْمَةُ مَرْغُوباً فِيهَا ، وَالْأَخْلَاقُ طَاهِرَةً ، وَالِدَّعْوَةُ شَامِلَةً ، وَالْقُلُوبُ سَلِيمَةً ، وَالْعَامَلَاتُ مُتَكَافِئَةً ، وَالسِّيَاسَةُ مَفْرُوسَةً ، وَالْبَصَائِرُ مُتَقَارِبَةً . قَالَ . هَذَا لَوْ صَحَّ لَأَرْتَفَعَ السُّكُونُ وَالْفَسَادُ اللَّذَانِ وَهَمَا سَوْسُ هَذَا الْمَكَانِ ، قَالَ : غَلَطْتُ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، فَإِنَّ السُّكُونَ وَالْفَسَادَ يَكُونَانِ عَلَى حَالِيهِمَا ، وَلَكِنَّهُمَا يَقَعَانِ عَلَى مَقْلُومَيْنِ لِلصُّورَةِ الثَّابِتَةِ ، وَالسِّيَاسَةِ الْعَائِثَةِ الْغَالِبَةِ ، كَأَنَّكَ لَا تَحْسُ بِالْفَرْقِ بَيْنَ زَمَانٍ خِصَبَ الْأَرْضَ وَجَدَّيْهَا ؛ وَكَأَنَّكَ أَنَّ لِلْأَرْضِ خِصْباً وَجَدَّيَا ؛ كَذَلِكَ لِلْأَحْوَالِ وَالْأَدْيَانِ وَاللِّدُّوْلِ صَلَاحٌ وَفَسَادٌ ، وَإِقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ ، وَزِيَادَةٌ وَنَقْصَانٌ ؛ وَلَوْ كَانَ مَا خِلْتَهُ لَازِمًا ، لَكُنَّا لَا نَنْتَقِي مَلِكًا عَادِلًا ، وَلَا سَائِسًا فَاضِلًا ، وَلَا نَاطِرًا نَاطِلًا ، وَلَا مَدِيرًا عَالِمًا ؛ وَكَانَ هَذَا لَا يُعْرَفُ وَلَا يُعْهَدُ ، وَيَكُونُ فِي عُرْضِ الْمَحَالِ كَوْنُهُ وَوُجُودَانُهُ ؛ وَلَيْسَ الْأَمْرُ هَكَذَا فَقَدْ عَهَدْنَا مِثْلُ أَبِي جَعْفَرٍ بِسُجِسْتَانَ ، وَكَانَ وَاللَّهِ بَصِيرًا خَيْرًا ، عَالِمًا حَكِيمًا ، يَقِظًا حَذِرًا ، يَخْلُقُ وَيُفْزِرُ ، وَيَرِشُ وَيَبْرِى ، وَيَكْسُو وَيُعْرِى ، وَيُعْرِضُ وَيُبْرِى ، وَهَكَذَا مِثْلُ أَبِي جَعْفَرٍ بِالْأَمْسِ مَلِكِ الْعِرَاقِ فِي خَزَائِمَتِهِ وَصَرَائِمَتِهِ وَقِيَامِهِ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ ، بِنَظَرِهِ وَتَدْيِيرِهِ ؛ وَكَذَلِكَ قَدْ عَهِدَ النَّاسُ قَبْلَنَا مِثْلَ هَذَا ، فَلَمْ يَقَعْ التَّعْجَبُ مِنْ شَيْءٍ عَلَيْهِ مَدَارُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ .

وَقَالَ دِيوجَانِسُ لِصَاحِبِهِ : أَطْلُبُ فِي حَيَاتِكَ هَذِهِ الْعِلْمَ وَالْمَالِ تَمَلِّكَ بِهِمَا

(١) طرِيقاً : يريد غضناً فاضراً .

الناس ، لأنك بين الخاصة والعامة ، فالخاصة تعظمك لفضلك ، والعامة تعظمك لمالك^(١) .

وقال أفلاطون : إن الله تعالى بقدر ما يُعطى من الحكمة يَمْنَع الرزق ؛ قال أبو سليمان : لأنَّ العِلْمَ والمالَ كضَرْتَيْنِ قَلَمًا يَجْتَمِعَانِ وَيَضْطَلِحَانِ ، ولأنَّ حَظَّ الإنسان من المال إنما هو من قَبِيلِ النَّفْسِ الشَّهْوِيَّةِ وَالسَّبْعِيَّةِ ، وَحَظُّهُ مِنَ الْعِلْمِ إنما هو من قَبِيلِ النَّفْسِ الْعَاقِلَةِ ، وهذان الحِظَّانِ كالتعاندَيْنِ وَالضَّدَّيْنِ . قال : فيجب على الحَصِيفِ والمُعِزِّ أن يعلم بأنَّ العالمَ أَشْرَفُ فِي سِنِّهِ وَعُنْفُورِهِ ، وَأَوَّلُهُ وَآخِرُهُ ، وَسَفَرُهُ وَحَضَرُهُ ، وشهادته [وَمَغْيِبُهُ^(٢)] من ذى المال ؛ فإذا وَهَبَ لَهُ الْعِلْمُ فلا يَأْسَ عَلَى [الْمَالِ الَّذِي يُجْزَى مِنْهُ الْيَسِيرُ ، وَلَا يُلْهَبُ نَفْسُهُ عَلَى] فَوْتِهِ حَسْرَةً وَأَسْفًا ؛ فَالْعِلْمُ مُدَبِّرٌ ، وَالْمَالُ مُدَبِّرٌ ؛ وَالْعِلْمُ نَفْسِيٌّ ، وَالْمَالُ جَسَدِيٌّ ، وَالْعِلْمُ أَكْثَرُ خُصُوصِيَّةً بِالْإِنْسَانِ مِنَ الْمَالِ ، وَأَقَاتَ صَاحِبَ الْمَالِ كَثِيرَةً وَسَرِيعَةً ، لِأَنَّكَ لَا تَرَى عَالِمًا سُرِقَ عِلْمُهُ وَتُرِكَ فَقِيرًا مِنْهُ ؛ وَقَدْ رَأَيْتَ جَمَاعَةً سُرِقَتْ أَمْوَالُهُمْ وَنُهِبَتْ وَأُخِذَتْ ، وَبَقِيَ أَصْحَابُهَا مُحْتَاجِينَ لَا حِيلَةَ لَهُمْ ؛ وَالْعِلْمُ يَرْكُوزُ عَلَى الْإِنْفَاقِ ، وَيَضَحَبُ صَاحِبَهُ عَلَى الْإِمْلَاقِ ؛ وَيَهْدِي إِلَى الْقَنَاعَةِ ، وَيُسَبِّلُ السُّرَرَ عَلَى الْفَاقَةِ ؛ وَمَا هَكَذَا الْمَالُ .

(١) عبارة « ب » فالخاصة تعظمك بما تعلم ، والعامة تعظمك بما تملك .

(٢) لم ترد هذه الكلمة في كلا الأصلين .

الليلة الثامنة عشرة^(١)

وقال مرة : تعال حتى نجعل ليلتنا هذه مجوسية ، ونأخذ من الهزل بنصيب
 وافر ، فإن الجِدَّ قد كدنا ، ونال من قوانا ، وملأنا قبضاً وكرهاً ، هاتِ ماعثُكَ ؛
 قلتُ : قال حسنون المجنون بالكوفة يوماً — وقد اجتمع إليه المُجَّان يصف كلُّ
 واحد منهم لذات الدنيا — قال : أما أنا فأصِفُ ماجرُتَهُ ؛ فقالوا : هاتِ ؛ قال
 الأمن والعافية ، وصنعُ الثلج الزرق ، وحكُّ الجرب ، وأكلُ الرُّمان في الصيف
 والطلاء في كلِّ شهرين ، وإتيان النساء الرُّغن والصبيان الرُّعر^(٢) ، والشو
 بلا سراويل بين يدي من لا تحشمه ، والقرْبدة على الثقل ، وقلة خلاف
 من تحبُّه^(٣) [والتمرس^(٤) بالحقى] ومواخاة ذوى الوفاء ، وترك معاشر السُّفلة
 وقال الشاعر :

أصبحتُ من سُفلِ الأنامِ إذ بفتُ عِرْضِي بالطعامِ
 أصبحتُ صفحاً^(١) لثي ثم النفس من قومٍ لثامِ
 في أُنْتِ أُمِّ رَبَّاتِ الحيا م ومن يحنُّ إلى الحيامِ

(١) هذا المدح حسبها هو وارد في (١) وقد سبق لنا استظهار غير ذلك في الحاشية رقم
 من صفحة ٢٧ فانظرها . ويلاحظ أن المؤلف قد أتى في هذه الليلة ببعض من المحبون السا
 والنواتر البخلية ، ولولا الأمانة العلمية والإخلاص للتاريخ لحذفنا أكثرها واكتفينا بما لط
 ورق ولم ينب عنه الذوق . على أن المؤلف قد اعتذر عن ذلك في آخر الليلة من ٦٠ من
 إلى أقوال بعض الصحابة

(٢) الزمر : جمع أزمِر ، وهو الذي لا شعر له .

(٣) في الأصل « والتمرى » ؛ وهو تحريف لإذ لا يناسب مضاه سياق ما يأتي به
 والتمرس بالحقى الاحتكاك بهم لإظهار ما عندهم من المحافة تفكها بهم .

(٤) صفحاً ، أى يصف من الناس لقلته وخسته .

نفسى تمنى إلى الهلا م^(١) الموت من دون الهلام
 من لعم جذى راضع رخص^(٢) المفاسل والعظام
 هذا لأولاد الخطا يا والبغايا والعوام
 حتى القدور الراسيا ت وإن صممن عن الكلام
 وقصاعهن^(٣) إذا أتت نك طالحات بالسلام
 تهنى على سكباجة^(٤) تشفى القلوب من السقام
 يا عاذلى أنسرت فى عذل الخلع المستهام
 رجل يعض إذا نصحه ت له على فأس اللجام^(٥)
 دغ عذل من يعمى القذو ل ولا يصيخ إلى التلام
 خلع العذار وراح فى نوب المعامى والأثام
 شيخ يمسلى قاعدا وبينك عشرا من قيام
 ويعاف نيك الغانيا ت ويشهى نيك الغلام
 وتراه يرعد حيف يذ كر عنده شهر الصيام
 خوفا من الشهر المعد ب نفسه فى كل عام
 سلس القياد إلى التنا بى والتلاهى والعوام
 من للرؤوة والفتوة بعد موتى والندام
 من للسماح وللرما ح لدى الهزاهز والعسام

(١) الهلام : مرق الكبايج يبرد ويصق من الدهن .

(٢) رخص المفاسل : لينها .

(٣) جبل ما فى القصاع من الزبد والحم كانه تحية وتسليم على من تقبل عليه .

(٤) السكباجة : مرق يصل من اللحم والحل ؛ وهو فارسي مرعب .

(٥) فأس اللجام : الحديدية القائمة فى حنك الدابة .

مَنْ لِلْوَاطِ وَلِلْحُلَا ق^(١) وَلِلْمِلَاتِ الْمِظَامِ

كان مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْجُرْجَانِيُّ مَتَقَرًّا فِي كَلَامِهِ ، فَدَخَلَ الْحَمَامَ يَوْمًا ،
قَالَ لِلْقَيْمِ : أَيْنَ الْجَلِيدَةُ الَّتِي تَسْلُخُ بِهَا الضَّوِيطةُ ^(٢) مِنَ الْإِخْتِيقِ ؟ قَالَ : فَصَغِ
الْقَيْمِ قَاهُ بِمَجْلِدَةِ النَّوْزَةِ وَخَرَجَ هَارِبًا ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنَ الْحَمَامِ وَجَّهَ إِلَى صَاحِبِ
الشَّرْطَةِ ، فَأَخَذَ الْقَيْمِ وَحَبَسَهُ ، فَلَمَّا كَانَ عِشَاءَ ذَلِكَ الْيَوْمِ كَتَبَ إِلَيْهِ الْقَيْمُ
رُفْعَةً يَقُولُ فِيهَا : قَدْ أَبْرَمَنِي اللَّحْبُوسُونَ بِالسُّئَالَةِ عَنِ السَّبَبِ الَّذِي حُبِسْتُ لَهُ ،
فَإِنَّمَا خَلَيْتَنِي وَإِنَّمَا عَرَفْتَهُمْ . فَوَجَّهَ مَنْ أَطْلَقَهُ ، وَأَتَصَلَ الْخَبِيرُ بِالْفَتَحِ ، فَخَدَّتْ
الْمُتَوَكِّلُ ، فَقَالَ : يَنْبَغِي أَنْ يُغْنَى هَذَا الْقَيْمُ عَنِ الْخِدْمَةِ فِي الْحَمَامِ . وَأَمَرَ لَهُ
بِمَائَتِي دِينَار .

قَالَ ^(٣) : وَكَانَ بِالْبَصْرَةِ مَحْنَثٌ يَجْمَعُ وَيَفْتَشِقُ بَعْضَ الْمَهَالِيَةِ ، فَلَمْ يَزَلْ الْمَحْنَثُ بِهِ
حَتَّى أَوْقَمَهُ ، قَالَ : فَلَقِيْتُهُ مِنْ غَدٍ فَقُلْتُ لَهُ : كَيْفَ [كَانَتْ وَقْعَةُ الْجُفْرَةِ ^(٤) عِنْدَكُمْ
الْبَارِحَةَ ؟ فَقَالَ : لَمَّا تَدَانَتْ [الْأَشْخَاصُ ، وَرَقَّ الْكَلَامُ ، وَالتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ،

(١) الحلاق : قلة شيع الأمان والمرأة من إنايتهما .

(٢) الضويطة : الحماة في أصل الحوض . والإختيق : الشق في الأرض . فقله أراد الجليدة
التي يزال بها الوسخ من الجسد (مجازاً) . وفي كلتا النسختين « الطوطة من الإختيق » ؛ وهو
تصحيح ؛ إذ لم نجد له معنى يناسب السياق ؛ فقلل الصواب ما أثبتنا .

(٣) يلاحظ أنه قد سقط من النسخ اسم الغائل هنا إذ لم يسبق له ذكر .

(٤) أي يجمع بين المتعاشقين .

(٥) الحفرة : موضع بالبصرة كانت به وقعة سنة سبعين بين عبد الملك بن مروان ومصعب
ابن الزبير ، وكان على جيش عبد الملك خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، وخليفة مصعب بن
الزبير على البصرة عبد الله بن عبيد الله بن معمر التميمي ، ودامت هذه الوقعة أربعين يوماً ،
وكان النصر فيها لأهل البصرة . وفي كلتا النسختين « الحفرة » ؛ وهو تحريف . وفي الكلام
تورية كما لا يخفى .

وُلِّطَخَ بَاطِنُهَا بِالْبُرْزَاقِ ، وَقُرِعَ الْبَيْضُ^(١) بِالذُّكُورِ ، وَجَعَلَتِ الرِّمَاحُ تَمُورَ^(٢) ؛
صَبَرَ الْكَرِيمُ فَلَمْ يَجْزَعْ ، وَسَلَّمْ طَائِعًا فَلَمْ يُخَدَعْ ؛ ثُمَّ انْصَرَفَ الْقَوْمُ عَلَى سِلْمٍ ، بِأَفْضَلِ
غَنَمٍ ؛ وَشَفِيتِ الصُّدُورُ ، وَسَكَتَ حَرَارَةُ النُّفُوسِ ، وَمَاتَ كُلُّ وَجَدٍ ، وَأَصِيبَ
مَقْتَلُ كُلِّ هَجْرٍ ، وَأَتَصَلَ الْحَبَلُ ، وَانْتَمَدَّ الْوَصْلُ . قَالَ : فَلَوْ كَانَ أَعَدَّ هَذَا
الْكَلَامَ لِمَسْتَلْتَلِي قَبْلَ ذَلِكَ بِدَهْرِ لَكَانَ قَدْ أَجَادَ .

وَقَالَ أَبُو فَرْعُونَ الشَّاشِيُّ :

أَنَا أَبُو فَرْعَوْنَ فَأَعْرِفُ كُنِّيَتِي حَلَّ أَبُو عَمْرَةَ وَسَطَ حُجْرَتِي
وَحَلَّ نَسِجُ الْمَكْبُوتِ بُرْمَتِي أَعْشَبَ تَنْوِيرِي وَقَلَّتْ حِنَاطِي
وَحَالَفَ الْقَتْلُ زَمَانًا لِحَيَّتِي وَضَعَفَتْ مِنَ الْهَزَالِ ضَرْطِي
وَصَارَ تِبْنَانِي^(٣) كَغَافٍ خُصِنِي أَبْرُ حِمَارٍ فِي حِرٍّ أَمْ عِشْتِي

[أَبُو عَمْرَةَ : صَاحِبُ شُرْطَةِ الْمُخْتَارِ بْنِ عُبَيْدٍ ، كَانَ لَا يَنْزِلُ بِقَوْمٍ إِلَّا
اجْتَنَحَهُمْ ، فَصَارَ مِثْلًا لِكُلِّ شُوْمٍ وَشَرٍّ . وَيُقَالُ أَيْضًا : إِنَّ أَبَا عَمْرَةَ أَسْمُ
الْجُوعِ ، هَكَذَا حَدَّثَنِي بِهِ أَبُو الْحَسَنِ الْبَصْرِيُّ] .

وَأَنْشَدَ بِشَرُّ بْنُ هَارُونَ فِي أَبِي طَاهِرٍ :

أَبَا عَبْدِ الْإِلَهِ وَأَنْتَ حُرٌّ مِنَ الْأَحْرَارِ مَتَزَوِعُ الْقِلَادَةِ

(١) يَشِيرُ إِلَى قَوْلِ مِهْلَهْلِ بْنِ رِيْمَةَ :

فَلَوْلَا الرِّيحُ أَسْمَعُ مِنْ مَجْجَرِ صَلِيلِ الْبَيْضِ تَقْرِعُ بِالذُّكُورِ
يُرِيدُ الشَّاعِرُ بِالذُّكُورِ : السُّيُوفَ ، وَبِالْبَيْضِ : الَّتِي تَلْبَسُ عَلَى الرَّأْسِ فِي الْحَرْبِ . وَفِي الْكَلَامِ هُنَا
وَرِيَّةٌ لَا تَخْفَى عَلَى ذِي فَهْمٍ .

(٢) تَمُورٌ ، أَيْ تَضَطَّرِبُ .

(٣) التِّبْنَانُ : سَرَاوِيلُ صَغِيرِ بَيْتَرِ الْعَوْرَةِ الْمُنْتَظَّةِ . وَكَغَافٍ الْمَيِّءِ : مِثْلُهُ . يَقُولُ :

نَ سَرَاوِيلَهُ بِمَقْدَارِ خَصِيَّتَيْهِ ، يَشِيرُ إِلَى قَرْنِهِ وَقَلَّةِ مَقْدَرِهِ عَلَى تَوْسِيعِ سَرَاوِيلِهِ .

سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ لَتُخْبِرَنِي أَجْهَلَكَ مُسْتَفَادٌ أَمْ وَلَادَةٌ ؟
فَإِنْ يَكُ فَيْكَ مَوْلُودًا فَضَدُّْ . وَإِنْ يَكُ حَادِثًا لَكَ بِأَسْتَفَادَةٍ
فَوَاعْجَبًا يَزِيدُ النَّاسُ فَضْلًا وَأَنْتَ تَزِيدُ نَقْمًا بِالزَّيَادَةِ !
حَكَى الصُّوْلَى : حَدَّثَنَا مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ قَالَ : كَانَ مَعَنَا غَنَثٌ يَلْقَبُ
مِشْمِشَةً — وَكَانَ أُمِّيًّا — فَكَتَبَ بِخُضْرَتِهِ رَجُلٌ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ كِتَابًا ، فَقَالَ
الْحَثَّثُ : أَوْ كَتَبَ إِلَيْهِ : مِشْمِشَةُ يَقرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ ؛ فَقَالَ : قَدْ فَعَلْتُ — وَمَا
كَانَ فَعَلٌ — فَقَالَ : أَرْنِي ؛ فَقَالَ : هَذَا أَسْمُكَ ؛ فَقَالَ : هِيَاتِ ، اسْمِي فِي
الْكِتَابِ شَبْهُ دَاخِلِ الْأُذُنِ ، فَعَجِبْنَا مِنْ جَوْدَةِ تَشْبِيهِهِ .

قَالَ نَضْلَةُ : مَرَرْتُ بِكَتَّاسَيْنِ أَحَدُهُمَا فِي الْبَيْتِ وَالْآخَرُ عَلَى رَأْسِ الْبَيْتِ ، وَإِذَا
صَبْجَةٌ ، فَقَالَ الَّذِي فِي الْبَيْتِ : مَا الْخَبْرُ ؟ فَقَالَ : قُبِضَ عَلَى عَلِيِّ بْنِ عِيسَى ؟ فَقَالَ :
مَنْ أَمْعَدُوا بَدَلَهُ ؟ قَالَ : ابْنُ الْقُرَاتِ ؛ قَالَ : قَاتِلَهُمُ اللَّهُ ، أَخَذُوا الْمُصْحَفَ وَوَضَعُوا
بَدْلَهُ الطَّنْبُورَ .

[كَتَبَ أَبُو الْعِيَاءِ إِلَى ابْنِ مَكْرَمٍ : قَدْ أَصَبْتُ لَكَ غُلَامًا مِنْ بَنِي نَاعِظٍ ،
ثُمَّ مِنْ بَنِي نَاشِرَةٍ ، ثُمَّ مِنْ بَنِي نَهْدٍ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ : أَتَيْنَا بِمَا تَعَدُّنَا إِنْ كُنْتَ
مِنَ الصَّادِقِينَ .

وَقَدِمَ رَجُلٌ مَعَ أَمْرَأَةٍ إِلَى الْقَاضِي وَمَعَهَا طِفْلٌ ، فَقَالَتْ : هَذَا أَبْنُو ، فَقَالَ
الرَّجُلُ : أَعَزَّ اللَّهُ الْقَاضِيَّ مَا أَعْرِفُهُ ؛ فَقَالَ الْقَاضِي : ائْتِيَ اللَّهَ فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ ، وَلِلْعَاهِرِ الْحَبْرُ ، هَذَا وَأُمُّهُ عَلَى فِرَاشِكَ ؛
قَالَ الرَّجُلُ : مَا تَنَازَعْنَا إِلَّا فِي الْأُسْتِ ، فَمِنْ أَيْنَ لِي وَلَدٌ ؟ فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ :

أَعَزَّ اللَّهُ الْقَاضِي ؛ قُلْ لَهُ : مَا رَأَيْتَ ؟ يُعَرِّفُهُ ^(١) ؛ فَكَفَّ الرَّجُلُ ، وَأَخَذَ بِيَدِ وَلَدِهِ وَانصَرَفَ ^(٢) .

قال : وَصِمْتُ آخَرَ يَقُولُ لِشَاطِرٍ ^(٣) : أُسْكُتُ ، فَإِنَّ نَهْرًا جَرَى فِيهِ الْمَاءُ لَا بَدْءَ أَنْ يَعُودَ إِلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ الْآخَرُ : حَتَّى يَعُودَ إِلَيْهِ الْمَاءُ [تَكُونُ] قَدْ مَاتَتْ ضَفَادِعُهُ .

وَمِنْ كَلَامِ الشُّطَّارِ : أَنَا الْبَغْلُ الْحَرُونُ ، وَالْجَمَلُ الْمَاهِجُ ، أَنَا الْفِيلُ الْمُتَغَنِّمُ لَوْ كَلَّفَنِي عَدُوِّي لَعَقَدْتُ شَعْرَ أَنْفِهِ إِلَى شَعْرَ أُسْتِهِ حَتَّى يَشُمَّ فُسَاهُ ، كَأَنَّهُ التُّنْفُذَةُ . وَقَالَ بَعْضُ الْقُصَّاصِ : فِي النَّبِيذِ شَيْءٌ مِنَ الْجَنَّةِ (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ) وَالنَّبِيذُ يُذْهِبُ الْحَزْنَ .

قال ^(٤) وَصِمْتُ مَاجَنَةً تَقُولُ : ضُرٌّ وَسُرٌّ ، وَقَدْ وَازَقْتُ ، وَاطَّرَحْتُ وَاقْتَرَحْتُ . قَالَ ابْنُ أَبِي طَاهِرٍ : دَعَا مَرْءَةً قَوْمًا وَأَمَرَ جَارِيَتَهُ أَنْ تَبْخُرَ هَمَّ ، فَأَدْخَلَتْ يَدَهَا فِي ثُوبٍ بَعْضُهُمْ فَوَجَدَتْ أَيْرَهُ قَائِمًا ، فَخَلَّتْ تَمْرُسُهُ وَتَلَعَّبَ بِهِ وَأَطَالَتْ ؛ فَقَالَ مَوْلَاهَا : أَيُّ شَيْءٍ آخَرُ هَذَا الْعُودُ ؟ أَمَا أَحْتَرَقُ ؟ قَالَتْ : يَا مَوْلَايَ ، هُوَ عُقْدَةٌ .

قَالَ مَزِيدٌ : كَانَ الرَّجُلُ فِيمَا مَضَى إِذَا عَشِيَ الْجَارِيَةَ رَاسَلَهَا سَنَةً ، ثُمَّ رَضِيَ أَنْ يَنْضَعِ الْعِلَّكَ الَّذِي تَنْضَعُهُ ، ثُمَّ إِذَا تَلَاقَا تَحَدَّثَا وَتَنَاشَدَا الْأَشْعَارَ ، فَصَارَ الرَّجُلُ الْيَوْمَ إِذَا عَشِيَ الْجَارِيَةَ لَمْ يَكُنْ لَهُ هَمٌّ إِلَّا أَنْ يَرْفَعَ رِجْلَهَا كَأَنَّهُ أَشْهَدَ عَلَى نِكَاحِهَا أَبَا هُرَيْرَةَ .

- (١) يعرفه ، أى يعرف ما رأى ، أى يذكر العلامات التى رآها فى هذا الموضع .
 (٢) يلاحظ أن آخر هذه القصة وكثيراً من ألفاظها مطبوس الحروف فى نسخة (ب) ؟ وهى التى وردت فيها وحدها ، فلتراجع فى هامش ورقة ٢١٠ من هذه النسخة .
 (٣) الشاطر ، هو من أعيا أهله خبثاً .
 (٤) يلاحظ أنه لم يذكر هنا اسم القائل ؟ فقله سقط من الناسخ . إذ لم يجب

قال ابن سيرين : كانوا يَسْتَقُونَ من غير رِبية ، فكان لا يُسْتَنَكِرُ مِنَ الرَّجُلِ أَنْ يَجِيءَ فيحَدِّثُ أَهْلَ الْبَيْتِ ثُمَّ يَذْهَبُ . قال هشام : ولكنهم لا يَرْضَوْنَ الْيَوْمَ إِلَّا بِالْمَوَاقِعَةِ .

قال الأصمعيّ : قلتُ لأعرابيّ : هل تعرفون العشقَ بالبادية ؟ قال : نعم ، أَيْكُونُ أَحَدٌ لَا يَعْرِفُهُ . قلتُ : فما هو عندهم ؟ قال : الْقُبْلَةُ وَالضَّمَّةُ وَالشَّمَّةُ ، قلتُ : ليس هو هكذا عندنا . قال : وكيف هو ؟ قلتُ : أَنْ يَتَفَخَّذَ الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ فَيُبَايِعَهَا . فقال : قد خَرَجَ إِلَى طَلَبِ الْوَلَدِ .

قال بِشْرُ بْنُ هَارُونَ :

إِنْ أَبَا مُوسَى لَهُ لِحْيَةٌ تَدْخُلُ فِي الْجُفْرِ بِلَا إِذْنِ
وَصُورَةٍ فِي الْعَيْنِ مِثْلُ الْقَذَى وَنَفْسَةٌ كَالْوَقْرِ فِي الْأُذُنِ
كَمْ صَفَقَتُهُ صَاحَتَ إِلَى صَافِعٍ بِالنَّعْلِ مِنْ أَخْذَعِهِ : خُذْنِي
وقال لنا أبو يوسف : قال جحظة : حضرتُ مجلساً فيه جماعةٌ من وُجُوهِ
الْكِتَابِ ، وَعِنْدَنَا قَيْنَةٌ مُحْسِنَةٌ حَاضِرَةٌ الْنَادِرَةُ ، فَقَالَ لَهَا بَعْضُهُمْ : بِحَيَاتِي
عَلَيْكَ عَقَى لِي :

لَسْتُ مِثِّي وَلَسْتُ مِنْكَ فَدَعْنِي وَأَمْنِي عَفَى مُصَاحِبًا بِسَلَامٍ
فَقَالَتْ : أَهَكَذَا كَانَ أَبُوكَ يَغْنِيكَ ؟ فَأَخْجَلَتْهُ .

اشْتَرَى مَدِينِي رُطْبًا ، فَأَخْرَجَ صَاحِبُ الرُّطْبِ كَيْلَاجَةً صَغِيرَةً لِيَكِيلَ بِهَا ،
فَقَالَ الْمَدِينِيُّ : وَاللَّهِ لَوْ كَلَّتْ بِهَا حَسَنَاتِي مَا قِيلَتْهَا .

سَثَلَ أَبُو عُمَارَةَ قَاضِيَ الْكُوفَةِ : أَيُّ بَنِيكَ أَثْقَلُ ؟ قَالَ : مَا فِيهِمْ بَعْدَ الْكَبِيرِ
أَثْقَلُ مِنَ الصَّغِيرِ إِلَّا الْأَوْسَطُ .

اجتمع جماعة عند جامع الصيدناني ، فقال أحدهم : ليس للمخمور أضع من سلحه ، فقال جامع : أخذتها والله من قمي .

قال رجل لرؤية : أتهمز الخروا ؟ قال : يا بصيعة يا ابن الخبيثة .

وقف أعرابي على قوم يسائلهم ، فقال لأحدهم : ما أسمك ؟ قال : مانع ؛

وقال للآخر : ما أسمك ؟ قال : محرز ؛ وقال للآخر : ما أسمك ؟ قال : حافظ ؛

قال : قبّحك الله ، ما أظن الأقال إلا من أسمائكم .

[من كلام العامة : « منارة الإسكندرية عندك خشخاشة فارغة »^(١)]

قال جحظة : قرأت على نص ماجنة : ليلة عرسي ؛ تقبوا بالأيبر كسي .

وعلى نص ماجنة أخرى ؛ السحق أخفى والتيك أشفى .

وقال جحا لأبي مسلم صاحب الدعوة : إني نذرت إن رأيتك أن آخذ منك

ألف درهم . فقال : رأيت أصحاب النذور يعطون لا يأخذون ، وأمر له بها^(٢) .

قال السري : رأيت الخخفت الذي يعرف بالغيرب^(٣) ، وإنسان من العامة قد

آذاه وطال ذلك ، فالتفت إليه وقال له : يا مشقوق ؛ نعلك زائفة ، وقيصك مقرون

الحاجبين ، وإزارك صدف أزرق ، وأنت تتلاهي بأولاد الملوك والأمراء . قال

السري : نجعل العائن ومرا ، قتلته ؛ فسر لي هذا الغريب . فقال : إغص

إلى نعلب . قتلته ؛ ليس هذا من عمله ؛ فسر له لي . قال : النعل الزائفة^(٤) [التي

(١) موضع هذه النقطة في «ب» كلام مطبوس لم نستطع قراءته . فليراجع في هامش

ورقة ٢١١ من النسخة المذكورة .

(٢) في «ب» بألف درهم .

(٣) بالغيرب ، أي بالغيرب من الألفاظ . هذا ما يظهر لنا من سياق القصة ، أو لعله لقبه .

(٤) لعل ذلك مأخوذ من زافت الحمامة تزوف إذا سجت ذنبها على الأرض ونصرت .

جناحيها . والذي في كلتا النسختين : النعل الزائفة ؛ ولم نجد له معنى فيا واجتمناه من الكتب ؛

فلعل الصواب ما أثبتنا .

تَجْرُفُ التَّرَابَ جَرْفًا ، والقَمِيصُ المَقْرُونُ ، هو الخَلَقَ [الذى فى كَيْفِيهِ رَقْعَتَانِ أَجْوَدُ مِنْهُ ، فَمَا تُفْصِحَانِ بَيَانًا ، وَالْإِزَارُ صَدْفُ أَرْزَقِ ، أَيْ خَرَقٌ مُفْتَتٌ . نَقَلْتُ : قَوْلُكَ : يَأْمَشُقُ ؟ قَالَ : قَطْعُ الظَّهْرِ .

قِيلَ لِلشَّعْبِ : أَيْجُوزُ أَنْ يَصْلَى فِي الْبَيْعَةِ ؟ قَالَ : نَعَمْ . وَيَجُوزُ أَنْ يُخْرَأَ فِيهَا . وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ : الْقُبْلَةُ رَسُولُ الْجَمَاعِ .

وَقَالَ الرَّشِيدُ لِلجَمَازِ : كَيْفَ مَائِدَةُ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى ، يَنْفَعِي الْبَرْمَكِيَّ . قَالَ : شَبْرٌ فِي شَبْرٍ ؛ وَصَحْفَتُهُ مِنْ قَشْرِ الْكُشْحَاشِ ، وَبَيْنَ الرَّغِيفِ وَالرَّغِيفِ مَضْرِبُ كُرَّةٍ ؛ وَبَيْنَ اللَّوْنِ وَاللَّوْنِ فِتْرَةٌ نَبِيٌّ . قَالَ : فَمَنْ يَحْضَرُهَا ؟ قَالَ : الْكِرَامُ الْكَاتِبُونَ ؛ فَضَحَكَ وَقَالَ : لَحَاكَ اللَّهُ مِنْ رَجُلٍ .

قَالَ نَضْلَةُ : دَخَلْتُ سَاقِيَةً فِي الْكَرْنَخِ فَتَوَضَّأْتُ ؛ فَلَمَّا خَرَجْتُ تَعَلَّقَ السَّقَاءُ بِي وَقَالَ : هَاتِ قِطْعَةً ؛ فَضَرَطْتُ ضَرْطَةً وَقُلْتُ : خَلِّ الْآنَ سَبِيلِي فَقَدْ نَقَضْتُ وَضُوءِي ؛ فَضَحَكَ وَخَلَانِي .

وَعَدَّ رَجُلٌ بَعْضَ إِخْوَانِهِ أَنْ يُهْدِيَ إِلَيْهِ بَغْلًا ؛ فَطَالَ مَطْلُهُ ، فَأَخَذَ قَارُورَةً وَبَالَ فِيهَا وَجَاءَ إِلَى الطَّبِيبِ وَقَالَ : انْظُرْ إِلَى هَذَا الْمَاءِ ، هَلْ يُهْدِي إِلَيَّ بَعْضُ إِخْوَانِي بَغْلًا .

حَدَّثَنَا ابْنُ الْخَلَّالِ الْبَصْرِيُّ قَالَ : سَمِعْتُ ابْنَ الْيَعْقُوبِيِّ يَقُولُ : رَأَيْتُ عَلَى بَابِ الْمَرْبَدِ خَالِدًا الْكَاتِبَ وَهُوَ يَنَادِي : يَا مَعْشَرَ الظُّرَفَاءِ ، وَلِلْمُتَخَلِّقِينَ بِالْوَفَاءِ ؛ أَلَيْسَ مِنَ التَّعْجَبِ الْعَجِيبِ ، وَالنَّادِرِ الْغَرِيبِ ، أَنَّ شِعْرِي يُرْتَى بِهِ وَيُلَاطُ مِنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَأَنَا أَطْلُبُ دَرَاهِمًا فَلَا أُعْطَى ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

أَحْرَمُ مِنْكُمْ بِمَا أَقُولُ وَقَدْ نَالَ بِهِ الْعَاشِقُونَ مِنْ عَشِقُوا
صِرْتُ كَأَنِّي ذِبَالَةٌ نُصِبَتْ تُصَيِّدُ لِلنَّاسِ وَهِيَ تَحْتَرِقُ

وسمعتُ المالحين المعروف بالغراب يقول : ويلك أين في ذا ؟ لا تختلط الحنطة بالشعير ، أو يُضغَع الباذنجان قرعاً ، أو يتحول الفجل إلى الباقلاء ، ويصير الخرنوب إلى الأرندج^(١) .

وسمعتُ دجاجة الحنث يقول لآخر : إنما أنت بيت بلا باب ، وقدم بلا ساق ، وأعمى بلا عسا ، ونار بلا حطب ، ونهر بلا مغبر ، وحائط بلا سقف .

وشتم آخر فقال : يارأس الأعمى ، وياعصا المكارى ، ويابرؤنس الجاثليق^(٢) ، يا كودن^(٣) القصار ، يا بيرم^(٤) النجار : يا ناقوس النصارى ؛ يا ذرور العين ، يا تخت^(٥) الثياب ، يا طعن الزئج في الثرس ؛ يا مغرفة القُدور ، ومِكنسة الدور ؛ لا تبالي أين وضعت ؟ ولا أى جحر دخلت ؟ ولا فى أى خان نزلت ، ولا فى أى حمام عمت ؛ إن لم تكن فى الكوة مترساً فتح اللصوص الباب ؛ يارحى على رعى ؛ ووعاء فى وعاء ، وغطاء على غطاء ، وداء بلا دواء ؛ وعمى على عمى ؛ وياجهد البلاء ؛ ويسطحاً بلا ميزاب ، ويعوداً بلا مضراب ، ويقفاً بلا ناب ، ويسكّيناً بلا نصاب ، ويارعداً بلا سحاب ، ويا كوة بلا باب ؛ ويقيصاً بلا مِزر ، وياجسراً بلا نهر ، ويا قرأ على قر ؛ ويا شط الصراة^(٦)

(١) هذه الكلمة مهمة الحروف من النقط فى الأصل ؛ وقد أثبتناها على هذا الوجه لاتفق الخرنوب والأرندج فى اللون . والأرندج : الجلد الأسود ؛ وهو مرتب .

(٢) الجاثليق : من رؤساء النصارى ، معروف .

(٣) السكودن : البقل .

(٤) بيرم النجار : عقله .

(٥) تخت الثياب : ما تصان فيه .

(٦) الصراة : نهر بال عراق .

وَيَا قَصْرًا بِلَا مِسْنَاهُ^(١) وَيَا وَرَقَ الْكَمَاهُ^(٢) ، يَامَطْبُخًا^(٣) بِلَا أَنْوَاهُ^(٤) ؛ يَا ذَنْبَ
الْفَارِ ، يَا قِيدْرًا بِلَا أَزْزَارِ ، يَا رَأْسَ الطُّومَارِ ، يَا رَسُولًا بِلَا اخْتِبَارِ ؛ يَا حَيْطَ
الْبَوَارِي^(٥) ، يَا رَحَى فِي صَحَارِي ، يَا طَاقَاتٍ بِلَا سَوَارِي .

دخل أبو نواس على عِنَانٍ جَارِيَةٍ النَّاطِفِيَّ فَقَالَ لَهَا :

لَوْ رَأَى فِي الْبَيْتِ جُحْرًا لَنَزَا حَتَّى يَمُوتَا^(٦)
أَوْ رَأَى فِي الْبَيْتِ ثَقْبًا لَتَحَوَّلَ^(٧) عَنْكَبُوتَا

فَأَجَابَتْهُ :

زَوَّجُوا هَذَا بِالْفِ وَأُظِنُّ الْأَلْفَ قُوْنَا
قَبْلَ أَنْ يَنْقَلِبَ الدَّاءُ ، فَلَا يَأْتِي وَيُوتِي

فَقَالَ — أَدَامَ اللَّهُ دَوْلَتَهُ ، وَبَسَطَ لَدَيْنِي رِعْمَتَهُ — قَدَّمَ هَذَا الْفَنَّ عَلَى غَيْرِهِ ،
وَمَا ظَنَنْتُ أَنَّ هَذَا يَطْرُدُ فِي مَجْلِسٍ وَاحِدٍ ، وَرَبَّمَا عَيْبَ هَذَا النَّمَطُ كُلَّ الْعَيْبِ ،
وَذَلِكَ ظُلْمٌ ، لِأَنَّ النَّفْسَ تَحْتَاجُ إِلَى بَشَرٍ . وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ كَانَ يَقُولُ
فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الْخَوْضِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْفِقْهِ وَاللِّسَانِ : ائْتَمُّضُوا ، وَمَا أَرَاهُ
أَرَادَ بِذَلِكَ إِلَّا لَتَعْدِيلِ النَّفْسِ لثَلَاثَ يَلْحَقَهَا كَلَالُ الْحِدِّ ، وَلِتَقْتَسِسَ نَشَاطًا فِي
الْمُسْتَأْنَفِ ، وَلِتَسْتَعِدَّ لِقَبُولِ مَا يَرِدُ عَلَيْهَا فَتَسْمَعَ ؛ وَالسَّلَامُ .

(١) المسناة : الرفاة ، من السناء بالمد ، وهو الملوّ والرفعة .

(٢) الكماه غلظة : الكماء بالهمز .

(٣) في الأصل . « مصرجا » ؛ وهو تحريف .

(٤) الأنواء : التوابل .

(٥) البواري بتشديد الباء : ضرب من الحصر تعمل من البردي مرفوعة بمصر إلى اليوم .

(٦) في كتاب أخبار أبي نواس لابن منظور : اجتمع أبو نواس مع عِنَانٍ فَأَجْلَبَ عَلَيْهَا وَقَالَ :

لَوْ رَأَى فِي السَّقْفِ مِدْمًا لَنَزَا حَتَّى يَمُوتَا

(٧) كَذَا وَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي الْأَصْلِ . وَلَا يَخْفَى أَنَّ تَسْكِينَ الْفِعْلِ لضرورة الشعر .

الليلة التاسعة عشرة

وَرَسَمَ بِجَمْعِ كَلِمَاتِ بَوَارِعَ ، قِصَارِ جَوَامِعَ ، فَسَكَبْتُ إِلَيْهِ أَشْيَاءَ كُنْتُ أَسْمَعُهَا مِنْ أَفْوَاهِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ ، وَفِيهَا قَرَنُ الْحَيِّ ، وَتَنْبِيهٌُ لِلْعَقْلِ ، وَإِمْتِنَاعٌ لِلرُّوحِ ، وَمَعُونَةٌ عَلَى اسْتِفَادَةِ التَّيَقُّظَةِ ، وَانْتِفَاعٌ فِي الْمَقَامَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ ، وَتَمَثُّلٌ لِلتَّجَارِبِ الْمُخْتَلِفَةِ ؛ وَامْتِثَالٌ لِلْأَحْوَالِ الْمُتَنَافِئَةِ .

من ذلك :

« الْحَمْدُ لِلَّهِ » مِفْتَاحُ الْمَذَاهِبِ . الْبِرُّ يَسْتَعِيدُ الْحُرَّ . الْقَنَاعَةُ عِزُّ الْمُفْسِرِ . الصَّدَقَةُ كَنْزُ الْمُؤْمِرِ . مَا انْقَضَتْ سَاعَةٌ مِنْ أَمْسِكَ إِلَّا يَبْضَعُكَ مِنْ نَفْسِكَ . دِرْهَمٌ يَنْفَعُ خَيْرٌ مِنْ دِينَارٍ يَضُرُّ . مَنْ سَرَّهُ الْفَسَادُ ، سَاءَ الْعَادُ . الشَّقِيُّ مَنْ جَمَعَ لِنَفْسِهِ فَضْنٌ عَلَى نَفْسِهِ بِخَيْرِهِ . زِدْ مِنْ طَوْلِ أَمَلِكَ فِي قَصْرِ عَمَلِكَ . لَا يُغْنِيكَ صِحَّةُ نَفْسِكَ ، وَسَلَامَةُ أَمْسِكَ ، فَمُدَّةُ الْعُمُرِ قَلِيلَةٌ ، وَصِحَّةُ النَّفْسِ مُسْتَحِيلَةٌ . مَنْ لَمْ يَغْتَبِرِ بِالْأَيَّامِ ، لَمْ يَنْزَجِرْ بِالتَّلَامِ . مَنْ أَسْتَفَنَى بِاللَّهِ عَنِ النَّاسِ ، أَمِنَ مِنْ عَوَارِضِ الْإِفْلَاسِ . مَنْ ذَكَرَ الْمَنِيَّةَ ، نَسِيَ الْأَمَنِيَّةَ . الْبَغِيلُ حَارِسُ نِعْمَتِهِ ، وَخَازِنُ وَرَثَتِهِ . لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْ دُنْيَاهُ ، مَا يُبْعِثُهُ عَلَى عِمَارَةٍ أُخْرَاهُ . مَنْ أُرْتَدَى بِالْكَفَافِ ، اكْتَفَى بِالْعَفَافِ . لَا تَخْذَعَنَّكَ الدُّنْيَا بِخُدَائِمِهَا ، وَلَا تَفْتِنَنَّكَ بَوْدَائِمِهَا . رَبُّ حُجَّةٍ ، تَأْتِي عَلَى مُهْجَةٍ ؛ وَرُبُّ مُرْصَعةٍ ، تُؤَدِّي إِلَى عُصَّةٍ . كَمْ مِنْ دَمٍ ، سَفَكَهُ قَمٌّ . كَمْ إِنْسَانٍ ، أَهْلَكَهُ لِسَانٌ . رَبُّ حَرْفٍ ، أَدَّى إِلَى حَتْفٍ . لَا تَقْرُطْ ، فَتَسْقُطَ . الزَّمُ الصَّمْتُ ، وَأَخْفِ الصَّوْتِ . مَنْ حَسُنَتْ مَسَاعِيهِ ، طَابَتْ مَرَاعِيهِ . مَنْ أَعَزَّ فَلَاسُهُ ، أَذَلَّ نَفْسُهُ . مَنْ طَالَ

عُدُوَّهُ ، زَال سُلْطَانُهُ . مَنْ لَمْ يَسْتَظْهَرْ بِالْيَقَظَةِ ، لَمْ يَنْتَفِعْ بِالْحَفَظَةِ . مَنْ
اسْتَهْدَى الْأَعْمَى عَمَى عَنِ الْمُهْدَى . مَنْ اغْتَرَّ بِمِحَالِهِ ، قَصَرَ فِي أَحْتِيَالِهِ .
زَوَالَ الدُّوَل ، بِاصْطِنَاعِ السُّقُل . مَنْ تَرَكَ مَا يَمْنِيهِ ، دُفِعَ إِلَى مَا لَا يَمْنِيهِ .
ظَلَمَ الْمُتَمَال ، مِنْ ظُلْمَةِ الْأَعْمَال . مَنْ اسْتَشَارَ الْجَاهِلَ ضَلَّ ، وَمَنْ جَهَلَ مَوْضِعَ
قَدَمِهِ زَلَّ . لَا يَغُرُّكَ طُولُ الْقَامَةِ ، مَعَ قِصَرِ الْأَسْتِقَامَةِ ، فَإِنَّ الدَّرَّةَ مَعَ
صِغَرِهَا ، أَنْفَعُ مِنَ الصَّخْرَةِ عَلَى كِبَرِهَا . تَجَرَّعَ مِنْ عَدُوِّكَ الْغُصَّةَ ، إِنْ لَمْ
تَقُلْ مِنْهُ الْقُرْصَةَ ، فَإِذَا وَجَدْتَهَا فَأَتَهَزَّهَا قَبْلَ أَنْ يَفُوتَكَ الدَّرَكُ ، أَوْ يَصِيبَكَ
الْفَلَكَ ، فَإِنَّ الدُّنْيَا دَوْلٌ تَبْنِيهَا الْأَقْدَارُ ، وَيَهْدِيهَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ . مَنْ زَرَعَ
الْإِحْسَانَ ، حَصَدَ الْحَسَنَ . مَنْ بَعَدَ مَطْمَعُهُ ، قَرُبَ مَعْرَعُهُ . الثَّعْلَبُ فِي إِقْبَالِ
جَدِّهِ ، يَغْلِبُ الْأَسَدَ فِي اسْتِقْبَالِ شَدِّهِ . رُبَّ عَطَبٍ ، تَحْتَ طَلَبِ . اللِّسَانُ ،
رِقُّ الْإِنْسَانِ . مِنْ ثَمَرَةِ الْإِحْسَانِ ، كَثْرَةُ الْإِخْوَانِ ، مَنْ سَأَلَ مَا لَا يَجِبُ ،
أُجِيبَ بِمَا لَا يَجِبُ ، وَأَنْشَدْتُ :

وَلَيْسَ لَنَا عَيْبٌ سِوَى أَنْ جُودَنَا أَضَرَّ بِنَا وَالْبَأْسَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
فَأَفْنَى النَّدَى أَمْوَالَنَا غَيْرَ ظَالِمٍ وَأَفْنَى الرَّدَى أَعْمَارَنَا غَيْرَ عَائِبٍ
أَبُونَا أَبٌ لَوْ كَانَ لِلنَّاسِ كُلِّهِمْ أَبٌ مِثْلُهُ أَغْنَاهُمْ بِالْمُنَاقِبِ

(٢) قَالَ حَمِيدُ بْنُ الصَّيْمَرِيِّ لِابْنِهِ : إِحْسَبِ السُّلْطَانَ بِشِدَّةِ التَّوَقُّعِ كَمَا تَضَعِبُ
السَّمْعَ الضَّارِيَ وَالْقِلِيلَ الْمُتَعَلِّمَ وَالْأَمَى الْقَاتِلَةَ ؛ وَأَحْسَبِ الصَّدِيقَ بِلَيْنِ الْجَانِبِ
وَالْتَوَاضُعِ ؛ وَأَحْسَبِ الْعَدُوَّ بِالْإِعْذَارِ إِلَيْهِ وَالْحِجَّةِ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ ؛ وَأَحْسَبِ الْعَائِمَةَ
بِالْبَرِّ وَالْبَشَرِ وَاللَّطْفِ بِاللِّسَانِ .

وَقَعَ عَبْدُ الْحَمِيدِ الْكَاتِبُ عَلَى ظَهْرِ كِتَابٍ : يَا هَذَا ، لَوْ جَعَلْتَ مَا تَحْمِلُهُ
الْقِرَاطِيسُ مِنَ الْكَلَامِ مَالًا حَوَيْتَ جَمَالًا وَحُزْتَ كَمَالًا .

وَوَقَعَ السَّقَاحُ مَرَّةً : مَا أَقْبَحَ بِنَا أَنْ تَكُونَ الدُّنْيَا لَنَا وَحَاشَيْتُنَا خَارِجُونَ مِنْهَا ،
فَجَعَلَ أَرْزَاقَهُمْ ، وَزِدَ فِيهَا عَلَى قَدَرِ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

قَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ : عُنْوَانُ الشَّرَفِ ، حُسْنُ الْخَلَفِ .

وَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ — عَلَيْهِمَا السَّلَامُ — : إِنْ لَمْ تَجْفُ ، فَقَلَّمَا تَصْنُفُ .

وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ : النَّخْلَةُ جِذْعُهَا كَمَاءٌ ^(١) ، وَلِيفُهَا رِشَاءٌ ، وَكَرْبُهَا ^(٢) صِيْلَاءٌ ،
وَسَعْفُهَا ضِيَاءٌ ^(٣) ، وَحَمْلُهَا غِذَاءٌ .

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : سَمِعْتُ كَسَّاحًا ^(٤) يَقُولُ لِفُلَانٍ لَهُ : أَلَمْ أَضَعْ إِزَارَكَ ، أَلَمْ أَصْنَعْ
عُودَ مِجْرَفَتِكَ ؟ أَلَمْ أَجْعَلَكَ كَسَّاحًا عَلَى حِمَارَيْنِ ؟

وُجِدَ كِتَابٌ بِالْمِينِ فِيهِ : أَنَا فُلَانَةٌ بِنْتُ فُلَانِ التُّبَعِيِّ ، كُنْتُ آكُلُ
الْبَقْلَ الرَّطْبَ مِنَ الْهِنْدِ وَأَنَا بِالْمِينِ ، نَمَّ جُفْنًا حَتَّى اشْتَرَيْنَا مَكْكُوكَ ^(٥) بَرًّا بِمَكْكُوكِ
دُرٍّ ، مِنْ يَوْسَفَ بْنِ يَعْقُوبَ بِمِصْرَ ، فَمِنْ رَأَيْنَا فَلَا يَفْتَرُّ بِالدُّنْيَا .

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ — كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ — لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي ثَعْلَبٍ يَوْمَ
صِفِّينَ : أَلَا تَرَى نَمَّ مُعَاوِيَةَ ؟ قَالُوا : مَا آثَرْنَا ، وَلَكِنَّا آثَرْنَا الْقَسْبَ ^(٦) الْأَصْفَرَ ،
وَالْبَرَّ الْأَخْضَرَ ، وَالزَّيْتَ الْأَخْضَرَ .

(١) فِي الْأَصْلِ : «مَاءٌ» ؟ وَالتَّوْنُ سَافِلَةٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(٢) الْكَرْبُ : أَصُولُ السَّفْرِ الْفَلَاطُ الْمَرَاثُ .

(٣) يُرِيدُ أَنْ نَارَ السَّفْرِ يَطْلُو لَهَا وَيَسْطَعُ ، فَهِيَ صَالِحَةٌ لِلِاسْتِضَاءَةِ دُونَ الْأَصْطِلَاءِ .

(٤) الْكَسَّاحُ : الْكَتَّاسُ ؟ وَمَنْ يَنْظِفُ الْبُخْرَ وَالتَّهْرَ وَيُنَحِّمُوهُمَا .

(٥) الْمَكْكُوكُ : مَكِّيَالٌ بِسَعِ صَاعًا وَنِصْفًا أَوْ نِصْفَ رَطْلٍ لِلِى ثَمَانٍ أَوْاقٍ .

(٦) الْقَسْبُ : الْبُخْرُ الْبَاسِ .

قيل للحسن بن علي — رضى الله عنه — لما صالح معاوية : يا عاز المؤمنين .
 فقال : العارُ خيرٌ من النار .

نظر الحجاج يوماً على المائدة إلى رجل وجأ عنق رجل آخر ، فدعا بهما ،
 فقال للواحي : علام صنعت ؟ فقال : غصَّ بعظم فخفت أن يقتله ، فوجأت عنقه
 فألقاه ؛ فسأل الآخر فقال : صدق ؛ فدعا بالطباخ فقال له : أئدع العظام في طعامك
 حتى يفص بها ؟ فقال : إن الطعام كثير ، وربما وقع العظم في المرق فلا يزال .
 قال : تصب المرق على المناخل . فكان يفعل^(١) .

قال سلمة بن المحبق^(٢) : شهدت فتح الأبله ، فوقع في سهمي قدر نحاس ،
 فنظرت فإذا هي ذهب فيها ثمانون ألف مثقال ، فكتبت في ذلك إلى عمر ،
 فأجاب بأن يحلف سلمة بأنه أخذها يوم أخذها وهي عنده ، فإن حلف سلمت إليه ،
 وإلا قسمت بين المسلمين ، قال : خلعت فسلمت إلى ، فأصول أموالنا اليوم منها .
 قال بعض الحكماء : لا يصبر على الثروة إلا ذو طبيعة كريمة .

(٣)

أصاب عبد الرحمن بن مدين — وكان رجل صدق بخراسان — مالا عظيما
 فجهز سبعين مملوكا بدوابهم وأسلحتهم إلى هشام بن عبد الملك ، ثم أصبحوا معه

(١) عبارة الأصل : « نصيب المرق على التأخر فكان تفكك » . وفيها تحريف ظاهر .
 والصواب ما أثبتنا .

(٢) في الأصل : « سلمة بن الحبي » . وهو تحريف . والتصويب عن الإصابة والقاموس .
 وضبط في القاموس بكسر الباء المشددة ، وفي الإصابة بفتحها .

(٣) موضع هذه النقط عبارة لابن السكك مهملة أكثر حروفها من النقط ، فلم
 نستطع تحقيق ألفاظها ، ونحن نتيها هنا كما وردت في النسخة المأخوذة بالتصوير الشمسي المحفوظة
 بدار الكتب المصرية (تحت رقم ١١٢١٥ ز) في ص ٣٨٧ ونصها : « وقال ابن السكك لو خرج
 رجل في طلب السنان إلى السكوفة للده والدارق لمعونه بقايه كان خفيفا على إخواته لمرسه » .

يَوْمَ الرَّحِيل ، فَلَمَّا أَسْتَوَى بِهِم الطَّرِيقُ نَظَرَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ : مَا يَنْبَغِي لِرَجُلٍ أَنْ
يَتَقَرَّبَ بِهَؤُلَاءِ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ . ثُمَّ قَالَ : أَذْهَبُوا أَنْتُمْ أَحرَارٌ ، وَمَا مَعَكُمْ لَكُمْ .
وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ : مَنْ قَبِلَ صِلَتَكَ فَقَدْ بَاعَكَ مَرُوءَتَهُ ، وَأَذَلَّ لَقَدْرِكَ عِزَّهُ .
كَتَبَ زِيَادُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَارِثِيُّ إِلَى الْمُهَدِّي :

أَنَا نَادَيْتُ عَفْوَكَ مِنْ قَرِيبٍ كَمَا نَادَيْتُ سُخْطَكَ مِنْ بَعِيدٍ
وَإِنْ عَاقَبْتَنِي فَلَسَوْءٌ فِعْلِي وَمَا ظَلَمْتُ عَقُوبَةً مُسْتَقْبِدٍ
وَإِنْ تَصَفَّخْ فَأَحْسَنُ جَدِيدٍ عَطَفْتَ بِهِ عَلَى شُكْرِ جَدِيدٍ

وَقَالَ رَجُلٌ لِمُحَمَّدِ بْنِ نَحْرِيرٍ : أَوْصِنِي ؛ فَقَالَ : اسْتَمِعْ وَلَا تَتَكَلَّمْ ، وَأَعْرِفْ
وَلَا تُعْرِفْ ، وَأَجْلِسْ إِلَى غَيْرِكَ وَلَا تُجْلِسْهُ إِلَيْكَ .

وَقَالَ رَجُلٌ لَابْنِ أَسِيدٍ^(١) الْقَاضِي : إِنْ أَتَيْتَ تَرِيدُ أَنْ تَوْصِيَ فَتَحَضَّرْ وَتَكْتُبْ ؛

فَقَالَ : وَهَلْ بَلَغَتْ مَبْلَغَ النِّسَاءِ ؟

وَدَخَلَ صَاحِبُ الْمَظَالِمِ بِالْبَصْرَةِ عَلَى رَجُلٍ مُبْرَسَمٍ^(٢) وَعِنْدَهُ طَبِيبٌ يَدَاوِيهِ ،
فَاقْبَلَ عَلَى الطَّبِيبِ وَأَهْلِي الْمَرِيضِ ، وَقَالَ : لَيْسَ دَوَاءُ الْمُبْرَسَمِ إِلَّا الْمَوْتُ حَتَّى
تَقِلَّ حَرَارَةُ صَدْرِهِ ، ثُمَّ حِينَئِذٍ يَعَالَجُ بِالدَّوَايَةِ الْبَارِدَةِ حَتَّى يَسْتَيْلَ .

وَأَجْتَاَزَ بِهِ بَائِعُ دُرَاجٍ فَقَالَ : بَكُمُ تَبِيعُ الدَّرَاجَةَ ؟ فَقَالَ : بَدْرَمُ ؛ فَقَالَ لَهُ :
أَحْسِنِ . قَالَ : كَذَا بَعْتُ . قَالَ : نَأْخُذُ مِنْكَ اثْنَتَيْنِ بِثَلَاثَةِ . قَالَ : هَا لَكَ .
قَالَ : يَا غُلَامُ خُذْ مِنْهُ ، فَإِنَّهُ يُسَهِّلُ الْبَيْعَ .

وَدَخَلَ حَجَّاجُ بْنُ هَارُونَ عَلَى نَجَّاحِ الْكَاتِبِ ، فَذَهَبَ لِيَقْبَلَ رَأْسَهُ ؛ فَقَالَ

(١) يلاحظ أن هذه الطرفة والست التي بعدها كان ألقى بها جميعا باب المحون السابق .

(٢) مبرسم ، أي به برسام ، وهو علة يهذى فيها .

له : لا تفعل ، فإن رأسي مملوء بالذهن ، قال : والله لو أن عليه ألف رطل خراء لقلبتنه .

قدّم لأبن العنحاس سكباجة^(١) فقال لصديق له : كل فإنها أم القرى وعزى ابن العنحاس صديقاً له ماتت أبنته ، قال : من أنت ؟ لا تموت أبنتك البظراء ! قد ماتت عائشة بنت^(٢) النبي صلى الله عليه وسلم . أخذ يعقوب بن اليعنى في أول أمره رجلاً فأستصفاه ، ثم رآه بعد زمان قال له : أيا فلان ، كيف أنت الساعة ؟ قال له : كما كنت أنت قديماً . وكيف كنت أنا ؟ قال : كما أنا الساعة ؛ فأمر له بمشرة آلاف درهم . قال ابن المبارك : إذا وُضِعَ الطعامُ فقد أُذِنَ للأكل .

(٤)

وقال عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — إن العرب لا تصلح بـ لا تصلح بها الإبل .

وقال إبراهيم بن السندي : نظر رجل من قریش إلى صاحب له قد نا غداة من غدوات الصيف طيبة النسيم ، فرآه برجله وقال : مالك عن الدنيا في أطيب وقتها ، ثم عنها في أخبث حالاتها ، ثم في نصف النهار في الليلة الماضية والآتية ، ولأنها راحة لما قبلها من التعب ، وجمام لما بعده العمل ، نمت في وقت الحوائج ، وتنبهت في وقت رجوع الناس ؛ وقد جاء : " فإن الشياطين لا تقيل " .

(١) السكباجة : مرق يعمل من اللحم والمخل .

(٢) يلاحظ أن قوله : « بنت النبي صلى الله عليه وسلم » هو موضع الضمكة بح

وقال إبراهيم بن السُّنْدِي أَيْقَطَتْ أَعْرَابِيَّةٌ أَوْلَادًا لَهَا صِغَارًا قَبْلَ الْفَجْرِ
فِي غَدَوَاتِ الرَّبِيعِ وَقَالَتْ : تَنْسَمُوا هَذِهِ الْأَزْوَاحَ ، وَأَسْتَنْشِقُوا هَذَا النَّسِيمَ ،
وَتَهْتَمُّوا هَذَا النَّسِيمَ ، فَإِنَّهُ يَشُدُّ مِنْ مُنْتَكِمِكُمْ .

وَيُقَالُ فِي الْوَصْفِ : كَأَنَّهُ يَحْرَاكُ نَارًا ، وَكَأَنَّهُ الْجَأَمُ^(١) صَدَى .

وَإِذَا وَصَّوهُ بِالْقَصْرِ قَالُوا : كَأَنَّهُ عَقْدَةٌ رِشًا ، وَأَبْنَةُ عَصَا . وَإِذَا كَانَ ضَعِيفًا
قَالُوا : كَأَنَّهُ قِطْعَةُ زُبْدٍ ، وَالْمَوْلَدُونَ يَقُولُونَ : كَأَنَّهُ أُسْكُرُجَةٌ^(٢) .

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ فِي دُعَائِهِ : اللَّهُمَّ لَا أُحِيطُ بِنِعْمِكَ عَلَى فَأَعُدَّهَا ، وَلَا
أُبْلَغُ كُنْهَ وَاحِدَةٍ مِنْهَا فَأَحُدُّهَا .

دَعَا عَطَاءُ السُّنْدِيُّ فَقَالَ : أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِكَ الْوَاقِعِ ، الَّذِي لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ،
وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِكَ الْوَاسِعِ ، الَّذِي لَيْسَ لَهُ مَانِعٌ .

وَدَعَا بَعْضُ السَّلَفِ : اللَّهُمَّ إِنَّ قَلْبِي وَنَاصِيَّتِي بِيَدِكَ لَمْ تُمَلِّسْنِي مِنْهَا شَيْئًا ،
وَإِذْ فَعَلْتَ ذَلِكَ فَكُنْ أَنْتَ وَلِيَّهُمَا ، فَأَهْدِنَا سَوَاءَ السَّبِيلِ .

وَدَعَا بَعْضُ الصَّالِحِينَ : اللَّهُمَّ مَا كَانَ لِي مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّكَ قَضَيْتَهُ وَيَسَّرْتَهُ
وَهَدَيْتَهُ ، فَلَا حَاجَةَ لِي عَلَيْهِ ؛ وَمَا كَانَ مِنِّي مِنْ سُوءٍ فَإِنَّكَ وَعَظْتَ وَزَجَرْتَ
وَنَهَيْتَ فَلَا عُذْرَ لِي فِيهِ وَلَا حُجَّةَ .

وَدَعَا آخَرُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ سُلْطَانٍ جَائِرٍ ، وَنَدِيمٍ فَاجِرٍ ، وَصَدِيقٍ
غَادِرٍ ، وَغَرِيمٍ مَاسِكِرٍ ، وَقَرِيبٍ مُنَاكِرٍ^(٣) ، وَشَرِيكِ خَائِنٍ ، وَحَلِيفٍ

(١) الجأَم : إناء من فضة .

(٢) أسكرجة : صحيفة صغيرة يوضع فيها الكلام ، وهي فارسية .

(٣) مناكر ، أى محارب .

ماثِن ، وولِدٍ جافٍ ، وخادم هَافٍ ، وحاسد مُلاظِف ، وجارٍ مُلاحِظ ، ورفيقٍ كَسَلان ، وخليِلٍ وَسنان ، و (١) ضَعيف ، ومَرَّ كُوبٍ قَطُوف (٢) ، وزَوْجَةٍ مَبْدُورَةٍ ، ودارٍ ضَيِّقَةٍ .

قال المدائني : قال بعض السلف لابنه : اشْحَذْ طَبْعَكَ بِالْعِيُونِ وَالْفَقَرِ (٣) وَإِنْ قَلَّتْ ، فَإِنَّ الشَّجَرَةَ لَا يَسِينُهَا قَلَّةُ الْحَمَلِ إِذَا كَانَ ثَمَرُهَا نَافِعًا ، وَأَكَلُهَا نَاجِمًا .

(٦) وقيل للأوزاعي : ما كرامة الضيف ؟ قال : طلاقه الوجه .

قال مجاهد في قول الله تعالى : (ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ) قال : قِيَامُهُ عَلَيْهِمْ بِنَفْسِهِ .

وقال عمر بن عبد العزيز : ليس من المروءة أَنْ تَسْتَخْدِمَ الضَّيْفَ .

وقال إبراهيم بن الجُنَيْد : كَانَ يَقَالُ : أَرْبَعٌ لِلشَّرِيفِ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَأْتَفَ مِنْهُمْ وَإِنْ كَانَ أَمِيرًا : قِيَامُهُ مِنْ مَجْلِسِهِ لِأَبِيهِ ، وَخِدْمَتُهُ لَضَيْفِهِ ، وَخِدْمَتُهُ لِلْعَالَمِ يَتَعَلَّمُ مِنْهُ ، وَإِنْ سُئِلَ عَمَّا لَا يَعْلَمُ أَنْ يَقُولَ : لَا أَعْلَمُ .

حاتم كان يقول : الْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا فِي خَمْسَةِ أَشْيَاءَ ، فَإِنَّهَا مِنَ السَّنَةِ : إِطْعَامُ الضَّيْفِ إِذَا حَلَّ ، وَتَجْهِيْزُ الْمَيْتِ ، وَتَزْوِيجُ الْبِكْرِ (٤) ، وَقَضَاءُ الدَّيْنِ ، وَالتَّوْبَةُ مِنَ الذَّنْبِ .

(١) هنا يياض بالأصل .

(٢) المركوب القطوف : الضيق المخلو .

(٣) أي يبيون الكلام البليغ وفقره .

(٤) في رواية : « الكف » .

وقال : من أظلم الضئيف لهما وخُبِرَ حِنْطَةٌ وماء باردًا فقد تَمَّ الضيافة .
وقال حاتم : المَزُورُ المرأى إذا ضاف إنسانًا حدّته بِسَخَاوَةِ إبراهيم الخليل ،
وإذا ضافه إنسانٌ حدّته بزُهد عيسى بنِ مريم .

وقال ميمون بن ميمون : من ضاف البخیل صامت دابّته ، واستغنى عن
الكَنيف ، وأَمِنَ التُّخْمَةَ .

وقال بعض السلف الصالح : لأن أُنْجِعَ إخواني على صاعٍ من طعامٍ أحبُّ
إليَّ من عَتَقِ رَقَبَةٍ .

قال الأعمش : كان الربيعُ بنُ خَثِيمٍ يَصْنَعُ لَنَا الخُبَيْصَ ^(١) ويقدّمه ويقول :
اللهم اغْفِرْ لأَطْيَبِهِمْ نَفْسًا ، وأَحْسَنِهِمْ خُلُقًا ، وَأَرْحَمَهُمْ جَمِيعًا .

وقال أنسُ بنُ مالكٍ : كل بيت لا يدخله الضئيفُ لا تَدْخُلُهُ الملائكةُ .
ولما قرأته على الوزير — بأفقه الله آماله ، وزكى أعماله ، وخَفَفَ عن قلبه
أثقاله — قال : ما عَلِمْتُ أن مثلَ هذا العَجَبِ يَحْوَى هذه الوصايا والمُلَح ؛
وهذه الكلماتُ النُورُ ما فيها ما لا يَجِبُ أن يُحْفَظَ ، والله لكانَها بستانٌ في زمان
الحريف ، لكلِّ عَيْنٍ فيه منظرٌ ، ولكلِّ يَدٍ منه مَقْطَفٌ ، ولكلِّ فَمٍ منه مذاقٌ .
إذا فَرِغْتَ فَأَضِفْ لى جزءاً أو جزءين أو ما ساعدَكَ عليه النشاط ، فإن موقعها
يَحْسُنُ ، وذِكْرُها يَجْمُلُ ، وأثرُها يَبْقَى ، وفائدتها تُرَوَّى ، وعاقبتها تُحَمَّدُ .
قلتُ : السمع والطاعة .

الليلة العشرون^(١)

وقال لي مرة [أخرى] : أكتب لي جزءاً من الأحاديث الفصيحة المفيدة . فكتبت : قال مالك بن عُمارة اللَّخْمِي . كنتُ أجالسُ في ظلِّ الكعبة أيامَ الموسمِ عبدَ الملك بن مروانَ وقبيصةَ بن ذؤيبَ وعروةَ بن الزبير ، وكنا نخوضُ في الفقهِ مرةً ، وفي الذِّكرِ مرةً ؛ وفي أشعارِ العربِ وآثارِ الناسِ مرةً ؛ فكنتُ لا أجِدُ عندَ أحدٍ منهم ما أجِدُه عندَ عبدِ الملك بن مروانَ من الاتساعِ في المعرفةِ والتصرفِ في فنونِ العلمِ والقصاحةِ والبلاغةِ ، وحُسنِ استماعِهِ إذا حَدَّثَ ، وحلاوةِ لفظِهِ إذا حَدَّثَ ؛ فخلوتُ معه ذاتَ ليلةٍ فقلتُ : واللهِ إني لَمُتَرَوِّزٌ بك لما أَشاهدُهُ من كثرةِ تصرفِكَ وحُسنِ حَدِيثِكَ ، وإقبالِكَ على جَلِيسِكَ ؛ فقال : إنك إن تَعِشَ قليلاً فَتَسْتَرَى العيُونَ طامحةً إلى والأعناقَ قاصدةً نحوى ، فلا عليك أن تُعَمِلَ إلى رِكاكَ . فلما أَفَضْتُ إليه الخلافةَ شَخَصْتُ أريدُهُ ، فوافيته يومَ جُمعةٍ وهو يَحْطُبُ الناسَ ، فتصدَّيتُ له ، فلما وَقَعَتْ عينُهُ على بَسَرٍ^(٢) في وجهي ، وأعرضَ عَنِّي ، فقلتُ : لم يُبَدِّثْني معرفةً ولو^(٣) عرفني ما أَظهرَ نُكْرَةً . لكنني لم أَبْرَحْ مكاني حتى قُضِيَتِ الصلاةُ ودخلَ ، فلم أَلْبَثْ أن خَرَجَ الحاجِبُ إليَّ فقال : مالك بن عُمارة ، قمتُ ، فأخذ بيدي وأدخلني عليه ، فلما رَأَى مَدْيَهُ إليَّ وقال : إنك تراءيتَ لي في موضعٍ لم يَجْزُ فيه إلا ما رَأيتَ من الإعراضِ والانتقاضِ ؛ فرحباً وأهلاً [وسهلاً] ،

(١) انظر الحاشية رقم ١ ص ٢٧ من هذا الجزء .

(٢) في (١) «كسر» .

(٣) عبارة (ب) «أو عرفني وأظهر» الخ .

كيف كنتَ بَعْدَنَا ؟ وكيف كانَ مَسِيرُكَ ؟ قلتُ : بخير ، وكلّ ما يحبُّهُ أميرُ المؤمنين . قال : أتذكُرُ ما كنتُ قلتُ لك ؟ قلتُ : نعم ، وهو الذي أَعْلَنِي إِلَيْكَ ؛ فقال : والله ما هو بِمِثْرٍ أَدْعِيْنَاهُ ، [ولا أَتْرِبُ وَعْيَيْنَاهُ] ، ولكنّي أَخْبِرُكَ عن نفسٍ خِصَالاً سَمِعْتُ بِهَا نَفْسِي إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي تَرَى ، مَا لَاحِظْتُ ذَا وَدٍّ وَلَا ذَا قَرَابَةٍ قَطُّ ، وَلَا شَيْئٌ بِمِصْبَةِ عَدُوٍّ قَطُّ ، وَلَا أَعْرَضْتُ عَنْ مَحَدِّثٍ حَتَّى يَنْتَهِيَ ، وَلَا قَصَدْتُ كَبِيرَةً مِنْ عَاهِرِ اللَّهِ مُتَلَذِّذًا بِهَا وَوَائِبًا عَلَيْهَا ، وَكُنْتُ مِنْ قُرَيْشٍ فِي بَيْتِهَا ، وَمِنْ بَيْتِهَا فِي وَسْطِهِ ، فَكُنْتُ أَمْلُ أَنْ يَرْزُقَ اللَّهُ مِنِّي ، وَقَدْ فَسَلُ ؛ يَا غَلَامُ ، بَوَّهْ مَنْزِلًا فِي الدَّارِ . فَأَخَذَ الْغَلَامُ بِيَدِي وَقَالَ : أَنْطَلِقْ إِلَى رَحْلِكَ ؛ فَكُنْتُ فِي أَخْفَضِ حَالٍ ، وَأَنْتُمْ بَالٌ ؛ وَكَانَ يَسْمَعُ كَلَامِي وَأَسْمَعُ كَلَامَهُ ، فَإِذَا حَضَرَ عَشَاؤُهُ أَوْ غَدَاؤُهُ أَتَانِي الْغَلَامُ وَقَالَ : إِنْ شِئْتَ صِرْتُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُ جَالِسٌ ، فَأَمْسَى بِلا حِذَاءٍ وَلَا رِدَاءٍ فَمَرَفَعُ تَجَلَّسِي ، وَيُقْبَلُ عَلَيَّ مَحَادِثِي ، وَيَسْأَلُنِي عَنِ الْبِرَاقِ مَرَّةً ، وَعَنِ الْحِجَازِ مَرَّةً ، حَتَّى مَضَتْ لِي عِشْرُونَ لَيْلَةً . فَتَغَدَّيْتُ عَنْدهُ يَوْمًا ، فَلَمَّا تَفَرَّقَ النَّاسُ نَهَضْتُ لِلْقِيَامِ ، فَقَالَ : عَلَى رِسْلِكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ ، أَيُّ الْأَمْرَيْنِ أَحَبُّ إِلَيْكَ : الثَّمَامُ عِنْدَنَا ، وَلَكِ النَّصْفَةُ فِي الْمَعَاشِرَةِ وَالْجَالِسَةِ مَعَ الْمُوْاسَاةِ ، أَمْ الشُّخُوصُ وَلَكِ الْحِبَاءُ وَالْكَرَامَةُ ؟ قُلْتُ : فَارَقْتُ أَهْلِي وَوَلَدِي عَلَى أَنْ أَزُورَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِنْ أَسْرَفِي اخْتَرْتُ فِنَاءَهُ عَلَى الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ ، قَالَ : بَلْ أَرَى لَكَ الرُّجُوعَ إِلَيْهِمْ ، فَإِنَّهُمْ مُتَعَلِّمُونَ إِلَى رَوْيَتِكَ ، فَتَجِدُ بِهِمْ عَهْدًا وَيَجِدُونَ بِكَ مِثْلَهُ ، وَالْخِيَارُ فِي زِيَارَتِنَا وَالْقَامَرِ فِيهِمْ إِلَيْكَ ، وَقَدْ أَمَرْنَا [لَكَ] بِعَشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَكَسَوْنَاكَ وَحَمَلْنَاكَ ، أَتَرَانِي مَلَأْتُ يَدَكَ أَبَا نَصْرٍ ؟ قُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَرَأَيْكَ ذَاكَ كَرَأْلًا رَوَيْتَ^(١) عَنْ نَفْسِكَ .

قال: أَجَلٌ ، ولا خَيْرَ فِيمَنْ يَنْسَى إِذَا وَعَدَ ؛ وَدَعَّ إِذَا شَتَّ صَحْبَتِكَ السَّلامَة .

قال الوزير : مَا أَحَلَّى هَذَا الْحَدِيثَ ! هَاتِ مَا بَعْدَهُ ، قُلْتُ : قَالَ يَحْيَى بْنُ أَبِي يَعْلَى : لَمَّا قَدِمَ الْمَالُ مِنْ نَاحِيَةِ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْمَزِيزِ — رَحِمَهُ اللَّهُ — عَلَى أَبِي بَكْرٍ بْنِ حَزْمٍ ، قَسَمَهُ بَيْنَ النَّاسِ فِي الْمَدِينَةِ ، فَأَصَابَ كُلُّ إِنْسَانٍ خَمْسِينَ دِينَارًا ، فَدَعَتْنِي فَاطِمَةُ بِنْتُ الْحُسَيْنِ — عَلَيْهِ السَّلام — فَقَالَتْ : أَكْتُبْ ، فَكُتِبَتْ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، لَعَبِدِ اللَّهِ عَمْرُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ فَاطِمَةَ بِنْتُ الْحُسَيْنِ سَلامُ [اللَّهُ] عَلَيْكَ ، فَإِنِّي أَتَّخِذُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، أَمَّا بَعْدُ ، فَأَصْلَحَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَعَانَهُ عَلَى مَا تَوَلَّاهُ ، وَعَصَمَ بِهِ دِينَهُ ، فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَتَبَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بْنِ حَزْمٍ أَنْ يَقْسِمَ فِينَا مَا لَا مِنَ الْكُتَيْبَةِ ، وَيَتَحَرَّى بِذَلِكَ مَا كَانَ يَصْنَعُ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْأَيْمَةِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ ، وَقَدْ بَلَّغْنَا ذَلِكَ ، وَقَسَمَ فِينَا ، فَوَصَّلَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَجَزَاهُ مِنْ وَالٍ خَيْرَ مَا جَزَى أَحَدًا مِنَ الْوَلَاةِ ، فَقَدْ كَانَتْ أَصَابَتُنَا جَفْوَةٌ ، وَأَحْتَجْنَا إِلَى أَنْ يُفْعَلَ فِينَا بِالْحَقِّ ؛ فَأَقْسَمُ بِاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ أَخْتَدَمَ مِنْ آلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ لَا خَادِمَ لَهُ ، وَأَكْتَسَى مَنْ كَانَ عَارِيَا ، وَأَسْتَقَرَّ مَنْ كَانَ لَا يَجِدُ مَا يَسْتَقَرُّ [بِهِ] . وَبَعَثْتُ [إِلَيْهِ] رَسُولًا .

قال يحيى : خَدَّثَنِي الرَّسُولُ قَالَ : قَدِمْتُ الشَّامَ^(١) عَلَيْهِ ، فَقَرَأَ كِتَابَهَا وَإِنَّ لِيَحْمَدُ اللَّهَ وَيَشْكُرُهُ ، فَأَمَرَ لِي بِمِثْرَةِ دَنَانِيرَ ، وَبَعَثَ إِلَى فَاطِمَةَ خَمْسِمِائَةِ دِينَارٍ ، وَقَالَ : أَسْتَعِينِي بِهَا عَلَى مَا يُعَوِّزُكَ ، وَكَتَبَ إِلَيْهَا كِتَابًا يَذْكُرُ فِيهِ فَضْلَهَا وَفَضْلَ أَهْلِ بَيْتِهَا ، وَيَذْكُرُ مَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْحَقِّ .

(١) فِي (١) « الرِّقَاع » ؛ وَهُوَ تَبْدِيلُ مِنَ النَّاسِخِ .

فرق الوزير عند هذا الحديث وقال : أَذْكَرْتَنِي أَمْرَ الْقَلَوِيَّةِ ، وأخذ القلم ، وأستمدَّ من الدواة ، وكتب في التذكرة شيئاً ، ثم أرسل إلى نقيب القلوية المسمى في اليوم الثاني بألف دينار ، حتى تفرَّق في آل أبي طالب ، وقال لي : هذا من بركة الحديث .

(٣) ثم قال : كيف تطاول هؤلاء القوم إلى هذا الأمر مع بُعدهم من رحمة رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم وقرب بني هاشم منه ؟ وكيف حدثهم أنفسهم بذلك ؟ إن عجبى من هذا لا ينقضى ، أين بنو أمية وبنو مروان من هذا الحديث مع أحوالهم المشهورة في الدين والدنيا ؟

فقلت : أيها الوزير ، إذا حقق النظر واستشف الأصل^(١) لم يكن هذا^(٢) عجيباً ، فإن أعجاز الأمور تالية لصدورها ، والأسافل تالية لأعالها ، ولا يزال الأمر خافياً حتى ينكشف سببه^(٣) فيزول التعجب [منه] ، وإنما بعد هذا على كثير من الناس ، لأنهم لم يعنوا به ويتعرفوا أوائله والبحث عن غوامضه ، ووضع في مواضعه ، وذهبوا مذهب التعصب .

قال : فما الذي خفى حتى إذا عرفت سقط التعجب ولزم التسليم ؟ فكان من الجواب : لا خلاف بين الرواة وأصحاب التاريخ أن النبي صلى الله عليه وسلم توفي وعقَّاب بن أسيد على مكة ، وخالد بن سعيد على صنعاء ، وأبو سفيان ابن حرب على تجران ، وأبان بن سعيد بن العاص على البحرين ، وسعيد ابن القسب الأزدي حليف بني أمية على جرش ونحوها ، والمهاجر بن أبي أمية

(١) في (١) « الأمر » .

(٢) في (١) « لم يكن بعيداً عجباً » .

(٣) في (١) « حتى تكشف عنه » ؛ وهو تحريف .

التخزومي على كنفدة والصدف ؛ وعمر بن العاص على عُمان ، وثمان بن أبي العاص على الطائف . فإذا كان النبي — صلى الله عليه وسلم — أسس هذا الأساس ، وأظهر أمرهم لجميع الناس ؛ كيف لا يقوى ظنهم ، ولا ينبسط رجائهم ، ولا يمتد^(١) في الولاية أمتهم ؟ وفي مقابلة هذا ، كيف لا يضعف طمع^(٢) بني هاشم ، ولا يفتقبض رجائهم ، ولا يقصر أمتهم ؟ وهي الدنيا ، والذين عارض فيها ، والعاجلة محبوبة ، وهذا وما أشبهه حدد أنبيائهم ، وفتح أبوابهم ؛ وأترع كآسهم ، وقتل أمراتهم ، ودلائل الأمور تسبق ، وتباشير الخبر تعرف .

قال ابن الكلبي : حدثني الحكم بن هشام التقي قال : مات عبيد الله ابن جحش عن أم حبيبة بنت أبي سفيان ، وكانت معه بأرض الحبشة ، فخطبها النبي صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي ، فدعا بالقرشيين فقال : من أولاكم بأمر هذه المرأة ؟ فقال خالد بن سعيد بن العاص : أنا وأولام بها . قال : فزوج نبيكم . قال : فزوجه ومهر عنه أربعمائة دينار ؛ فكانت أول امرأة مهرت أربعمائة دينار ؛ ثم حلت إلى النبي صلى الله عليه وسلم ومعها الحكم بن أبي العاص ، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يكثر النظر إليه ، فقيل له : يا رسول الله ، إنك لتكثر النظر إلى هذا الشاب . قال : أليس ابن الخزومية ؟ قالوا : بلى ؛ قال : إذا بلغ بنو هذا أربعين رجلاً كان الأمر فيهم ، وكان مروان إذا جرى بينه وبين معاوية كلام قال لمعاوية : والله إنني لأبو عشرة ، وأخو عشرة ، وعم عشرة ، وما بقي إلا عشرة حتى يكون الأمر في ؛ فيقول معاوية بن أبي سفيان : أخذا والله من عين صافية .

(١) في (١) : « يحذوا » ، وفي (ب) : « يحيد » ؛ وهو تصحيف في كليهما .

(٢) في (ب) : « أمل » .

فهذا — كما تَسْمَعُ — إن كان حقاً فلا سبيل إلى رَدِّه ، وإن كان مُفْتَعَلًا
فقد صار دَاعِيَةً إلى الأمر الَّذِي وَقَعَ النزاعُ فيه ، وجمال الحِصَامِ عليه .
وهأ هنا شيء آخر .

قال القَعْقَاعُ بنُ عمرو : قلتُ لِعَلِيٍّ بنِ أَبِي طالب — عليه السلام — .
ما حَمَلَكَمُ على خلافِ العباسِ بنِ عبد المطلبِ وَتَرْكِ رَأْيِهِ ؟ وهذا يَعْنِي به أَنَّ
العباسَ كان قال لِعَلِيٍّ — عليه السلام — في مرض النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلم :
تم بنا إليه لِنَسْأَلَهُ عن هذا الأمر ، فإن كان لنا أَشَاعُهُ في النَّاسِ ، وإن كان في
غيرنا وَصَّيَ فِينَا ، وكان عَلِيٌّ عليه السلام أَبَى على عمِّه العباسِ ولم يُطَاوِعْهُ —
قال القَعْقَاعُ : قال أمير المؤمنين عَلِيٌّ بنُ أَبِي طالب — عليه السلام — في جوابه
لي : لو فَعَلْنَا ذَلِكَ جَعَلْنَا فِي غَيْرِنَا بَعْدَ كَلَامِنَا لَمْ نَدْخُلْ فِيهَا أَبَدًا ، فَأَحْبَبْتُ
أَنْ أَكُفَّ ، فَإِنْ جَعَلَهَا فِينَا فَهُوَ الَّذِي نُرِيدُ ، وَإِنْ جَعَلَهَا فِي غَيْرِنَا
كَانَ رَجَاءُ مَنْ طَلَبَ ذَلِكَ مِنَّا مَمْدُودًا ، وَلَمْ يَنْقَطِعْ مِنَّا وَلَا مِنْ النَّاسِ . قال
القَعْقَاعُ : فكان النَّاسُ في ذلك فرقتين : فرقةٌ تَحَزَّبُ للعباسِ وتَدِينُ له ، وفرقةٌ
تَحَزَّبُ لِعَلِيٍّ وتَدِينُ له . فهذا وما أَشْبَهَهُ يُضْعِفُ نفوسًا ، وَيَرْفَعُ رُءُوسًا ؛ وبعد فهذا
البيتُ خُصٌّ بالأمر الأوَّل ، أعني الدَّعْوَةَ والنَّبُوَّةَ والسُّكُوتَ الغَريزَ ، فأما الدنيا
فإنها تَزُولُ من قوم إلى قوم ، وقد رَوَى^(١) أَبُو سَفْيَانَ صَخْرُ بنُ حَرْبٍ وقد وقف
على قبر حمزة بن عبد المطلب وهو يقول : رحمتُ الله يا أبا عُمارة ، لقد قاتلتنا على
أمرٍ صار إلينا .

(١) سكتنا في ب وعبارة ١ وقد روى أنه وقف أبو سفيان صخر بن حرب على قبر
حمزة بن عبد المطلب وهو يقول .

فإن قال قائل : قد وصل^(١) هذا الأمرُ بعد مدّةٍ إلى [آل] النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فالجواب : [صَدَقَتْ] ، ولكن لما ضَعُفَ الدِّينُ وَتَحَلَّلَ^(٢) رُكْنُهُ وتداوله الناسُ بالغلبة والقهر ، فتطاوَلَ له ناسٌ من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعِجَمِ وبِقُومِهِمْ وَنَهَضَتِهِمْ وَعَادَتِهِمْ في مساورة الملوك ، وإزالة الدُّوَلِ ، وتناولِ العِزِّ كيف كان ، وما وَصَلَ إلى أَهْلِ العَدَالَةِ وَالطَّهَارَةِ وَالزُّهْدِ وَالْعِبَادَةِ وَالْوَرَعِ وَالْأَمَانَةِ ، أَلَا تَرَى أَنَّ الْحَالَ أَسْتَحَالَتْ عَجْمًا : كِسْرَوِيَّةً وَقَيْصَرِيَّةً ، فَأَيْنَ هَذَا مِنْ حَدِيثِ النُّبُوَّةِ النَّاطِقَةِ ، وَالْإِمَامَةِ الصَّادِقَةِ ؛ هَذَا الرِّبْعُ — وهو حاجب المنصور — يَضْرِبُ مَنْ شَمَتَ خَلِيفَةً عِنْدَ الْعُطْسَةِ ، فَيُسْكِي ذَلِكَ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ ، فيقول : أَصَابَ الرَّجُلُ السَّنَةَ وَأَخْطَأَ الْأَدَبَ . وهذا هو الجهل ، كَأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ أَنَّ السَّنَةَ أَشْرَفُ مِنَ الْأَدَبِ ، بَلِ الْأَدَبُ كُلُّهُ فِي السَّنَةِ ، وَهِيَ الْجَامِعَةُ لِلْأَدَبِ النَّبَوِيِّ وَالْأَمْرِ الْإِلَهِيِّ ، وَلَكِنْ لَمَّا غَلَبَتْ عَلَيْهِمُ الْعِزَّةُ^(٣) ، وَدَخَلَتِ الشُّعْرَةُ فِي آنَافِهِمْ ، وَظَهَرَتِ الْخُزْوَانَةُ^(٤) بَيْنَهُمْ ، سَمَّوْا آيِينَ^(٥) الْعَجَمِ أَدَبًا ، وَقَدَّمُوهُ عَلَى السَّنَةِ الَّتِي هِيَ ثَمَرَةُ النُّبُوَّةِ ، هَذَا إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الْمَعْرُوفَةِ ، وَالْأَحْوَالِ الْمُتَعَالِمَةِ الْمُتَدَاوِلَةِ الَّتِي لَا وَجْهَ لِذِكْرِهَا ، وَلَا فَائِدَةَ لِنَشْرِهَا ، لِأَنَّهَا مَقَرَّرَةٌ فِي التَّارِيخِ ، وَدَائِرَةٌ فِي غَرَضِ الْحَدِيثِ .

ولما كانت أوائلُ الأمورِ على ما شَرَحْتُ ، وَأَوَاسِطُهَا عَلَى مَا وَصَفْتُ ، كَانَ مِنْ نَتَائِجِهَا هَذِهِ الْفِتَنُ وَالْمَذَاهِبُ ، وَالتَّعَصُّبُ وَالْإِفْرَاطُ ، وَمَا تَقَامَمَ مِنْهَا وَزَادَ

(١) في (ب) : « سار » .

(٢) تحلل ركنه ، أي تزعزع وزال عن موضعه .

(٣) في كلتا النسخين « الحريه » ؛ وهو تحريف .

(٤) الخنزوانة : الكبير .

(٥) آيين السجم : عرفهم وعاداتهم ؛ وهي كلمة فارسية .

ونما وعلا وترآى ، وضائق الحيل عن تداركه وإصلاحه ، وصارت العائته مع جملها ، تجد قوة من خاصتها مع عليها ، فسبكت الدماء ، واستبيح الحريم ، وشفت الفارات ، وخربت الديارات ، وكثر الجدال ، وطال القيل والقال ، وفشا الكذب والمحال ، وأصبح طالب الحق حيران ، ومحبط السلامة مقصوداً بكل لسان وسنان ، وصار الناس أحزاباً في النحل والأديان ، فهذا نصيري^(١) ، وهذا أشجعي^(٢) ، وهذا جازودي^(٣) ، وهذا قطمي^(٤) ، وهذا جبائي^(٥) ، وهذا أشعري^(٦) ، وهذا خارجي^(٧) ، وهذا

(١) النصيرية : فرقة من غلاة الشيعة ، كانوا يؤهلون علياً ، وكان منهم ناس في زمن علي ابن أبي طالب غدرهم . وينسبون إلى رجل اسمه نصير .
(٢) كذا ورد هذا اللفظ في (١) وحدها ؛ ولم نجد الأشجعية فيها راجعاً من الكتب المؤلفة في الفرق .

(٣) الجارودية : فرقة من الزيدية نسبت إلى أبي الجارود زياد بن أبي زياد ، وزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نس على إمامة علي بالوصف دون الاسم ، وكفروا بالصباغة لتركه يمة على .

(٤) القطعية ، ويقال لهم : الاثنا عشرية أيضاً ، وذلك لدعواهم أن الإمام المنتظر هو الثاني عشر ، وهؤلاء يسوقون الإمامة من جعفر الصادق إلى ابنه موسى ، ويقطعون بموت موسى ، وزعمون أن الإمام بعده سبط محمد بن الحسن الذي هو سبط علي بن موسى الرضا .
(٥) الجبائية والأشعرية : فرقان من المتكلمين ، أولاهما تنسب إلى أبي علي الجبائي وكانت المتزلة البصرية على مذهبه ، ثم انتقلوا بعده إلى مذهب أبي هاشم ابنه ، وسماوا بهد اليهشية ، وثانيتها تنسب إلى أبي الحسن الأشعري من أهل السنة .

(٦) النصيبية : فرقة من الخوارج ينسبون إلى رجل منهم اسمه شعب ، ويقولون في القدر والاستطاعة والمشيئة قول الحازمية ، وهو موافق لقول أهل السنة في ذلك .

(٧) القرامط والقرامطة : طائفة مشهورة من الزنادقة أتباع الفلاسفة من الفرس الذين يعتقدون نبوة زرادشت ومزدك وماني ، وكانوا يبيعون المحرمات ، وكان إجماع أمرهم في سنة مائتين وثمان وسبعين . راجع عقد الجمان للعيني في حوادث هذه السنة . ومن هذه الطائفة أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنابي ، وهو الذي أظهر مذهبهم ، وكان دلفاً ، فنفى عن بلده جتابة ، فخرج إلى البحرين وأقام بها تاجراً ، وجعل يستميل العرب بها ويدعومهم إلى تخلفه حتى استجاب له أهل البحرين وما والاها ، وقتل سنة إحدى وثلاثمائة ، ثم ولي الأمر بعده ابنه أبو طاهر سليمان ، فكان من قتله حجاج بيت الله الحرام ، وانقطاع طريق مكة في أيامه =

رَاوَنْدِي^(١) ، وَهَذَا نَجَارِي^(٢) ، وَهَذَا زَعْفَرَانِي^(٣) ، وَهَذَا قَدَرِي^(٤) ، وَهَذَا جَبَرِي^(٥) ، وَهَذَا لَفْظِي^(٦) ، وَهَذَا مُسْتَدْرِكِي^(٧) ، وَهَذَا حَارِثِي^(٨) ، وَهَذَا رَافِضِي^(٩) ؛ وَمَنْ لَا يُحْمِي عَدَدَهَا إِلَّا اللَّهُ الَّذِي لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ ؛ لَا جَرَمَ شِمَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَالْجُوسُ بِالْمُسْلِمِينَ ، وَعَابُوا وَتَكَلَّمُوا ، وَوَجَدُوا أَجْرًا وَجِصًا فَبَنَوْا ، وَسَمِعُوا فَوْقَ مَا تَمَنَّوْا [فَرَوْوَا]

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يزداد الأمر إلا صُعوبة ، ولا الناس إلا اتباعَ هَوَى ، حتى تقوم الساعةُ على شرارِ الناسِ » . وقال أيضاً : « بدأ الإسلامُ غريباً ، وسيمود كما بدأ غريباً ، فطوبى للغرباء من أُمَّتِي » .

== بسببه ، واتعدى في الحرم واثهاب الكعبة ونقله الحجر الأسود إلى القطيف والأحساء من أرض البحرين ، ما قد اشتهر ذكره ، وقد بقي الحجر الأسود عندهم إحدى وعشرين سنة ، ثم رد بيدول بذلت لهم ، وقد استوفى الطبري وابن الأثير وغيرهما أخبار هذه الطائفة في كتبهم فارجع إليها ، وانظر معجم البلدان في الكلام على « جنابة » بتشديد النون وتاج العروس « مادة جنب » .

(١) الراوندية هم أتباع الراوندي أبي الحسين أحمد بن يحيى بن اسحاق من أهل مرو سكن بغداد وكان من متكلمي المعتزلة ، ثم فارقهم وتزندق وألف في الرد عليهم ؛ ومات سنة ٢٩٨ .
(٢) النجارية : أتباع الحسين بن محمد النجار ، وقد وافقوا أهل السنة في أصول ، والقدرية في أصول ، وافتردوا بأصول .

(٣) الزعفرانية : أتباع الزعفراني الذي كان بالري ، وهم فرقة من النجارية .
(٤) القدرية : فرقة تنفي القدر عن الله عز وجل وتقول إن البعد مخبر في أفعاله ، وليس للقدر دخل فيها .

(٥) الجبرية : فرقة تثبت القدر لله عز وجل وتقول : لأن العبد مجبر على أفعاله ، وليس له اختيار فيها ، وإن أفعاله بخاتبة الرعدة والرعدة .

(٦) كذا ورد هذا اللفظ في كلتا النسختين ؛ ولم نجد فرقة بهذا الاسم ؛ فلمله يريد بها الظاهرية الذين يأخذون بظاهر اللفظ .

(٧) المستدركة : فرقة من النجارية يزعمون أنهم استدركوا ما خفي على أسلافهم .

(٨) الحارثية : فرقة من الإباضية ، ينسبون إلى حارث بن يزيد الإباضي ، وهم الذين قالوا في باب القدر بمثل قول المعتزلة . وزعموا أيضاً أن الاستطاعة قبل الفعل ؛ وكفّرهم سائر الإباضية في ذلك .

وقلتُ لأبن الجَلَاءِ الزاهدِ بمكة سنة ثلاثٍ وخسين وثلاثمائة : ما صفهُ هذا
 القريب ؟ فقال لي : يا بُنَيَّ هو الذي يَفِرُّ من مدينةٍ إلى مدينةٍ ، ومن قُلتِهِ إلى
 قُلتِهِ ؛ [ومن بلدٍ إلى بلدٍ] ومن برٍّ إلى بحرٍ ، ومن بحرٍ إلى برٍّ ، حتى يَسْلَمَ ، وأتَى له
 بالسلامة مع هذه النيران التي قد طافَتْ بالشرق والغرب ، وأتت على الحرث
 والنسل ، ففدّمت^(١) كلَّ أفوهٍ ، وأسكتت كلَّ ناطقٍ ، وحيرت كلَّ لبيبٍ ،
 وأشرقت كلَّ شاربٍ ، وأمرت على كلِّ طاعمٍ ؛ وإنَّ الفِكرَ في هذا الأمرِ
 لمُختلِسٌ لِلتَّغَلُّبِ^(٢) وكارِثٌ^(٣) لِلنَّفْسِ ، ومُحرِّقٌ لِلْكِبَدِ .

فقال الوزير : والله إنّه لكذلك ، وقد نالَ مِنِّي هذا الكلام ، وكبُرَ عليَّ
 هذا الخطبُ ، والله المستعان .

ونظرتُ إليه وقد دَمَتُ عَيْنُهُ وَرَقَّ فَوَادُهُ وهو — كما تَظُنُّ — كثيرُ
 التَّأَلُّهِ ، شديدُ التَّوَقُّي ، يصومُ الأثنين والخميس ، فإذا كان أوَّلُ رجبٍ أصبحَ
 صائماً إلى أوَّلِ يومٍ مِنْ شوالٍ ، وما رأينا وزيراً على هذا الدَّأْبِ وبهذه العادة ،
 لا منافقاً ولا مُخْلِصاً^(٤) ، وقد قال الله تعالى : (إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا)
 تولاهُ اللهُ أَحْسَنَ الْوِلَايَةِ ، وكفاهُ أَكْلَ الْكَفَايَةِ ، إنّه قريبٌ مجيب .

فلَمَّا رَأَيْتُ دَمْعَتَهُ قُلْتُ : أيها الوزير ، رَوَى عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم
 أنه قال : « حُرِّمَتِ النَّارُ عَلَى عَيْنٍ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ » ، [وَحُرِّمَتِ النَّارُ عَلَى
 عَيْنٍ سَهَرَتْ فِي سَبِيلِ اللهِ] وَحُرِّمَتِ النَّارُ عَلَى عَيْنٍ غَضَّتْ عَنْ حَاطِرِ اللهِ ، «

(١) فدّمت ، من القدماء ، وهي المي .

(٢) في (١) : « الأمر » .

(٣) كارث للنفس : من كرهه النمل إذا اشتد عليه .

(٤) في ١ : « ولا خاصاً » ؛ وهو تحريف .

فقال — أحسن الله توفيقه — : هو الملاك إن لم يُنقِذ الله فضله ، ولم يتعمد بفقوه ؛ لو غرقت في البحر كان^(١) رجائي في الخلاص منه أقوى من رجائي في السلامة مما أنا فيه . قلت : إذا علم الله من ضميرك هذه العقيدة ألبسك ثوب عفوه ، وحلاك بشعار عافيته وولايته ، وكفأك كيد أعدائك ، وعصب برءوسهم ما يريدونه بك (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) .

فقال : اجعل لي جزءاً من رقائق المباد وكلامهم اللطيف المحلو ، فإن مراميهم شريفة ، وسرايرهم خالصة ، ومواعظهم رادعة ، وذاك — أظن — للذين الغالب عليهم ، والتأله المؤثر فيهم ؛ فالصدق مقرون بمنطقيهم ، والحق موصول بقصدهم ، ولست أجد هذا المعنى في كلام الفلاسفة ، وذاك — أظن أيضاً — لخوضهم في حديث الطبائع والأفلاك والآثار وأحداث الزمان . قلت : أفعل ، فكتبت تمام ما تقدم به ، ثم كتبت بعد ورقات في حديث النساء .

(٤) قال عتبة بن المنذر السلمي : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأجلين قضى موسى — عليه السلام — ؟ فقال : أكثرهما وأوفاهما ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن موسى — عليه السلام — لما أراد فراق شبيب أمر امرأته أن تسأل أباهما أن يعطيها من نتاج غنمه ما يعيشون به ، فأعطاهما ما وضعت غنمه من قالب^(٢) لون ذلك العام ، فلما وردت الخوض وقف موسى بإزاء الخوض فلم تصدُر منها شاة إلا ضرب جنبها بعصاه ، فوضعت قوالب ألوان كلها ووضعت اثنتين أو ثلاثة كل شاة ، ليس فيهن قشوش^(٣) »

(١) في (١) : « كاف » ؟ وهو تحريف .

(٢) شاة قالب لون : إذا كانت على غير لون أمها .

(٣) القشوش : الشاة التي ينقش لبنها من غير حلب .

ولا ضُبوبٌ^(١) ولا تَعُولُ^(٢) ولا كَمِيشَةٌ^(٣) تَقُوتُ الكَفَّ^(٤) فَإِنْ أَفْتَحْتُمْ الشَّامَ وَجَدْتُمْ بِهَا بَقَايَا مِنْهَا ، فَاتَّخِذُوهَا ، وَهِيَ السَّامِرِيَّةُ .

قال جعفرُ بنُ أبي طالبٍ للنَّجَّاشِيِّ في حديثٍ : بعث الله [تعالى] رسولا فينا نعرفُ صِدْقَهُ وأَمَانَتَهُ ، فدعانا إلى الله [لنؤخِّدَهُ] ونعبده ونخلعَ ما كُنَّا نَعْبُدُهُ ، وأمرنا بِصِدْقِ الحديثِ ، وأداء الأمانة ، وصلة الرَّحِمِ ، وحُسنِ الجوارِ ، والكفِّ عن المحارِمِ والذُّمِّاءِ ، ونهانا عن الفواحِشِ وقولِ الزُّورِ ، وأكلِ مالِ اليتيمِ ، وقَذْفِ المُحْصَنَاتِ .

وقال صاحبُ التاريخِ : وَلَدَتْ لِعَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ — رضوان الله عليه — أُمُّ كَلْثُومِ بِنْتُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ — عليه السلام — زَيْدًا وَرُقَيْيَةً ؛ وَأُمُّ أُمِّ كَلْثُومِ فَاطِمَةُ بِنْتُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قال أنسُ بنُ مالكٍ : صَلَّى النَّاسُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا تُوُفِّيَ أَفْرَادًا لَمْ يُؤْمَرْ عَلَيْهِ أَحَدٌ .

ولمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَمَانِ سِنِينَ ، هَلَكَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ ، وَهُوَ شَيْبَةُ أَبُو الْحَارِثِ ، وَذَلِكَ بَعْدَ الْفِيلِ ثَمَانِ سِنِينَ ، وَتُوُفِّيَتْ أَمَةُ أُمِّهِ وَهُوَ ابْنُ سِتِّ سِنِينَ بِالْأَبْوَاءِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ، كَانَتْ قَدِمَتْ بِهِ عَلَى أَخْوَالِهِ مِنْ بَنِي عَدِيٍّ بْنِ النَّجَّارِ تَزِيرُهُ إِيَّاهُمْ ، فَاتَتْ وَهِيَ رَاجِعَةٌ إِلَى مَكَّةَ .

(١) في القاموس : الضُّبُوبُ : الدابة تبول وتمدو ؛ والشاة الضيقة الإحليل .

(٢) التَّعُولُ : الزائدة الأُطباء ، وَهِيَ حِلَاتُ الضَّرْعِ .

(٣) الكَمِيشَةُ مِنَ الشَّيْءِ : الصَّغِيرَةُ الضَّرْعِ الَّتِي انْكَشَتْ ضَرْعُهَا وَتَقْلَسَ .

(٤) في (١) : « بَلُونُ الْكَفِّ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَوُرِدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي

(ب) مَطْبُوسَةً الْحُرُوفَ تَتَفَرَّقُ قِرَاءَتُهَا . وَتَقُوتُ الْكَفَّ ، أَيْ لَا يُمْكِنُ الْبُيْضُ عَلَى ضَرْعِهَا بِالْكَفِّ لَصْفَرِهِ .

الليلة الحادية والعشرون

وسأل مرة عن المعنى إذا راسله^(١) آخر لم يجب أن يكون ألدَّ وأطيب ، وأحلى وأعذب ؟

فكان من الجواب : أن أبا سليمان قال في جواب هذه المطالب ما يمنع من اقتضاب قول وتكلف جواب ، ذكر أن المسموع الواحد إنما هو بالحسن الواحد ، وربما كان الحسن الواحد أيضا غليظا أو كديرا ، فلا يكون لنيله^(٢) اللذة به^(٣) بسط ونشوة ولذادة^(٤) ، وكذلك [المسموع] ربما لم يكن في غاية الصفاء على تمام الأداء [بالتقطيع] الذي هو نفس في الهواء ، فلا تكون أيضا إنالته للذة على التمام والوفاء ، فإذا نفي^(٥) المسموع — أعني توحد^(٦) — التمتع بالمتع — قوى الحسن المدرك ، فنال مسموعين بالصناعة ، ومسموعا واحدا بالطبيعة ؛ والحسن لا يعشق الموادة^(٧) والمناسبة والاتفاق إلا بعد أن يجدها في المركب ، كما أن العقل لا يعشق إلا بعد أن ينالها في فضاء البسيط^(٨) : فكلما قوى الحسن باستعماله ، ألتذ صاحبه بقوته حتى كأنه يسمع ما لم يسمع بحس أو أكثر ، وكما أن الحسن إذا كان كليلا [كان الذي يناله كليلا] ، كذلك الحسن إذا كان قويا كان ما يناله قويا .

(١) راسله آخر ، أى تابعه في غائته مساندة له .

(٢) في كلتا النسختين : « فلا يكون نيله للذة » ؛ وهو تحريف .

(٣) به أى بالمسموع .

(٤) في كلتا النسختين : « وقسر وولاية » ولا معنى لهاتين اللفظتين هنا ؛ فامل صوابهما .

ما أثبتناه أو ما يفيد معنيهما .

(٥) في كلتا النسختين : « فأذن الألس المسموع » ؛ وهو تحريف لا معنى له ؛ ولعل

صوابه ما أثبتناه أو ما يفيد معناه .

(٦) في كلتا النسختين : « توجد » ؛ وهو تصحيف .

(٧) في (ب) « المواخذة » وفي (أ) « الواحدة » ؛ وهو خطأ في كليهما .

(٨) في (أ) « بقاء النسيط » ؛ وهو تحريف .

قال : هذا كله موهوبٌ للحسّ ، فما للعقل في ذلك ؟ فإنّا نرى العاقلَ (٢) تستريه دَهْشَةٌ وأَرْيَحِيَّةٌ وأَهْتَازُ .

قلت : قد أتى على مجموع هذا ومعرفته أبو سليمان في مذاكرته لأبن الحمار ، وَذَكَرَ أَنَّ مِنْ شَأْنِ الْعَقْلِ الشُّكُّونَ ، وَمِنْ شَأْنِ الْحِسِّ التَّهَيُّجُ ، ولهذا يوصف العاقل بالوقار والسكينة ، وَمَنْ دُونَهُ يُوصَفُ بِالطُّلُسِ والعَجَرَةِ ، والإنسان ليس يَجِدُ الْعَقْلَ وَجْدَانًا فَيَلْتَذُّ بِهِ ، وَإِنَّمَا يَعْرِفُهُ إِنَّمَا جُمْلَةً وَإِنَّمَا تَفْصِيلًا ؛ أَعْنِي جُمْلَةً بِالرَّسْمِ وَتَفْصِيلًا بِالْحَدِّ ، ومع ذلك يَشْتَأِقُ إِلَى الْعَقْلِ ، وَيَتَعَقَّى أَنْ يَنَالَهُ ضَرْبًا مِنَ النَّيْلِ وَيَجِدُهُ نَوْعًا مِنَ الْوَجْدَانِ ، فَمَا أَبْرَزَتِ الطَّبِيعَةُ الْمَوْسِيقِيَّ فِي عَرْضِ الصَّنَاعَةِ بِالْآلَاتِ الْمُهَيَّأَةِ ، وَتَحَرَّكَتْ بِالْمُنَاسَبَاتِ النَّاتِمَةِ وَالْأَشْكَالِ الْمُتَّفِقَةِ أَيْضًا ، حَدَّثَ الْأَعْتِدَالُ الَّذِي يُشْعِرُ بِالْعَقْلِ وَطُلُوعِهِ وَأَنْكُشَانِهِ وَأَعْجَلَانِهِ ، فَتَهَرَّ (١) الْإِحْسَاسُ ، وَبَثَّ الْإِنْسَانُ ، وَشَوَّقَ إِلَى عَالَمِ الرُّوحِ وَالنَّعِيمِ ، وَإِلَى مَحَلِّ الشَّرَفِ الْعَمِيمِ ، وَبَثَّ عَلَى كَسْبِ الْفَضَائِلِ الْحِسِّيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ ، أَعْنِي الشَّجَاعَةَ وَالْجُودَ وَالْحِلْمَ وَالْحِكْمَةَ وَالصَّبْرَ ، وَهَذِهِ كُلُّهَا جَمَاعُ الْأَسْبَابِ الْمَكْمُلَةِ لِلْإِنْسَانِ فِي عَاجِلَتِهِ وَآجِلَتِهِ ؛ وَبِالْوَاجِبِ مَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، لِأَنَّ الْفَضَائِلَ لَا تُقْتَنَى إِلَّا بِالشَّوْقِ إِلَيْهَا ، وَالْحِرْصُ عَلَيْهَا ، وَالطَّلِبُ لَهَا ؛ وَالشَّوْقُ وَالطَّلِبُ وَالْحِرْصُ لَا تَكُونُ إِلَّا بِمَشَوِّقٍ وَبَاعِثٍ وَدَاعٍ ، فَلِهَذَا بَرَزَتِ الْأَرْيَحِيَّةُ وَالْمِهْزَةُ ، وَالشَّوْقُ وَالْمِهْزَةُ ؛ فَالْأَرْيَحِيَّةُ لِلرُّوحِ ، وَالْمِهْزَةُ لِلنَّفْسِ ، وَالشَّوْقُ لِلْعَقْلِ ، وَالْمِهْزَةُ لِلْإِنْسَانِ . وَمِمَّا يَجِبُ أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ أَخْصَصُ بِالنَّفْسِ مِنَ الْإِحْسَاسَاتِ الْبَاقِيَةِ ، لِأَنَّهُمَا خَادِمَا النَّفْسِ فِي السَّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، وَمُؤَنِّسَاهَا فِي الْخَلْوَةِ ، وَمُجِدِّاهَا فِي النَّوْمِ وَالتَّيَقُّظَةِ ؛ وَلَيْسَتْ هَذِهِ الرَّتْبَةُ لَشَيْءٍ مِنَ الْبَاقِيَّاتِ ، بَلِ الْبَاقِيَّاتُ آثَارُهَا فِي الْجَسَدِ (٢) الَّذِي هُوَ مُعْطِيَةُ الْإِنْسَانِ ،

(١) فِي كَلِمَاتِ النَّحْثِيِّينَ « فَهَر » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي (١) « فِي الْحَدِّ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

لكن الفرق بين السمع والبصر في أبواب كثيرة : ألقفها أن أشكال المسموع مركبة في بسيط ، وأشكال البصر مبسطة في مركب .

قلت : وقد حكيتُ هذا لأبي زكرياء الصيمري فطرب وأرتاح وقال :
ما أبعدَ نظرَ هذا الرجل ! وما أرقى لحظه ! وما أعزَّ جانبَه !

الليلة الثانية والعشرون

(١) وقال لي مرة أخرى : إزوي شيئاً من كلام أبي الحسن العاصري ، فإني أرى أصحابنا يردُّونه ويذبلونه ، فلا يرون له في هذه العُصبة قدماً ، ولا يرفعون له في هذه الطائفة علماً .

قلت : كان الرجل لكَرَّازته وغلَطَ طباعه وجفأ خُلقه يُنفّر من نفسه ، ويُغري الناس بعرضه ، فإذا طُلِبَ منه الفن الذي قد خُصَّ به وطولِبَ بتحقيقه وُجد على غاية الفضل .

فن كلامه قوله : الطبيعة تتدرّج في إفلها من الكلّيات البسيطة ، إلى الجزئيات المركبة ، والعقل يتدرّج من الجزئيات المركبة ، إلى البساط الكلّية ، والإحاطة بالمعاني البسيطة تحتاج إلى الإحاطة بالمعاني المركبة ، لئتمَّ وصل بتوسطها إلى استنباطها^(١) ، والإحاطة بالمعاني المركبة تحتاج إلى الإحاطة بالمعاني البسيطة لئتمَّ وصل بتوسطها إلى تحقيق إثباتها^(٢) . وكما أن القوة الحسيّة عاجزة بطباعها عن استخلاص البساط الأوائل ، بل تحتاج معها إلى القوة العاقلة ،

(١) في (ب) « أسباب إثباتها » وفي أ « إثبات اثباتها » وكلتا المبرتين غير ظاهرة للمعنى ؛ فقل الصواب ما أثبتنا .

(٢) في ب « ما ينالها » وفي (أ) « ما يثبتها » وهو تحريف في كلتيهما .

وإن قَوِيَّتْ لصار العقلُ فَضْلاً — كذلك أيضاً القوةُ العاقلة لا تَقْوَى بذاتها على استتِباتِ المركِّباتِ إلا من جهة القوة الحسَّاسة ، ولو قَوِيَّتْ عليه لصار الحسُّ فَضْلاً [للعاقلة] .

قال : هذا كلامٌ بارعٌ من صَدْرِ واسع ، وأحِبُّ أن تزيدني من نَمَطِهِ . قلت : وقال أيضاً : الكلِّيُّ مُفْتَقِرٌ إلى الجزئي لا لأن يصير بدَيُّومته محفوظاً [بل لأن يصير بتوسطه موجوداً ، والجزئي مُفْتَقِرٌ إلى الكلِّي لا لأن يصير بتوسطه موجوداً ، بل لأن يصير بدَيُّومته محفوظاً] .

وقال : الحالُ في جميع السُّبُل — أعني مَسالكَ الأشياءِ في تَكْوُنِها^(١) صناعيَّةٌ كانت أو تديريَّةٌ أو طبيعيَّةٌ أو اتفائيَّةٌ — واحدة ، مثاله أن الإنسان وإن أَلْتَذَّ بالتستنبان^(٢) فلن يَعدَّ موسيقاراً إلَّا إذا تحقَّق بمبادئه الأولى التي هي الطَّينيات وأنصاف الطَّينيات ، وكذلك الإنسان وإن أَسْتَطاب الخُلُوفَ فلن يسمَّى خُلُونِيًّا إلَّا إذا عَرَفَ بسائطه وأَسْطَقَّسَّاته .

وقال : أَلْعِلْمُ لا يحيط بالشَّيء إلَّا إذا عَرَفَ مبادئه القريبةَ والبعيدةَ والمتوسطةَ . وقال : نتوصَّل إلى كُرِّيَّةِ القمر بما نراه من أختلاف أشكاله ، أعني أنا نراه في الدَّوْرَةِ الواحدةِ هلالِيًّا مرَّتَيْنِ ومنصَّفاً مرَّتَيْنِ وبدراً مرَّةً واحدةً ، وهذه الأشكال وإن كانت متقدِّمةً عندنا فإن كونه كُرِّيًّا هو المتقدِّم بالذات . وقال : ما هو أكثر تركيباً للحسِّ أَقْوَى على إثباته ، وما هو أقلُّ تركيباً

(١) في كلنا النسختين « بالتكون » بالباء ؛ والصواب ما أمبنا كما يظهر لنا .
(٢) في كلنا النسختين « الدسبان » ؛ وهو تحريف صوابه ما أمبنا نقلا عن كتاب الألفاظ الفارسية المروية ، والدستبان كلمة فارسية مركبة من كلمتين : دستان ، وهو من اصطلاحات أصحاب الموسيقى . وأصل معناه النغمة . وبأن ، أي الذي يضرب به ؛ ويقال أيضاً دستانوان ، وهو مررب الأول .

فالمقل أخلصُ إلى ذاته .

وقال : الأحداث — وهى النواتُ الإبداعيةُ — الوقوفُ على إثباتها يغنى عن البحث عن ماهياتها .

وقال : كلُّ معنى يُوجدُ بوجوده غيره لا يرتفع بارتفاع ذلك الذى هو غيره ، بل يرتفع غيره بارتفاعه ، فإنه أقدمُ ذاتا من غيره ، مثاله الجنس لا يرتفع بارتفاع واحدٍ من أنواعه ، والأنواعُ ترتفع بارتفاع الجنس ، وكذلك حالُ النوع مع الشخص ، فالجنس أقدم من النوع ، والنوعُ أقدمُ من الشخص ، وأغنى بالجنس والنوع الطبيعيَّين لا المنطقيَّين .

وقال : معرفتنا أولا تتعلق بالأشخاص الجزئية ثم بتوسطها ثبتت الأجناس فإذا المتقدم بالذات غير المتقدم إلينا .

وقال : مسألكُ العقل فى تعريف المعانى الطبيعية مقابل مسلك الطبيعة فى إيجادها ، لأنَّ الطبيعة^(١) تتدرج من الكليات البسيطة إلى الجزئيات المركبة ، والعقل يتدرج من الجزئيات المركبة إلى البسائط الكلية .

قال أبو النضر نفس : إنما كان هذا هكذا لأن الطبيعة متناولة من العقل والعقل مُناولٌ للطبيعة ، فوجب أن يختلف الأمران ، فإن قال قائل : فهلا تمَّ الأمران معاً بواحدٍ منهما ، أعني الطبيعة أو العقل ؟ فالجواب أن أحدهما فى العلو ، والآخر فى الشغل ، فليس للعالى أن يهبط ، ولا للسافل أن يعلو ؛ فلما كان هذا محالاً توسطَ بينهما — أعنى العالى والسافل — المناولة والتناولُ حتى اتصل الأول بالثانى ، وغصن القضاة بينهما بضروب الأفراد والأزواج ، وانتظم

(١) قد سبق ما يفيد هنا المعنى فى أول كلام أبى الحسن العارفى فانظرو .

الكلّ فلم يكن فيه خلل ، ولا دونه مأتى ، ولا وراءه متوهم .
 وقال : الإنسان مركّب من الأعضاء الآليّة بمنزلة^(١) الرأس واليدين
 والرجلين وغيرها ، ثم كل واحد من هذه الأعضاء مركّب من الأعضاء المتشابهة
 الأنواع بمنزلة^(٢) اللحم والعظم والقصب والشريان ، ثم كل واحد من هذه الأعضاء
 مركّب من الأخلاط الأربعة التي هي الدم والبلغم والمريّان ، ثم كل واحد من
 هذه الأخلاط مركّب من الأسطقسّات الأربع التي هي النار والهواء ، والأرض
 والماء ؛ ثم كل واحد من هذه الأسطقسّات مركّب من الهيولى والصورة .
 وقال : كما أن لكل عضو قوة تخصه بتدبيرها ، كذلك لجميع البدن قوة
 أخرى ضامنة لتدبيره .

قال : وقال الحكميّ في كتاب « السماء »^(٣) : عِلَّةُ الأنواع والأجناس ودواؤها
 هي الفلك المستقيم ، وعلة كون الأشخاص وتجذّد خدوشها هي الفلك المائل ، فأما
 الكلبيّات المنطقية فإن طبيعتها هي القوة [القياسية المستتبّة لها] عند تكون^(٤) الحس
 على واحدٍ منها . قال أبو النضر نفيس : هذا حُكْمٌ بالوهم ، ورأى خرج من الظن ؛
 الفلك المستقيم والفلك المائل هما بنوع الوحدة ونسبة الاتفاق^(٥) ، فليس لأحدهما
 اختصاص بالأنواع والأجناس ، ولا بتجذّد الأشخاص ، والدليل على هذا أن قال^(٦)
 لو قلب ذلك لم يكن له عنه انفصال . والرأي زلات ، كما أن للسان فلتات ،

(١) يلاحظ أن تعبيره هنا بقوله « بمنزلة » في كلا الموضعين اللذين تحت هذا الرقم غير مناسب كما لا يخفى . والصواب أن يقول في كلا الموضعين : « التي هي » الخ .

(٢) يعني كتاب « السماء والعالم » لأرسطو .

(٣) كذا في « ب » . والذي في (أ) « عند تكرار الحس » .

(٤) في (ب) : « الاختيار » .

(٥) في (أ) : أن فلانا ؛ وهو تحريف .

(٦) في كلتا النسختين « لو قلت عليه ذلك » وهو تصحيف لا معنى له . وسياق الكلام

يقتضى ما أثبتناه .

والحكيم^(١) هَفَوَات، كما أَنَّ للجواد عَثَرَات؛ وما أَكْثَرَ من يَسْكُرُ فيقول في سُكْرِه ما لا يَعْرِف، وما أَكْثَرَ من يَفْرَقُ^(٢) في النوم فيَهْذِي بما لا يدري، ومن الذي حَقَّقَ عنده أَنَّ الفَلَكَ المستقيم هذا نعتُه، والفَلَكُ المائلُ تلك صِفَتُه؛ هذا توهم وتلفيق، لا يَرْجِعُ مُدَّعِيه إلى تحقيق، وقولُ أبي الحسن هذا عن الحكيم تقليدٌ، كما أَنَّ دَعْوَى ذاك الحكيم توهمٌ، وَحَبَّةُ الرِّجَالِ للرِّجَالِ فتنةٌ حاملةٌ على قبول الباطل، وَبُغْضُ الرِّجَالِ للرِّجَالِ فتنةٌ حاملةٌ على رَدِّ الحقِّ؟ وهذا أمرٌ قد طال منه الضَّجيجُ، وفُزِعَ إلى الله منه بالتَضَرُّعِ.

قال أبو الحسن: الموجود له حقيقةٌ واحدةٌ لا تُدْرِكُ إِلَّا عَقْلاً، وليس له مَبْدَأٌ، ولو كان له مَبْدَأٌ لَشَارَكَه المَبْدَأُ في طبيعة الوجود، وليس بِمُتَحَرِّكٍ لَّأنه لا مُقَابِلَ له فيَتَحَرَّكُ إليه.

وقال أبو النضر نفيس: عَنَى بهذا الموجود الحقُّ الأوَّلُ الَّذِي هو عِلَّةُ الْعِلَلِ، وهو الباريُّ الإلهُ، وما أنصَفَ، لأنَّه يجب أن يَقْسِمَ الموجودَ بأقسامه، ويَصِفَ مرتبةَ كلِّ موجودٍ على ما هي عليه وعلى ما هو به حتى يَنْتَهِيَ [مِنْ] هذا الموجود^(٣) الأعلى إلى آخر الموجود الأسفل، أو يَصِفَ الموجودَ الأسفلَ حتى يرتقى إلى هذا الموجود الأعلى، فَإِنَّه لاشيءٌ مِمَّا يَمِيلُ وَيُحْسِنُ إِلَّا وَلَهُ من هذا الوجودِ نصيبٌ به أُسْتَحَقَّ أن يكون موجوداً، وإن كان ذلك النِّصَبُ قليلاً.

وقال: قد يوصف الشيءُ بآتِه واحد بالمعنى وهو كثير بالأسماء، ويوصف بآتِه واحد بالاسم وهو كثير بالمعنى، ويوصف بآتِه واحد بالجنس وهو كثير بالأَنواع،

(١) كذا في ب والذى في (أ) «وكما أن للحكيم»؛ وهو تحريف.

(٢) في (أ) «يرف»؛ وهو تصحيف.

(٣) عبارة (ب): «حتى ينتهي من هذا الموجود إلى آخر الموجود الأعلى»؛ وهي غير مستقيمة.

ويوصف بأنه واحد بالتّوحد وهو كثير بالشّخص ، ويوصف بأنه واحد بالأصل وهو كثير بالأجزاء ، وقد نقول في شيء : إنه واحد بالموضوع وهو كثير بالحدود ، كالشفّاحة الواحدة التي يوجد فيها اللون والطعم والرائحة ، وقد يكون واحداً في الحدّ وكثيراً في الموضوع ، كالبياض الذي يوجد في الثلج والقطن والإسفيداج ، وقد يكون كثيراً بالحدّ والموضوع كالعلم والحركة ، فإنّ موضوع هذا الجسم ، وموضوع ذاك النفس ، وحدّ أحدهما غير حدّ الآخر ، وقد يكون واحداً بالموضوع والحدّ بمنزلة السيف والصّمام ؛ وقد نقول أشياء تكون واحدة بالفعل ، وهي بالقوة كثيرة ، كالسّراج الواحد ؛ فأما أن يكون واحداً بالقوة وكثيراً بالفعل من وجوه واحد ، فلا يكون ، بل من جهات مختلفة .

قال أبو النضر نفيس : الواحد الذي ينقسم فتشأ منه الكثرة غير الواحد الذي لا ينقسم ، والكثير الذي يتوحد حتى يكون واحداً غير الكثير الذي لا يتوحد ، فالواحد الذي لا ينقسم علّة الواحد المنقسم ، والكثير الذي يتوحد هو علّة الكثير الذي [لا] يتوحد ، وبالحكمة الإلهية ما كان هكذا حتى يكون الكثير الذي يتوحد في مقابلة الكثير الذي لا يتوحد ، والواحد الذي ينقسم في مقابلة الواحد الذي لا ينقسم ، وهذه المقابلة هي عبارة عن صورة التّمام الحاصل لكلّ ، وليست هي عبارة عن صورة مزاجية لصورة ، أو كثرة غالبية لكثرة ، المستفاد بالله من قصور العبارة عن الغاية ، وتفاعس اللفظ عن المراد .

وقال (١) : يُعجبني من جملة الحكم الأمثال التي يفسرونها ، والعيون (٢) التي يستخرجونها ، والمعاني التي يقرّبونها . قلت : صدقت ، مثلاً قول فيلسوف :

(١) وقال ، أي الوزير .

البدن للنفس بمنزلة الدُّ كَان للصانع ، والأعضاء بمنزلة الآلات ، فإذا أنكسرت آلات الصانع وخرَّب الدُّ كَان وانهدم ، فإن الصانع لا يَقْدِر على عمله الذي كان يَعْمَلُهُ إِلَّا أَنْ يَتَّخِذَ دُ كَانًا آخَرَ ، وآلاتٍ جُدَدًا آخَرَ .

قال : أَحَبُّ أَنْ أَسْمَعَ شَيْئًا مِنْ مَنْشُورِ كَلَامِهِمْ فِي فَنُونٍ مُخْتَلَفَةٍ .

قلتُ : قال فيلسوف : العاقل يَصِلُ عَقْلُهُ عِنْدَ مُحَاوَرَةِ الْأَحْمَقِ . قال أبو سليمان : هذا صحيح ، ومثاله^(١) أَنَّ الْعَاقِلَ إِذَا خَاطَبَ الْعَاقِلَ فَوَيْمَ وَإِنْ أَخْتَلَفَتْ مَرْتَبَاتُهُمَا فِي الْعَقْلِ ، فَإِنَهُمَا يَرْجِعَانِ إِلَى سِنَخِ^(٢) الْعَقْلِ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ الْعَاقِلُ إِذَا خَاطَبَ الْأَحْمَقَ ، فَإِنَهُمَا ضِدَّانِ ، وَالضَّدَّ يَهْرُبُ مِنَ الضَّدِّ ؛ وَقَدْ قِيلَ لِأَبِي الْهَذِيلِ الْعَلَّافِ — وَكَانَ مُتَكَلِّمَ زَمَانِهِ — : إِنَّكَ لَتَنَاطِرُ النَّظَامَ وَتَدَوِّرُ بَيْنَ كَمَا نَوْبَاتٍ ، وَأَحْسَنُ^(٣) أَحْوَالِنَا إِذَا حَضَرْنَا أَنْ نَنْصَرِفَ شَاكِينَ فِي الْقَاطِعِ مِنْكُمْ وَالْمُنْقَطِعِ ، وَنَرَكَ مَعَ هَذَا يُنَاطِرُكَ زَنْجُوبِيَةِ الْحَمَالِ فَيَقْطَعُكَ فِي سَاعَةٍ . فقال : يَا قَوْمُ إِنَّ النَّظَامَ مَعِيَ عَلَى جَادَةٍ وَاحِدَةٍ لَا يَنْحَرِفُ أَحَدُنَا عَنْهَا إِلَّا بِقَدَرٍ مَا يَرَاهُ صَاحِبُهُ فَيُذَكِّرُهُ أَنْحِرَافَهُ ، وَيَحْمِلُهُ عَلَى سَنَنِهِ فَأَعْرَضْنَا بِتَقَرُّبٍ ، وَلَيْسَ هَكَذَا زَنْجُوبِيَةِ الْحَمَالِ فَإِنَّهُ يَبْتَدِي مَعِيَ بِشَيْءٍ ، ثُمَّ يَطْفِرُ إِلَى شَيْءٍ . بَلَا وَاصِلَةٌ وَلَا فَاصِلَةٌ ، وَأَبْقَى ، فَيُحَكِّمُ عَلَيَّ بِالْأَنْقِطَاعِ ، وَذَلِكَ لِمَجْزِي عَنْ رَدِّهِ إِلَى سَنَنِ الطَّرِيقِ الَّذِي فَارَقْتَنِي آفَاقًا فِيهِ .

وقال فيلسوف آخر : العادات قاهرات ، فمن أعتاد شيئًا في السرِّ فضحه

في العلانية .

(١) كان صواب العبارة أن يقول : « وذلك لأن العاقل » الخ ، إذ لا ينبغي أن الكلام

الآتي تعليل لما سبق لا مثال .

(٢) سنخ العقل : أصله .

(٣) في كلتا النسخين « قال أحسن » الخ وقوله « قال » زيادة من الناسخ .

قال أبو سليمان : وهذا صحيح ، لأن حقيقة العادة في ^(١) الشيء المعبود عَوْدُهُ بعد عَوْدِهِ ، فهي — أعنى العادة — بالأستمرار الذى يَقهر من أعتاده ، والخَلوة حال ، والعَلانية حال ، والعادة بِمَجْرَياتِها تَهْجُمُ في الحالين ولا تَقَرُّقُ ؛ ولهذا ما قيل : العادة هي الطبيعة الثانية ؛ كَأَنَّ الطبيعة عادة ، ولكنها الأولى بِالْحِجَلَةِ ^(٢) ؛ والعادة طبيعة ولكنها الأخرى بِحَسَنِ الاختيار أو بسوء الاختيار .

وقال فيلسوف : ما أَكْثَرَ من ظَنٍّ أَنَّ الفقير هو الذى لا يَمْلِكُ شيئاً كثيراً وهذا فقير من جهة العَرَض ، فأما الفقير الطبيعيُّ فالذى شَهَوَاتُهُ كثيرة وإن كان كثير المال ؛ كما أَنَّ النَّفْسَ الطبيعيَّ لا يحتاج إلى شيء وإن كان قليل المال ، أى الذى يملك نفسه وَقَعَ شَهَوَاتِهِ وَأَحْمَدَ لَهَبَ إِرَادَتِهِ ؛ وقد ظَنَّ قومٌ أَنَّ الَّذِينَ مَنَعُوا مِنَ الشَّهَوَاتِ ، وَرَضُوا بِالزُّهْدِ فى اللذات ، خَانُوا النَّاسَ وَحَالُوا بَيْنَهُمْ وبين حُظُوظِهِمْ ، وَخَرَمُوا ما هُوَ لَهُمْ ، وَصَدُّوا عن مَحَبوباتِهِمْ ؛ وهذا ظَنٌّ خطأ ، وأى مُرَادٍ فى هذا للواعظين والزَّهَّادِينَ ، وَالَّذِينَ وَصَّوْا وَأَشْفَقُوا ، وَرَدَّعُوا عن الخَوَاضِ فى لذات النفوس الغضبيَّةِ والبهيميَّةِ ؟ والله ما كان ذلك منهم إِلَّا على طريق النصيحة والشفقة والإعذار والإنذار ، إِلَّا أَنَّ يكونَ الَّذِينَ ظَنُّوا هذا إِنَّمَا ظَنُّوا لأنهم رأَوْا بعضَ الزَّهَّادِينَ راغباً ، وبعضَ الناصحين غاشياً ، وبعضَ الآمرين مغالفاً ، وليس العمل على المُعْتَالِ ، وعلى من آثَرَ الفِشْرَ فى المقال ؛ ولكنَّ التَّرجيعَ إلى ما يدلُّ عليه الحقُّ ، وَيَشْهَدُ له العقلُ ، وَيَصُحُّ فيه البرهانُ ؛ أَتَرَى الفيلسوفَ غَشَّ فى قوله لأصحابه : اقْنَعُوا بالقوتِ ، وَأَنْفُوا عن أَنْفُسِكُمُ الحاجةَ ، لَيْسَ كُنْ لَكُمْ قُرْبَةٌ إلى الله ، لِأَنَّ اللهَ غيرُ محتاجٍ ، فَكَلِمَا أَحْتَجُّكُمْ أَكْثَرَ كُنْتُمْ

(١) فى كلتا النسختين : « عن العي » .

(٢) فى كلتا النسختين : « بالجللة » ؟ وهو تحريف .

منه أبعد ، وأهربوا من الشرِّ والإثم ، وأطلبوا من الخير أعمه وأعظمه ، وأبقاه وأدومه ؛ وأعرفوا الأبد ، وأطلبوا السَّرمَد ، فإنَّ مَنْ طَلَبَ الأَبَدَ ثمَّ وَجَدَ يَبْقَى على الأبد ، وَمَنْ طَلَبَ الأَمَدَ ثمَّ وَجَدَ فَنَى على الأمد .

الحاجةُ ذُلٌّ ، والفنَى عِزٌّ ، والعِزُّ ضدُّ الذلِّ ؛ فمن طلب العِزَّ في العاجلة فقد طَلَبَ الذلَّ وهو لا يدري ، ومن طلب العِزَّ في الآجلة فقد وَجَدَ العِزَّ وهو يدري .

في الحكمة ^(١) أن يقال : إصير على الذلِّ لِتَنَالَ العِزَّ ، وليس في الحكمة أثبت على العِزِّ لِتَنَالَ الذلَّ ، هذا معكوس .

الليلة الثالثة والعشرون

(١) وكان الوزيرُ رَسَمَ بكتابة لَمَعَ من كلامِ الرِّسُولِ صلى الله عليه وسلم ، فَأَفَرَّدَتْ ذلك في هذه الورقات ، وهي :

قال صلى الله عليه وسلم : « أَشَدُّ الأَعْمَالِ ثَلَاثَةٌ : إِنْصَافُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ ، وَمُوَاسَاةُ الْآخَرِ مِنْ مَالِكَ ، وَشُكْرُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى كُلِّ حَالٍ » .

وقال الواقدي : لَمَّا غَالَطَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ قَالَ النَّبِيُّ — صلى الله عليه وسلم — يَا خَالِدُ : ذَرُّوا لِي أَصْحَابِي ، لَوْ كَانَ لَكَ أُخْذٌ ذَهَبًا تَنْفَقُهُ قَرَارِيطَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَمْ تُدْرِكَ غَدْوَةٌ أَوْ رَوْحَةٌ مِنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ .

وقال عليه السلام : « إِنْ أَحَدُكُمْ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ تَبَشَّشَ ^(٢) اللَّهُ إِلَيْهِ ، وَإِنْ آخَرُهَا أَعْرَضَ عَنْهُ » .

(١) عبارة (ب) : « وبيان الجملة أن يقال » .

(٢) التبشش من الله تعالى : الرضا والإكرام .

وقال عليه السلام : « إِنَّمَا فَذُكُّ^(١) طُعْمَةٌ أَطْعَمْنِهَا اللَّهُ حَيَاتِي ، ثُمَّ هِيَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ » .

وقال عليه السلام : « الْمُقَوِّمُ قَدْ يَأْتِمُّ وَلَا يَفْرَمُ » .

وقال عليه السلام في دعائه : « اللَّهُمَّ أَتَجَمَّعْ عَلَى الْهُدَى أَمْرُنَا ، وَأَصْلَحْ ذَاتَ بَيْنِنَا ، وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِنَا ، وَاجْعَلْ قُلُوبَنَا كَقُلُوبِ خِيَارِنَا ، وَاهْدِنَا سَوَاءَ السَّبِيلِ وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ، وَاصْرِفْ عَنَّا الْقَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ، اللَّهُمَّ مَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا وَمَعَاشِنَا ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا شَاكِرِينَ لِنِعْمَتِكَ ، وَتُبَّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ » .

وقيل له صلى الله عليه وسلم : إِنَّ فُلَانًا اسْتَشْهَدَ ، فَقَالَ : « كَلَّا ، إِنْ الشُّلَّةَ الَّتِي أَخَذَهَا مِنَ الْغَنَائِمِ يَوْمَ حُنَيْنٍ اشْتَعَلَتْ عَلَيْهِ نَارًا » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَطْلَعَ مِنْ صُيِّرٍ^(٢) بَابٍ فَنَفَقَتْ عَيْنُهُ فَهُوَ هَدَرٌ » .

وقال صلى الله عليه وسلم لرجل يذبحُ شاةً : « أَرْهِفْ شَفْرَتَكَ ، فَإِذَا فَرَيْتَ فَارِخَ^(٣) ذَيْبَحَتِكَ ، وَدَعْمَا نَحْبٍ وَتَشْخُبَ ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَمْرِي لِلدَّمِ وَأَحْلَى لِلْحَمِّ » .

وقال عليه السلام : « خَيْرُ النَّاسِ النَّفِيُّ النَّفِيُّ الْحَقِيُّ النَّفِيُّ » .

وقال : « التَّاجِرُ الصَّدُوقُ إِنْ مَاتَ فِي سَفَرِهِ كَانَ شَهِيدًا ، أَوْ فِي حَضَرِهِ كَانَ صَدِيقًا » .

(١) فَذُكُّ : بِلَهْجَةِ بَجْدِيز .

(٢) صِيرُ الْبَابِ وَغَيْرِهِ يَكْسُرُ الصَّادَ وَضَمُّهَا : نَاحِيَتُهُ وَحِرْفُهُ ؛ وَالَّذِي فِي كَلِمَتَا النَّسَخَتَيْنِ

« صِيرٌ » وَلَمْ نَجِدْ لَهُ مَعْنَى يَنْسَبُ السِّيَاقُ .

(٣) فِي كَلِمَتَا النَّسَخَتَيْنِ « فَارِخٌ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ ؛ وَمَا أَتْبَعْنَاهُ عَنْ كُتُبِ الْحَدِيثِ .

وقال [صلى الله عليه وسلم] : « ظهر المؤمن مشجبته ، وبطنه خزانته ، ورجله مطيئته ، وذخيرته ربه » .

وقال [صلى الله عليه وسلم] : « ما نقص مالٌ من صدقة ، فتصدقوا ، ولا عفا رجلٌ عن مظلمة إلا زاد الله عزًّا وجلًّا عزًّا وعفوا ، فاعفوا ؛ ولا فتح رجلٌ على نفسه باب مسئلة إلا فتح الله عليه سبعين باباً من الفقر ، فاستعفوا » .
وقال عليه السلام : « أجود الأعمال الجود في العسر ، والعقد في الغضب ، والعفو عند المقدرة » .

وقال عليه السلام : « إن بين مضراعى باب الجنة مسيرة مائة عام ، وليأتين عليه يومٌ وهو كظليظ من الزحام » .

وقد على رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول قومٍ من بني عامر يستأذنه في الترحى حول المدينة ؛ فقال عليه السلام : إنها ديار لا تضيق عن جارنا ، وإن جارنا لا يُظلم في ديارنا ، وقد أجتاكم الآزمة^(١) ، فنحن نأذن لكم في الترحى ونشرككم في المأوى ، على أن سرحنا^(٢) كسر حكم ، وعانينا كعانيكم^(٣) ، ولا تعينوا علينا بعد اليوم ؛ فقال : لانعين عدوا ما أقتنا في جوارك ، فإذا رحلنا فإنما هي القرب تطأب أثارها ، وتشفى دحولها ؛ فقال عليه السلام : يا بني عامر ، أما علمتُم أن اللؤم كل اللؤم أن تتحاشوا عند الفاقة ، وتثبوا عند العزة ، فقال : وأبيك إن ذلك اللؤم ، ولن نبغيك غائلة بعد اليوم ، فقال : اللهم أشهد ، وأذن لهم .
وسئل صلى الله عليه وسلم : كيف يأتيه الوحي ؟ فقال : « في مثل صلصلة الجرس ، ثم ينفصم » .

(١) الآزمة : الشدة . (٢) السرح : المال السام .

(٣) كذا وردت هذه الكلمة في كلتا النسخين .

وقد روى ابن الكلبي عن أبيه عن ابن صالح ، عن ابن عباس قال : لما كان يوم بذر، قال علي — عليه السلام — للمقداد : أعطني قَرَسَكَ أُرْكِبُهُ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنت تقَاتِلُ راجلاً خيراً منك فارساً . قال : فركبه ووتر قوسه ورعى فأصاب أذن الفرس فصرمه ، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى أمسك على فيه ، فلما رأى علي ضحكك غضب فسل سيفه ، ثم شد على المشركين ، فقتل ثمانية قبل أن يرجع ، فقال علي — صلوات الله عليه — : لو أصابني شرٌّ من هذا كنتُ أهله حين يقول : « أنت تقَاتِلُ راجلاً خيراً منك فارساً » ، فعصيته .

وقال صلى الله عليه وسلم : « إن أمراً عَرَفَ الله وعبدَه وطلَبَ رضاه وخالفَ هواه لحقيق بأن يفوز بالرحمة » .

لما ورد محمد بن مسلمة على عمرو بن العاص من جهة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، صنع عمرو له طعاماً ودعا إليه ، فأبى محمد ، فقال عمرو : أتحرم طعامي ؟ قال : لا ، ولكني لم أؤمر به . فقال عمرو : لعن الله زماناً عملنا فيه لابن الخطاب ، لقد رأيتُه وأباه وإنهما لني شملة ما توارى أرساغهما ، وإن العاصي بن وائل لني مقطعات الديباج مزورة^(١) بالذهب . فقال محمد : أما أبوك وأبو عمر فني النار ، وأما أنت فلولاً ما وليت إمرئاً لألقيتكَ معتقلاً^(٢) عنزاً يسرك غزوها^(٣) ويسوءك بكوها^(٤) ، فقال عمرو : المجالس^(٥) أمانة ، فقال محمد : أما ما دام عمرُ حيّاً فنعم .

(١) في بعض الروايات « مزورة » بالواو قبل الراء ، أي مزينة .

(٢) في القند الفريد « مقتدأ » .

(٣) كذا في القند الفريد ج ١ يريد غزارة لبئها . والذى في الأصل « غروها » ،

وهو تحريف .

(٤) البكاء : قلة اللبن .

(٥) عبارة القند الفريد « هي عندك بأمانة الله » .

دخل النبي صلى الله عليه وسلم على فاطمة — عليها السلام — يعودها من علة ، فبكت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما يُبْكِيكِ ؟ قالت : قلة العلم ، وشدة الشقم ، وكثرة ألم .

قال عبد الله بن مسعود : شرُّ الأور محدثاتها ، وشرُّ الغنى غنى الإنم ، وخيرُ الغنى غنى النفس ، والخرُّ جماعُ الإنم ، والدنيا حباله الشيطان ، والشباب شعبة من الجنون .

قيل له : أقول هذا من تلقائك ؟ قال : لا ، بل من تلقاء من مرَّض الله على طاعته .

وقال أبو ذر [رحمه الله عليه] : قال [لى] رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يا أبا ذر : إني أراك ضعيفا ، وإني أحبُّ لك ما أحبُّ لنفسى ، لا تأمرنَّ على اثنين ، ولا تولين مال يقيم .

وقال أبو هريرة : عن النبي — صلى الله عليه وسلم — ستحرصون على الإمارة ، وستكون حُسرةٌ وندامة يوم القيامة ، فنعمت المُرْضعة ، وبئست الفاطمة .
أبو أمامة يرفقه ، قال : ما من رجلٍ يلى أمر عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مفلولا أطلقه العدل ، أو أوثقه الجور .

قال العباس للنبي صلى الله عليه وسلم : أمرنى يا رسول الله فأصيب ^(١) .

قال عبد الله بن عمرو بن العاص : إن رجلا جاء إلى النجاشي فقال له :

(١) كذا وردت هذه العبارة في كلتا النسخين ، ولا معنى لقوله هنا « فأصيب » كما أن في العبارة نصبا سقط من النسخ ؛ وقد رواها صاحب المقد الفريد كاملة في الجزء الأول ص ٢٤ طبع لجنة التأليف ، فذكر أن العباس رضى الله عنه طلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاية ؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياعم ، نفس تخيبيها خير من ولاية لا تحصيها .

أَفَرَضْنِي أَلْفَ دِينَارٍ إِلَى أَجَلٍ ، قَالَ : مَنْ الْكَفِيلُ بِكَ ؟ قَالَ : اللَّهُ . فَأَعْطَاهُ
الْأَلْفَ ، فَلَمَّا بَلَغَ الْأَجَلَ أَرَادَ الرَّدَّ ، فَخَبَسَتْهُ الرِّجْحُ ، فَصَلَّ تَابُوتًا وَجَلَّ فِيهِ
الْأَلْفَ وَغَلَّقَهُ ، وَأَلْقَاهُ فِي الْبَحْرِ ، وَقَالَ : اللَّهُمَّ أَذْهَمْتُكَ ؛ فُخِرَجَ النَّجَاشِيُّ إِلَى
الْبَحْرِ فَرَأَى سَوَادًا ؛ قَالَ : ائْتُونِي بِهِ . فَأَتَوْهُ بِالتَّابُوتِ ، فَفَتَحَهُ ، فَإِذَا فِيهِ
الْأَلْفُ ، ثُمَّ إِنَّ الرَّجُلَ جَمَعَ أَلْفًا بَعْدَ ذَلِكَ ، وَطَابَتِ الرِّجْحُ ، وَجَاءَ إِلَى النَّجَاشِيِّ
فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ؛ فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ : لَا أَقْبِلُهَا مِنْكَ حَتَّى تُخْبِرَنِي بِمَا صَنَعْتَ فِيهَا .
فَأَخْبَرَهُ بِالَّذِي صَنَعَ ؛ فَقَالَ النَّجَاشِيُّ : فَقَدْ أَذَى اللَّهُ عَنْكَ ، وَقَدْ بَلَغَتْ الْأَلْفُ
فِي التَّابُوتِ ، فَأَمْسِكْ عَلَيْكَ أَلْفَكَ ^(١) .

رَأَى أَبُو هُرَيْرَةَ رَجُلًا مَعَ آخَرٍ ، قَالَ : مَنْ هَذَا الَّذِي مَعَكَ ؟ قَالَ : أَبِي .
قَالَ : فَلَا تَمْشِ أَمَامَهُ ، وَلَا تَجْلِسْ قَبْلَهُ ، وَلَا تَدْعُهُ بِاسْمِهِ ، وَلَا تَسْتَسَبِّحْ ^(٢) لَهُ .
قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : كَانَ جُرَيْجٌ يَتَعَبَّدُ فِي صَوْمَعَتِهِ ، فَأَتَتْ أُمُّهُ فَقَالَتْ :
يَا جُرَيْجُ ، أَنَا أُمُّكَ ، كَلِّمْنِي ؛ فَقَالَ : اللَّهُمَّ أُمِّي وَصَلَاتِي ؛ فَأَخْتَارَ صَلَاتَهُ ،
فَرَجَعَتْ ثُمَّ أَتَتْهُ نَائِيَةً فَقَالَتْ : يَا جُرَيْجُ ، كَلِّمْنِي ، فَصَادَفَتْهُ يُصَلِّي قَالَ : اللَّهُمَّ
أُمِّي وَصَلَاتِي ، فَأَخْتَارَ صَلَاتَهُ ، ثُمَّ جَاءَتْهُ فَصَادَفَتْهُ يُصَلِّي ، فَقَالَتْ : اللَّهُمَّ إِنَّ
هَذَا ابْنِي قَدْ عَنَى فَلَمْ يَكَلِّمْنِي فَلَا تُنِمْتَهُ حَتَّى تُرِيَهُ الْمَوْسَاتِ ، وَلَوْ دَعَتْ عَلَيْهِ
أَنْ يُفْتَنَ لَفُتِنَ ؛ قَالَ : وَكَانَ رَاعِي ضَأْنٍ يَأْوِي إِلَى دِيرِهِ ، فَخَرَجَتْ أَمْرَأَةً
مِنَ الْقَرْيَةِ ، فَوَقَعَ عَلَيْهَا الرَّاعِي ، فَحَمَلَتْ فَوَلَدَتْ غُلَامًا ، فَقِيلَ لَهَا : تَمَنِّ هَذَا ؟
فَقَالَتْ : مِنْ صَاحِبِ هَذِهِ الصَّوْمَعَةِ ، فَأَقْبَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ بِفُؤُوسِهِمْ وَمَسَاحِيهِمْ

(١) يلاحظ أن هذه القصة لا تدخل في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي
عنون به المؤلف هذا الباب وكذلك بعض القصص الآتية بعد .

(٢) أي لا تمرّضه للرب بأن تبّ أحدًا بأية فيسبّ الآخر أباك .

فَبَصَرُوا بِهِ ، فَصَادَفُوهُ يَصِلُ ، فَلَمْ يَكَلِّمَهُمْ ، فَأَخَذُوا يَهْدِمُونَ دِيرَهُ ، فَزَلَّ وَتَبَسَّمَ
وَمَسَحَ رَأْسَ الصَّبِيِّ وَقَالَ : مَنْ أَبُوكَ ؟ فَقَالَ : أَبِي رَاعِي الضَّأْنِ . فَلَمَّا سَمِعَ
الْقَوْمُ ذَلِكَ رَاعَهُمْ ، وَعَجِبُوا ، وَقَالُوا : نَحْنُ نَبْنِي لَكَ مَا هَدَمْنَا بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ .
قَالَ : لَا ، أَعِيدُوهَا كَمَا كَانَتْ تُرَابًا ؛ ثُمَّ عَادَ .

وقال أبو الدرداء : لَا يُحَافِظُ عَلَى سُبْحَةِ الضَّحَى إِلَّا أَوَّابٌ .

وقال أيضاً : لَيْسَ عَلَى سَارِقِ الْحَمَامِ قَطْعٌ .

وقال : إِذَا اخْتَرْتُمْ أَرْضًا فَلَا تَخْتَارُوا أَرْمِينِيَّةً ، فَإِنَّ فِيهَا قِطْعَةً مِنْ عَذَابِ

الله ، يَعْنِي الْبَرْذَ .

أَبُو هُرَيْرَةَ يَرْفَعُهُ : وَيِلُّ لِلْعُرَفَاءِ ، وَيِلُّ لِلْأُمْنَاءِ ، لَيَتَمَنَّيْنَ أَقْوَامَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
أَنَّهُمْ كَانُوا مُتَعَلِّقِينَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ يَتَقَدَّبَذُونَ مِنَ الثَّرَيَّا ، وَأَنَّهُمْ
لَمْ يَلَوْا عَمَلًا .

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ : « لَا تَسْأَلِ الْإِمَارَةَ ،
فَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ مَسْئَلَةٍ وَكِلْتَا إِلَيْهَا ، وَإِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ غَيْرِ مَسْئَلَةٍ
أُعِنْتَ عَلَيْهَا » .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، فَالْأَمِيرُ
رَاعٍ عَلَى النَّاسِ وَهُوَ مَسْئُولٌ أَقَامَ أَمْرَ اللَّهِ فِيهِمْ أَمْ ضَيَّعَ ؛ وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِهَا
وَمَا وَلِيَتْ مِنْ زَوْجِهَا ، وَمَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ أَقَامَتْ أَمْرَ اللَّهِ فِيهِمْ أَمْ ضَيَّعَتْ ؛ وَالْخَادِمُ
مَسْئُولٌ عَنْ مَالِ سَيِّدِهِ أَقَامَ أَمْرَ اللَّهِ فِيهِ أَمْ ضَيَّعَ » . هَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ عُثْبَةَ عَنْ
نَافِعٍ عَنْ أَبِي عُمَرَ .

قال عياض الأشعري : قَدِمَ أَبُو مُوسَى عَلَى عُمرَ وَمَعَهُ كَاتِبٌ لَهُ ، فَرَفَعَ

حِسَابِهِ ، فَأَعْجَبَ عَمْرُ . وجاء إلى عمر كَتَابٌ ، قَالَ لِأَبِي مُوسَى : أَيْنَ كَاتِبُكَ يَقْرَأُ هَذَا الْكِتَابَ عَلَى النَّاسِ ؟ قَالَ : إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْمَسْجِدَ . قَالَ : لِمَ ؟ أَجُنُبٌ هُوَ ؟ قَالَ : إِنَّهُ نَضْرَانِي . قَالَ : فَأَتَهَرَّهْ ، وَقَالَ : لَا تَذْنِبْهُمْ وَقَدْ أَقْصَاهُمْ اللَّهُ ، وَلَا تُكْرِمْهُمْ وَقَدْ أَهَانَهُمُ اللَّهُ ، وَلَا تَأْتَمْنَهُمْ وَقَدْ خَوَّنَهُمُ اللَّهُ .

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نَافِعٍ : جَاءَ رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ إِلَى النَّبِيِّ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — يَخْتَصِمَانِ فِي مَوَارِيثَ بَيْنَهُمَا قَدْ دَرَسَتْ لَيْسَ بَيْنَهُمَا بَيِّنَةٌ ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّكُمْ لَتَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَإِنَّمَا [أَنَا بَشَرٌ ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ ، وَإِنَّمَا] أَقْضِي بَيْنَكُمْ عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ مِنْكُمْ ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلَا يَأْخُذْهُ ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنْ نَارٍ ، يَأْتِي بِهَا إِسْطِطَامٌ^(١) فِي عُنُقِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . قَالَ : فَبَكَى الرَّجُلَانِ ، وَقَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا : حَقِّي لِأَخِي ؛ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَمَّا إِذَا قُلْتُمَا هَذَا فَأَذْهَبَا فَأَسْتَهِمَا ، وَتَوَخَّيَا الْحَقَّ ، وَلْيَحْلُلْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمَا صَاحِبَهُ . وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى : أَذْهَبَا فَأُصْطَلِحَا .

وَرَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — كَتَبَ إِلَى النَّجَاشِيِّ أَصْحَمَةَ : سَلَامٌ عَلَيْكَ فَإِنِّي أَحَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الْمَلِكُ الْقُدُّوسَ السَّلَامَ الْمُؤْمِنَ الشَّهِيدَ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ ، فَكَتَبَ النَّجَاشِيُّ : إِلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ النَّجَاشِيِّ أَصْحَمَةَ بْنُ أَبِجَرَ : سَلَامٌ عَلَيْكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ وَبَرَكَاتِهِ .

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْكَافِرُ خَبٌّ^(٢) ضَبٌّ^(٣) ، وَالْمُؤْمِنُ دَعِبٌ لَبِيبٌ » .
وَقَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — : اْعْدِلْ فَإِنَّكَ إِلَى الْآنَ

(١) الإِسْطِطَامُ : مَسَارُ النَّارِ ، وَهِيَ الْحَدِيدَةُ الَّتِي تَسْرِبُ بِهَا .

(٢) الْخَبُّ : الْحَدَاثُ . وَالضَّبُّ : الْحَقْدُ ؟ يُرِيدُ ذَا حَقْدٍ ؟ وَوُصِفَ بِالْمُبْدِرِ .

لَمْ تَعْدِلْ . قَالَ : وَبَيْتُكَ ! إِذَا لَمْ أَعْدِلْ أَنَا فَمَنْ يَعْدِلُ ؟ .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ الْوَاجِدَ ^(١) يُبَيِّحُ ظَهْرَهُ وَعِرْضَهُ » .

وَقَالَ عُمَرُ : رَدِّدِ الْخُصُومَ كَيْ يَضْطَلِّحُوا .

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : لَا تَخْلِفُوا بَأْيَمَانَكُمْ ، وَمَنْ خَلَفَ بِاللَّهِ فَلْيَصْدُقْ ، وَمَنْ خَلَفَ لَهُ فَلْيَقْبَلْ .

وَقَالَ : مَنْ خَلَفَ يَمِينًا كَاذِبَةً يَفْتَتِعْ بِهَا مَالَ أَمْرِي مُسْلِمٍ لِقَى اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانِ .

وَقَالَ : مَنْ خَلَفَ يَمِينًا فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا فَلْيَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ ، وَلْيُكْفِرْ عَنْ يَمِينِهِ .

وَقَالَ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — لَا تُسَافِرِ الْمَرْأَةَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا مَعَ ذِي حَرَمٍ .

حَدَّثَنَا أَبُو السَّائِبِ الْقَاضِي مُتَيْبَةُ بْنُ عُبَيْدٍ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ التَّرْزَانِ قَالَ : حَدَّثَنَا الْمُخَيْرَةُ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْمِنْقَرِيُّ قَالَ : كَانَ شَرِيكُ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى الْقَضَاءِ بِالْكُوفَةِ ، فَقَضَى عَلَى وَكَيْلٍ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُصْعَبٍ بِقَضَاءٍ لَمْ يُوَافِقْ عَبْدَ اللَّهِ ، فَلَمَّ شَرِيكًا بِبَغْدَادَ ، فَقَالَ لَهُ : قَضَيْتَ عَلَى وَكَيْلٍ قَضَاءَ لَا يُوَافِقُ الْحَقَّ . قَالَ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : مَنْ لَا تَنْفِكِرُ . قَالَ : قَدْ نَكِرْتُكَ أَشَدَّ الْفَكْرِ . قَالَ : أَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُصْعَبٍ . قَالَ : فَلَا كِبِيرَ وَلَا حُطْبَ . قَالَ : كَيْفَ لَا تَقُولُ هَذَا وَأَنْتَ تَشْتُمُ الشَّيْخَيْنِ . قَالَ : مِنَ الشَّيْخَانِ ؟ قَالَ : أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ . قَالَ : وَاللَّهِ لَا أَشْتُمُ [أَبَاكَ] وَهُوَ دُونَهُمَا ، فَكَيْفَ أَشْتُمُهُمَا وَهُمَا فَوْقِي وَأَنَا دُونَهُمَا ؟ .

(١) الْوَاجِدُ : ذُو الْوَجْدِ ، وَهُوَ النُّضْبُ . يُرِيدُ أَنْ النُّضْبَ يَنْسِبَهُ حِفْظُ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ حِفْظُهُ .

وقال عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ الْجُهَنِيُّ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا مِنْ رَجُلٍ يُؤْتَى الدُّنْيَا وَيُوسَّعَ لَهَا فِيهَا وَهُوَ اللَّهُ عَلَى غَيْرِ مَا يُحِبُّ إِلَّا وَهُوَ مُسْتَدْرَجٌ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : (فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ، فَقُطِعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) . قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ : قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا وَهُوَ مُسْتَدْرَجٌ ، مَعْنَاهُ إِلَّا وَهُوَ مُسْتَدْعٍ هَلَكَتَهُ ، مَأْخُودٌ مِنَ الدَّارِجِ ، وَهُوَ الْمَالِكُ ، يُقَالُ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ دَبَّ وَدَرَجَ ، وَيُرَادُ بِدَرَجَ : هَلَكَ ؛ وَبَدَبَ : مَشَى .

وقال سعيد بن عامر بن حُزَيْمٍ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِنْ لَّهِ أَمْنَاءٌ عَلَى خَلْقِهِ يَصْنُ بَهُمْ عَلَى الْقَتْلِ يُعِيشُهُمْ فِي عَافِيَةٍ ، وَيُمِيتُهُمْ فِي عَافِيَةٍ » .

قال نَاشِرَةُ بْنُ سُمَيٍّ : سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ يَوْمَ الْجَابِيَةِ : إِنِّي قَدْ نَزَعْتُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ وَأَمْرَتُ أَبَا عُبَيْدَةَ ، فَقَالَ رَجُلٌ : وَاللَّهِ لَقَدْ نَزَعْتَ عَامِلًا اسْتَعْمَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَتَمَدَّتْ سَيِّفَا سَلَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَوَضَعْتَ لِرِوَاءِ شَدَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقَالَ عُمَرُ : إِنَّكَ لَشَابٌّ قَرِيبُ الْقَرَابَةِ ، وَهَذَا الْقَاتِلُ هُوَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ حَفْصِ بْنِ الْمُهَيَّرَةِ ابْنِ عَمٍّ خَالِدٍ .

قال قَبِيصَةُ بْنُ الْمُخَارِقِ : نَهَى رَسُولُ اللَّهِ عَنْ الطَّرْقِ ^(١) وَالْعِيَانَةِ وَالْخَطِّ .

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الصَّدَقَةُ عَلَى الْمَسَاكِينِ صَدَقَةٌ ، وَعَلَى ذِي الرَّحِمِ أَثْنَتَانِ : صِلَةٌ وَصَدَقَةٌ » .

قَبِيصَةُ بْنُ الْمُخَارِقِ وَزُهَيْرُ بْنُ عَمْرٍو قَالَا : لَمَّا نَزَلَتْ : (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ

(١) يريد بالطرق طرق الحمى وبالخط الخط في الرمل لاستطلاع الغيب كما هو معروف .

الْأَمْرَيْنِ) ، انْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى رَضْمَةٍ (١) مِنْ جَبَلٍ فَلَا أَهْلًا هَجْرًا ، وَقَالَ : يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ ، يَا بَنِي نَهْرٍ ، إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ رَأَى الْقَدُوءَ فَاِنْطَلَقَ يُرِيدُ أَهْلَهُ ، وَخَشِيَ أَنْ يَسْبِقُوهُ إِلَى أَهْلِهِ ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ وَاصْبَاحَاهُ .

الثَّمَانُ بْنُ بَشِيرٍ وَقَبِيصَةُ قَالَا : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — : « إِنْ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا يَنْفَكِيفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ إِذَا تَجَلَّى لَشَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ خَشَعٌ » .

تَزَوَّجَ رَجُلٌ امْرَأَةً فَاتَّ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بِهَا ، وَلَمْ يُسَمِّهَا صَدَاقًا ، فَسُئِلَ ابْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ : لَهَا صَدَاقٌ إِخْدَى نِسَاءَهُ ، لَا وَكَسَ وَلَا شَطَطَ ، وَعَلَيْهَا الْعِدَّةُ ، وَلَهَا الْمِيرَاثُ . فَقَامَ أَبُو سِنَانٍ فِي رَهْطٍ مِنْ أَشْجَعٍ ، فَقَالُوا : لَقَدْ قَفَى فِيهَا بِقِضَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَرُوعَ بِنْتِ وَاشِقِ الْأَشْجَعِيَّةِ .

عُبَيْدَةُ السُّلَمِيُّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — : « إِذَا تَبَايَعَتِ الْمَغَازِي وَكَثُرَتِ الْفَرَاثِمُ وَأُسْتُوثِرَ بِالْغَنَائِمِ نَخِيرُ جِهَادِكُمُ الرِّبَاطُ » .

حَبَّانُ الْأَنْصَارِيُّ قَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَبَ النَّاسَ يَوْمَ حُتَيْنٍ فَأَحَلَّ لَهُمْ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ [كَانَ نَهَاهُمْ عَنْهَا ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِمْ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ] كَانَ النَّاسُ يَحْلَوْنَهَا ، [أَحَلَّ لَهُمْ (٢)] أَكَلَ لَحْمِ الْأَضَاحِيِّ ، وَزِيَارَةَ الْقُبُورِ وَالْأَوْعِيَةِ (٣) ، وَنَهَاهُمْ عَنْ بَيْعِ الْمَنَمَنِ حَتَّى يُقَسَمَ ، وَنَهَاهُمْ عَنِ النَّسَاءِ مِنَ السَّبَايَا

(١) الرضمة : الصخرة المطيعة .

(٢) لم ترد هذه العبارة في الأصول .

(٣) في الأصل : « والأدعية » ؛ وهو تحريف . ويريد بالأدعية أسقية النبيذ ، وذلك

أخذنا من قوله صلى الله عليه وسلم في حديث آخر « نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ، ونهيتكم عن لحوم الأضاحي فوق ثلاث فأسكوا ما بدا لكم ، ونهيتكم عن النبيذ إلا في سقاء فافربوا في الأسقية كلها ، ولا تفربوا مسكرا » رواه مسلم .

أَلَا يُؤْتَانِ حَتَّى يَصْنَعَ أَوْلَادَهُنَّ ، وَنَهَاهُمْ أَلَّا تَبَاعَ ثَمَرُهُ حَتَّى يَبْدُو صَلَاحُهَا ، وَيُؤْمِنَ عَلَيْهَا مِنَ الْعَاةِ .

وَهَبُ بْنُ حُذَيْفَةَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الرَّجُلُ أَحَقُّ بِمَجْلِسِهِ .
حُسَيْنُ بْنُ ثَابِتٍ قَالَ : لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَاثِرَاتِ الْقُبُورِ .
قَالَ مَالِكُ بْنُ عُبَادَةَ الْغَافِقِيُّ : سَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ فَقَالَ : لَا تُكْثِرْ هَمَّكَ مَا يُقَدِّزُ يَكُنْ ، وَمَا تُرْزَقُ يَا ثَلَاثَ .

خَالِدُ بْنُ عَدِيٍّ الْجَهَنِّيُّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : مَنْ بَلَغَهُ مَعْرُوفٌ مِنْ أَخِيهِ مِنْ غَيْرِ مَسْتَلْقٍ وَلَا إِشْرَافٍ نَفْسٍ فَلْيَقْبَلْهُ وَلَا يَرُدَّهُ ، فَإِنَّمَا هُوَ رِزْقٌ سَاقَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ .

رَافِعُ بْنُ مَكِيثٍ — أَخُو جُنْدَبِ بْنِ مَكِيثٍ — شَهِدَ الْعُدَيْبِيَّةَ قَالَ :
سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « حُسْنُ الْمَلَكََةِ ^(١) نَمَاءٌ ، وَسُوءُ الْخَلْقِ شَوْمٌ ، وَالصَّدَقَةُ تَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ ، وَالْبِرُّ زِيَادَةٌ فِي الْعُمُرِ .

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ يَوْمٌ زِينَةٌ كَيَوْمِ الْفِطْرِ وَالنَّحْرِ .

خَبَابُ بْنُ الْأَرْتِ ^(٢) — وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ —
قَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى يَوْمًا إِلَى جِدَارٍ كَثِيرِ الْحِجَرَةِ إِنَّمَا ظَهَرَ أَوْ عَصَرَ ، فَلَمَّا صَلَّى خَرَجْتُ إِلَيْهِ عَقْرَبٌ فَلَدَغَتْهُ ؛ فَفَشِيَ عَلَيْهِ ، فَرَقَاهُ النَّاسُ فَأَفَاقَ ، فَقَالَ : « إِنَّ اللَّهَ شَفَانِي وَلَيْسَ بِرُقِيَّتِكُمْ » .

قَالَ الْوَزِيرُ : مَا أَحْسَنَ هَذَا الْمَجْلِسَ .

(١) حسن المَلَكََةِ ، أى حسن صفة المرأة لمن يملكهم من مملوكه ومواليه .

(٢) فى الأصل « ابن الأزرق » وهو مخريف .

الليلة الرابعة والعشرون

(١)

وجرى حديث القيل ليلةً فأكثر من حضر وصفه بما لم يكن فيه فائدة تُعاد ، ولا غريبة تُستفاد ؛ فحكيتُ : إن العلماء بطباع الحيوان ذكروا أن الفيلة لا تتولد إلا في جزائر البحار الجنوبية ، وتحت مدار بُرج الحمل ، والزرافة لا تكون إلا في بلاد الحبشة ، والسمور وغزال المسك لا يكونان إلا في الصحارى الشرقية الشمالية ؛ وأما الضفدع والسمور والبزاة وما شاكلها من الطير [فإنها] لا تفرخ إلا في رءوس الجبال الشاخنة [والعقاب^(١)]. والنعام لا تفرخ إلا في البراري والغار والفوات [. والوطواط والطيطوى^(٢)] وأماها من الطير لا تفرخ إلا على سواحل البحار وشطوط الأنهار والبطائح والآجام ؛ والعصافير والنواحي وما شاكلها من الطير لا تفرخ إلا بين الأشجار والدحال^(٣) والقرى والبساتين .

وحدث ابن الأعرابي عن هشام بن سالم — وكان مُسِينًا من رَهْطِ ذِي الرِّمَةِ — قال : أَكَلْتُ حَيَّةً بَيْضَ مُكَا .^(٤) فحَلَّ الْمَكَا . يَشْرِي^(٥) عَلَى

(١) في ب التي غلت عنها هذه الزيادة وحدها : « والطاف » . ولعل سواه ما أثبتنا ، إذ لم نجد العطف فيما راجعناه من كتب الحيوان . وفي « كتاب حياة الحيوان » أن من أنواع العقاب ما يأوى إلى الصحارى .

(٢) الطيطوى : طائر لا يفارق الآجام وكثرة المياه ، لأن هذا الطائر لا يأكل شيئا من الثبت ولا من اللحوم ، وإنما قوته مما يتولد في شاطئ الفيض والآجام من دود التن . والذي في (ب) : « والطوطى » ؛ والطوطى هي الببغاء ، وهو غير مراد هنا .

(٣) الدحال : جمع دحل ، وهو نخب ضيق الفم متسع الأسفل حتى يعنى فيه ؛ وربما نبت فيه السم .

(٤) المكاء : طائر أبيض يصفر ويصيح في الرياض .

(٥) يشرى ، أى يرفرف ، كما ذكره الديلمي في حياة الحيوان في الكلام على المكاء .

رأسها ويدّنونها ، حتى إذا فتحت فاهاً تريده وممت به ألقى فيها حَسَكَةً ؛
فأخذت بعلقتها حتى ماتت .

وأنشد أبو عمرو الشَّيبَانِيُّ قولَ الأَسَدِيِّ :

إِنْ كُنْتُ أَبْصَرْتُ قُلًّا^(١) وَمُضْطَلًّا فَرُبَّمَا قَتَلَ الْمَكَّاهُ نُفْسَانَا

فقال — حرسَ الله نفسه — من أين للحيوان غير الإنسان هذه الفطنة
[وهذه الفضيلة] وهذه الجرأة وهذه الحيلة ؟ قلتُ : شيعُنَا أبو سليمان يقول
في هذه الأيام — وقد جرى حديثُ الحيوان ومجائب أفاعيله — إن الإحساسات
التي للحيوان على أصفانه لها غَرَضٌ عظيم ، وبذلك الفرض لها تفاوتٌ [عظيم]
ظاهراً وخافٍ ، وأفعالٌ معهودة ونادرة ، ولها أخلاق معروفة ، ومعارف موصوفة ؛
ولولا ذلك ما كان يقال : أصولٌ من جمل ، وأغدرٌ من ذئب ، وأروغٌ من
ثعلب ، وأجبنٌ من صقر ، وأجمعٌ من ذرّة^(٢) ، وآلفٌ من كلب ، وأهدى من قطاة ،
وأحذرٌ^(٣) من عقق ، وأزهى من غراب ، وأظلم^(٤) من حَيَّة . وأشدُّ عداوةً من
عقرب . وأخبثٌ من قرود ، وأحقُّ من حُبَارَى ، وأكذبٌ من فاختة^(٥) ،

(١) في (١) : « مذ أو مضت ضلماً » ، وهو تحريف . وفي (ب) : « قدا » ، وهو
تحريف أيضاً ، إذ لم نجد من معاني القد ما يناسب السياق . والقل من الناس : بضم القاف
الفردي الذي لا أحد له . والمضطلم : من الاضطلام ، وهو الاستئصال . فلهذا يريد الذي استؤصلت
أهله ونصارؤه وبقي فرداً . (٢) القر : النمل الأحمر الصغير .

(٣) الذي وجدناه في كتاب حياة الحيوان في الأمثال التي قبلت في العقق : الص من
عقق ، وأحق من عقق ؟ ولم نجد أنه قيل : أحذر من عقق كما هنا ؟ فلهذا قوله
« أحذر » محرف عن أحق . والعقق : طائر على قدر الحمامة ، وهو على شكل الغراب ،
وجناحه أكبر من جناحي الحمامة ، وهو طويل الذنب .

(٤) يقال ذلك للحية لأنها تأتي الجحر الذي لم تحتفر به حفرة غيرها فتسكنه .

(٥) الفاختة : من الحمام ذوات الأظواف ، وتوصف بحسن الصوت ، ويصفونها بالكذب
لأنهم يزعمون أنها تقول في صباحها : « هذا أوان الرطب » (بضم الراء) والنخل لم يطلع بعد . قال الشاعر :

أكذب من فاختة تقول وسط الكرب
والطلم لم يبد لها : هذا أوان الرطب

والأُم من كلب على جيفة ، وأعق^(١) من ضَب ، وأبر^(٢) من هرة ، وأنقر من ظليم^(٣) ، وأجرأ من ليث ، وأحقد من فيل ؛ وعلى هذا .

قال : وكما أن بين آحاد نوع الإنسان تفاوتاً في الأخلاق ، كذلك بين آحاد نوع الحيوان تفاوت ، وكما أنه يزل بعض العقلاء فيركب ما لا يُظن بمثله لعقله ، كذلك يزل ويغلط بعض الحقي فيأتي بما لا يحسب أن مثله يهتدى إليه ، فليس العقل بمحافظٍ على صاحبه أن يندُر منه ما يكون من الحيوان ، وأصناف الحيوان من الناس وغير الناس تنقسم هذه الأخلاق بضروب المزاج المختلفة في الأزمان المتباعدة ، والأماكن المتنازحة ، تقاسم محفوظ النسب بالطبيعة المستولية ، وإن كان ذلك التقاسم مجهول النسب للغموض الذي يغيب عليه ، وإذا عُرف هذا الشرح وما أشبهه مما يزيده وضوحاً ، زال التعجب الناشئ من جهل العلة وخفاء الأسر .

قال : ومن العَجَب أنا إذا قلنا : أروغ من ثعلب ، وأجبن من صقر ، وأحقد من فيل ، أن هذا الرَوُغ وهذا الجُبْن وهذا الحَقْد في هذه الأصناف ليست لتكون^(٤) عُدَّة لها مع نوع الإنسان ، ولكن لتتعاطى أيضاً بينها ، وتستعملها عند الحاجة إليها ؛ وكما يشبه إنساناً لأنه^(٥) لصاً بالفأرة ، أو بالنيل لأنه حقود ، أو بالجمل لأنه صَوُول ، كذلك يُشبه كل صَرَب من الحيوان في فعله وخلقه وما يظهر من سِنخه بأنه إنسان .

(١) يقال : أعق من ضب ، لما يقال من أن أته تأكل أولادها .

(٢) يقال هذا المثل لأنهم يزعمون أن الهرة تأكل أولادها لعدة جهبا أيام .

(٣) الظليم : ذكر النعام .

(٤) في كلتا النسختين ليست تكون والسياق يقتضى زيادة اللام كما أثبتنا .

(٥) في الأصول « بأنه » ؛ وهو تحريف .

ويقال للبليد من الناس : كأنه حمار ؛ ويقال للذكى من الخيل : كأنه إنسان ؛ ولولا هذا التمازج في الأصل والجوهر ، والسنخ والعنصر ، ما كان هذا التشابه في الفرع الظاهر ، والمادة الجارية بالخبر والنظر .
فقال (١) : هذا كلام لا مزيد عليه .

وقالت العلماء : إن هذا الاعتبار واصل في الحقيقة إلى جنس النبات ، فإن النخل والصوّز لا ينبتان إلا في البلدان الدفنة والأرض اللينة التربة ، والجوّز والفستق وأمثالهما لا ينبتان إلا في البلدان الباردة [والأرض] الجبلية . والذئب وأمّ غيلان في الصحارى والغفار ؛ والقصب والصفصاف على شطوط الأنهار .
قالوا : وهكذا أيضاً وصف الجواهر المتعدية ، كالذهب ، فإنه لا يكون إلا في الأرض الرملية والجبال والاحجار الرخوة . والفضة والنحاس والحديد لا تكون إلا في الأرض الندية والتراب اللين والرطوبات الدهنية ، والأملاح لا تنعقد إلا في الأراضي [والبقاع] السبخة ، والجص والاسفيداج لا يكونان إلا في الأرض الرملية المختلطة ترابها بالحصى ، والزاج لا يكون إلا في التراب الغصص ؛ وقد أحصى بعض من عني بهذا الشأن هذه الأنواع المعدنية فوجدّها سبعاً نوع .

وقالوا : من الجواهر المعدنية ما هو صلب لا يذوب إلا بالنار الشديدة ، ولا يكسر إلا بالعأس كالياقوت والعقيق ؛ ومنها ترابي رخو لا يذوب ولكن ينفرّك ، كالملح والزاج ، والطلق (٢) ؛ ومنها مائي رطب ينفرّ (٣) من النار

(١) فقال ، أى الوزير .

(٢) الطلق : حجر براق ينشظى إذا دقّ . يتخذ منه مضايى للعمامات بدلا من الزجاج ، ويعمل بأن يجعل في خرقه مع حصوات ويدخل في الماء القاتر ثم يحرك برفق حتى ينحل ويخرج من الحرقه في الماء ؛ ثم يصفى عنه الماء ، ويشمس ليصف .

(٣) في (أ) يفر من النار .

كالزئبق، ومنها هوائى دُهْنى تأْكُلُه النار، كالسكبريت والزرنينخ؛ ومنها نباتى كالترجان، ومنها حيوانى كالذُر، ومنها طَلٌّ مُنْعَقِدٌ، كالعنبر والبادزهر، وذلك أن العنبر إنما هو طَلٌّ يَقَعُ على سطح ماء البحر، ثم ينمقد فى مواضع مخصوصة فى زمانٍ مقدَّر؛ وكذلك البادزهر^(١)، فإنه طَلٌّ يَقَعُ على بعض الأحجار، ثم يَرْسَخُ فى خَلِّها، وَيَغِيبُ فيها، وَيَنْعَقِدُ فى بِقاعٍ مُخْصُوصَةٍ، فى زمانٍ معلوم، وكالترنجبين الذى هُوَ طَلٌّ يَقَعُ على صَرْبٍ من الشوك؛ وكذلك اللُّكُ فإنه يَقَعُ على نَباتٍ مُخْصُوصٍ يَنْعَقِدُ عليه؛ وكذلك الذُر فإنه طَلٌّ يَرْسَخُ فى أَصْدافِ نَوْعٍ من الحيوان البحرى، ثم يَمْلَأُ وَيَجْمَدُ وَيَنْعَقِدُ فيه، وكذلك الموميا، وهى طَلٌّ يَرْسَخُ فى صخورٍ هناك ويصيرُ ماءً ثم يَبْرُ من مَسَامٍ ضَيِّقَةٍ وَيَجْمَدُ وَيَنْعَقِدُ^(٢).

والطَّلُّ هو رُطوبَةٌ هوائيةٌ تَجْمَدُ من بَرْدِ اللَّيْلِ. وتقع على النبات والشجر والحجر والصخر؛ وعلى هذا القياس جميع الجواهر المعدنية، فإن مادتها إنما هى رطوباتٌ مائيةٌ، وأنداءٌ وبخاراتٌ تَنْعَقِدُ بطولِ الوقوعِ ومَرَّةِ الزَّمانِ. وقات الحكماء الأولون: ها هنا طبيعةٌ تَأْتِى طَبِيعَةٌ أُخْرَى، وطبيعةٌ تَلْزَقُ بطبيعةٍ أُخْرَى، وطبيعةٌ تَأْتِى بطبيعةٍ، وطبيعةٌ تَشَبِّهُ بطبيعةٍ، وطبيعةٌ

(١) الذى وجدناه فى مفردات ابن اليطار أن البادزهر حجر يقع من السموم، ومنه الأصفر والأخضر والمنكت والمغرب بخضرة وغير ذلك، ومعادنه ببلاد الصين والهند، وه نجد أنه طل منعقد فى بعض الأحجار كما ذكره المؤلف هنا.

(٢) ذكر ابن اليطار من أنواع الموميا هذا النوع الذى ذكره المؤلف، فذكر أن هذا الاسم يقال على حجارة تكون بضماء التين سود، وفيها أدنى تجويف، وهى إلى الحفة تكسر فيوجد فى ذلك التجويف شيء سبيل أسود، وتقل هذه الحجارة إذا كسرت فى الزيت فتذوب جميع ما فيها من تلك الرطوبة السوداء النiale، كما ذكر أنواعا أخرى من الموميا فانظرها ثم.

تَقَهَّرُ طَبِيعَةً ، وَطَبِيعَةٌ تَخْشَى مَعَ طَبِيعَةٍ ، وَطَبِيعَةٌ تَطْلُبُ مَعَ طَبِيعَةٍ ، وَطَبِيعَةٌ تُقْسِدُ طَبِيعَةً ، وَطَبِيعَةٌ تُعَمِّرُ طَبِيعَةً ، وَطَبِيعَةٌ تُبَيِّضُ طَبِيعَةً ، وَطَبِيعَةٌ تَهْرُبُ مِنْ طَبِيعَةٍ ، وَطَبِيعَةٌ تُبَيِّضُ طَبِيعَةً ، وَطَبِيعَةٌ تُمَارِجُ طَبِيعَةً .

فَأَمَّا الطَّبِيعَةُ الَّتِي تَأْتِي طَبِيعَةً فَيُثَلُّ الْمَاسُ فَإِنَّهُ إِذَا قَرُبَ مِنَ الذَّهَبِ لَزِقَ بِهِ وَأَمْسَكَهُ ، وَيَقَالُ : لَا يَوْجَدُ الْمَاسُ إِلَّا فِي مَعْدِنِ الذَّهَبِ فِي بَلَدٍ مِنْ نَاحِيَةِ الْمَشْرِقِ .

وَمِثْلُ طَبِيعَةِ الْمُغْنَطَاسِ فِي الْحَدِيدِ ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الْحَجَرَيْنِ يَابِسَانِ صُلْبَانِ ، وَبَيْنَ طَبِيعَتَيْهِمَا أَلْفَةٌ . فَإِذَا قَرُبَ الْحَدِيدُ مِنْ هَذَا الْحَجَرِ حَتَّى يَشْمَّ رَاحَتَهُ ذَهَبَ إِلَيْهِ وَالتَّصَقَّ بِهِ وَجَذَبَ الْحَدِيدُ إِلَى نَفْسِهِ وَأَمْسَكَهُ كَمَا يَقَعُ الْعَاشِقُ بِالْمَعشُوقِ . وَكَذَلِكَ يَقَعُ الْحَجَرُ الْجَاذِبُ لِلْخَزْزِ^(١) وَالْحَجَرُ الْجَاذِبُ لِلشَّعْرِ ، وَالْجَاذِبُ لِلتَّيْنِ ؛ وَعَلَى هَذَا الْمَثَالِ مَا مِنْ حَجَرٍ مِنْ أَحْجَارِ الْمَعْدِنِ إِلَّا وَبَيْنَ طَبِيعَتِهِ وَبَيْنَ طَبِيعَةِ شَيْءٍ آخَرَ إِلْفٌ وَأَشْتِيَاقٌ ، عُرِفَ ذَلِكَ أَوْ لَمْ يُعْرَفْ ؛ وَمِثْلُ هَذَا مَا يَكُونُ بَيْنَ الدَّوَاءِ وَالْعُضْوِ الْعَلِيلِ ، وَذَلِكَ أَنَّ مِنْ خَاصَّةِ كُلِّ عَضْوٍ عِلِيلٍ أَشْتِيَاقُهُ إِلَى طَبِيعَةِ الدَّوَاءِ الَّتِي هِيَ ضِدُّ طَبِيعَةِ الْعِلَّةِ الَّتِي بِهِ ، فَإِذَا حَصَلَ الدَّوَاءُ بِالْقُرْبِ مِنَ الْعُضْوِ الْقَلِيلِ وَأَحْسَنَ بِهِ جَذْبَتَهُ الْقُوَّةُ الْجَاذِبَةُ إِلَى ذَلِكَ الْعُضْوِ وَأَمْسَكَتُ الْمَسِكَةُ وَأُسْتَمْتَنَتْ بِالْقُوَّةِ الْمُدْبِرَةِ لَطَبِيعَةِ الدَّوَاءِ عَلَى دَفْعِ الطَّبِيعَةِ الْمُؤَلِّفَةِ لِلْعِلَّةِ وَقُوَّةِ عِلْمِهَا وَدَفْعَتِهَا عَنِ الْعُضْوِ الْعَلِيلِ كَمَا يَسْتَعِينُ وَيُدْفَعُ الْمُحَارِبُ وَالْخَاصِمُ بِقُوَّةٍ مِنْ يُعِينُهُ عَلَى خَصْمِهِ وَعَدُوِّهِ وَيُدْفَعُهُ عَنْ نَفْسِهِ ؛ وَأَمَّا الطَّبِيعَةُ الَّتِي تَقَهَّرُ طَبِيعَةً أُخْرَى فَيُثَلُّ طَبِيعَةُ الشُّبَّاذَجِ^(٢) الَّتِي يَأْكُلُ الْأَحْجَارَ عِنْدَ الْحَاكِّ

(١) فِي كَلَامِ الْأَصْلَيْنِ « الْحَمَر » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) الشُّبَّاذَجُ حَجَرٌ يَجْلُو بِهِ الصِّفْلُ السِّیُوفَ ، وَتَجْلُو بِهِ الْأَسْنَانُ ، وَهُوَ حَجَرٌ كَأَنَّهُ مَجْمَعٌ

مِنْ رَمْلِ خَشَنٍ .

أَكَلًا وَيُلِينُهَا وَيَجْعَلُهَا مَلَسًا . ومثل طبيعة الْأَسْرُبِ الوسخ في الماس القاهر لسائر الْأَحْجَارِ الصُّلْبَةِ ، وذلك أَنَّ الْمَاسَ لَا يَقْهَرُهُ شَيْءٌ مِنَ الْأَحْجَارِ ، وهو قاهر لما كُلِّهَا ، ولو تَرَكَّ عَلَى السُّنْدَانِ وَطَرِيقَ بِالْمِطْرَةِ لَدَخَلَ فِي أَحَدِهِمَا وَلَمْ يَنْكَسِرْ ، وَإِنْ جَعَلَ بَيْنَ صَفِيحَتَيْنِ مِنْ أَسْرُبٍ ^(١) وَضُمَّتَا عَلَيْهِ تَفَقَّتْ ؛ وَمِثْلُ طَبِيعَةِ الزُّبُقِ الطَّيَّارِ الرُّطْبِ الْقَلِيلِ الصَّبْرِ عَلَى حَرَارَةِ النَّارِ ، إِذَا طُلِيَ بِهِ الْأَحْجَارُ الْمَعْدِنِيَّةُ الصُّلْبَةُ مِثْلُ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالنَّحَاسِ وَالْحَدِيدِ أَوْهَنَهَا وَأَرْخَاهَا حَتَّى يُمْكِنُ أَنْ تُنْكَسَرَ بِأَهْوَنِ سَعْيٍ ، وَتَتَفَقَّتْ قِطْعًا .

ومِثْلُ الْكِبْرِيتِ الثَّمَنِ الرَّائِحَةِ الْمَسْوُودِ لِلْأَحْجَارِ النَّيِّرَةِ الْبَرَّاقَةِ ، الْمَذِيبِ لَأَلْوَانِهَا وَأَصْبَاغِهَا ، يُمْكِنُ النَّارُ مِنْهَا حَتَّى تَحْتَرِقَ فِي أَسْرَعِ مَدَّةٍ . وَالْعِلَّةُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْكِبْرِيتَ رُطُوبَةٌ دُهْنِيَّةٌ لَزِجَةٌ جَامِدَةٌ ، فَإِذَا أَصَابَتْهُ حَرَارَةُ النَّارِ ذَابَ وَالتَزَقَ بِأَجْسَادِ الْأَحْجَارِ وَمَا زَجَّهَا ، فَإِذَا تَمَكَّنَتْ النَّارُ مِنْهَا احْتَرَقَ وَأُحْرِقَ مَعَهُ تِلْكَ الْأَجْسَادُ يَاقُوتًا كَانَتْ أَوْ ذَهَبًا أَوْ غَيْرَهَا .

وَأَمَّا الطَّبِيعَةُ الَّتِي تَرَسُبُ ^(٢) فِي طَبِيعَةِ أُخْرَى وَتُنِيرُهَا ^(٣) ، فَمِثْلُ التُّوشَادَرِ الَّذِي يَفُوصُ فِي قَعْرِ الْأَشْيَاءِ وَيَفْسِلُهَا مِنَ الْوَسَخِ .

وَأَمَّا الطَّبِيعَةُ الَّتِي تُعِينُ طَبِيعَةً أُخْرَى فَمِثْلُ الْبُورَقِ الَّذِي يُعِينُ النَّارَ عَلَى سَبْكِ هَذِهِ الْأَحْجَارِ الْمَعْدِنِيَّةِ الذَّائِبَةِ ، وَمِثْلُ الرَّاجَاتِ وَالشُّبُوبِ الَّتِي تَجْلُوهَا وَتُنِيرُهَا وَتَصْبُغُهَا ، وَمِثْلُ الْمَغْنِيسِيَا وَالْقَلِيِّ ^(٤) الْمُعِينَيْنِ عَلَى سَبْكِ الرَّمْلِ وَتَصْفِيَّتِهِ

(١) الْأَسْرُبُ : الرَّمَسُ الْأَسْوَدُ .

(٢) فِي كِلْتَا النِّصْفَيْنِ « تَرَبَّى طَبِيعَةً » وَهُوَ تَحْرِيفٌ ؛ وَمَا أُثْبِتْنَاهُ هُوَ مَا يَقْتَضِيهِ سِيَاقُ الْكَلَامِ الْآتِي .

(٣) فِي ب « وَتُنِيرُهَا » . وَفِي (أ) « وَتُدِيرُهَا » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) الْقَلِي وَيُقَالُ فِيهِ قَلِي كَالْقَلَى ، هُوَ شَبَّ الْمَصْفَرِّ ، وَيُخَذُ مِنْ حَرِيقِ الْحُمْصِ ، وَأَجُودُهُ الْمَخْتَفِذُ مِنَ الْحَرْمِضِ ، وَهُوَ قَلِي الصَّبَاغِينَ وَبِحَقِّهِ أَنْوَاعُهُ لَتَتِمَّلُ فِي صَانَعَةِ الزَّجَاجِ (ابْنُ الْبَيْطَارِ) .

حقى يكون منه زُجاج ؛ وعلى هذا المثال جميعُ الأحجارِ المَدِّيَّةِ .

النارُ هي الحاكمة بين الجواهرِ المَدِّيَّةِ بالحق .

ويقال : من أذَمَّنَ الأَكْلَ والشَّرْبَ في أوَانِي النحاسِ أَفْسَدَتْ مَزَاجَهُ ، وَعَرَضَ لَهُ أَمْرَاضٌ صَغْبَةٌ ، وَإِنْ أَذِنَتْ^(١) أوَانِي النحاسِ مِنَ السَّمَكِ كَثُمَتْ لَهَا رَائِحَةٌ كَرِيهَةٌ وَإِنْ كُتِبَتْ آتِيَةُ النحاسِ عَلَى سَمَكٍ مَشْوِيٍّ أَوْ مَطْبُوخٍ بِحَرَارَتِهِ حَدَثَ مِنْهُ سُمٌّ قَاتِلٌ .

القَلَمِيُّ^(٢) قَرِيبٌ مِنَ الْفِضَّةِ فِي لَوْنِهِ ، وَلَكِنْ يَخَالِفُهَا فِي ثَلَاثِ صِفَاتٍ : الرَّائِحَةِ وَالرَّخَاوَةِ وَالصَّرِيرِ ، وَهَذِهِ الْآفَاتُ دَخَلَتْ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَعْدِنِهِ كَمَا تَدْخُلُ الْآفَاتُ عَلَى الْمَفْلُوجِ وَهُوَ فِي بطنِ أُمِّهِ ؛ فَرَخَاوَتُهُ لِكَثْرَةِ زَيْبَتِهِ ، وَصَرِيرُهُ^(٣) لِنَلِطِ كَبَرِيَّتِهِ .

ويقال : إِنْ لَوَّنَ الْيَاقُوتَ الْأَصْفَرَ وَالزَّهَبَ الْإِبْرِيذَ ، وَلَوَّنَ الزَّعْفَرَانُ وَمَا شَاكَلَهَا مِنَ الْأَلْوَانِ الْمَشْرِقَةَ مَنْسُوبَةً إِلَى نُورِ الشَّمْسِ وَبَرِيقِ شُعَاعِهَا ، وَكَذَلِكَ بَيَاضُ الْفِضَّةِ وَالْمِلْحُ وَالْبِلُورُ وَالتُّقْطُنُ وَمَا شَاكَلَهُ مِنَ أَلْوَانِ النَّبَاتِ مَنْسُوبَةً إِلَى نُورِ الْقَمَرِ وَبَرِيقِ شُعَاعِهِ ؛ وَعَلَى هَذَا الْمَثَالِ سَائِرُ الْأَلْوَانِ .

وَقَالَ أَصْحَابُ النُّجُومِ : السَّوَادُ لَزُحْلٍ ، وَالْحُمْرَةُ لِلْمَرِّجِ ، وَالْخُضْرَاءُ لِلْمُشْتَرَى ، وَالزَّرْقَةُ لِلزُّهْرَةِ ، وَالصُّفْرَةُ لِلشَّمْسِ ، وَالْبَيَاضُ لِلْقَمَرِ ، وَالتَّلَوُّنُ لِمُطَارِدِ .

ويقال : إِنْ الْمَلَّةُ الْفَاعِلَةُ لِلْجَوَاهِرِ الْمَدِّيَّةِ هِيَ الطَّبِيعَةُ ، وَالْعِلَّةُ الطَّائِنَةُ

(١) فِي كَلَامِنَا النِّسْخَتَيْنِ : « أَذِنَتْ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) الْقَلَمِيُّ ، هُوَ الرَّمْسُ الْجَبِيدُ . وَفِي نَسْخَةِ « الْقَلَمِ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ إِذَا الْأَوْصَافِ الَّتِي ذَكَرَهَا الْمُؤَلِّفُ هُنَا لَا تَنْطَبِقُ عَلَى الْقَلَمِ الَّذِي سَبَقَ التَّحْرِيفُ بِهِ فِي الْحَاشِيَةِ رَقْم ٤ مِنْ صَفْحَةِ ١١٠ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ ، فَانْظُرْهَا تَمَّ .

(٣) لِمَلَّةٍ : « وَرَائِحَتُهُ » إِذِ الْمُرُوفُ أَهْلُ الْكِبَرِيَّةِ سَبَبٌ فِي الرَّائِحَةِ لَا فِي الصَّرِيرِ . وَيَلَاظُ أَنَّهُ قَدْ تَمَسَّ التَّحْلِيلُ لِوَاحِدِهِ

الزَّمَيْقُ والكِبَرِيَّت ؛ والعِلَّةُ الصُّورِيَّةُ دَوْرَانُ الْأَفْلَاكِ وحركاتُ الكَوَاكِبِ حَوْلَ الْأَرْكَانِ الْأَرْبَعَةِ الَّتِي هِيَ النَّارُ وَالْهَوَاءُ وَالْمَاءُ وَالْأَرْضُ ؛ والعِلَّةُ التَّامِيَّةُ الْمَنَافِعُ الَّتِي يَنَالُهَا الْإِنْسَانُ وَالْحَيَوَانُ .

ويقال : إن الجواهر المعدنية ثلاثة أنواع : منها ما يكون في التُّرابِ والطِّينِ والأَرْضِ [السَّبْخَةِ ، وَيَتَمَّ نُضْجُهُ فِي السَّنَةِ وَأَقْلُ كَالْكِبَارِيَّتِ وَالْأَمْلَاحِ وَالشُّبُوبِ وَالزَّاجَاتِ وَمَا شَابَهَا] ؛ ومنها ما يكون في قَعْرِ الْبَحَارِ وَقَرَارِ الْمِيَاهِ ، وَلَا يَتَمَّ نُضْجُهُ إِلَّا فِي السَّنَةِ [أَوْ أَكْثَرَ] كَالدَّرِّ وَالْمَرْجَانِ ، فَإِنْ أَحَدَهُمَا نَبَاتٌ وَهُوَ الْمَرْجَانُ ، وَالْآخَرُ حَيَوَانٌ ، وَهُوَ الدَّرُّ .

ومنها ما يكون في وَسْطِ الْحَجَرِ وَكُهُوفِ الْجِبَالِ وَخَلَالِ الرَّمَالِ فَلَا يَتَمَّ نُضْجُهُ إِلَّا فِي السَّنِينَ ، كَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالنَّحَاسِ وَالْحَدِيدِ وَالرَّصَاصِ وَمَا شَاكَلَهَا ؛ ومنها ما لَا يَتَمَّ نُضْجُهُ إِلَّا فِي عَشْرَاتِ السَّنِينَ ، كَالْيَاقُوتِ وَالزَّبَرْجَدِ وَالْمَقِيْقِ وَمَا شَاكَلَهَا .

(٣) وَقَالَ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ الْمَجْلِسَ — وَهُوَ الرَّجُلُ الْفَدْمُ الثَّقِيلُ — : إِنَّ الزَّارِعَ لَا يَزْرَعُ طَالِبًا لِلشُّبِّ ، بَلْ يَقْضِيهِ لِلْحَبِّ ، وَلَا يَدَّ لِلشُّبِّ مِنْ أَنْ يَنْبُتَ إِنْ أَحَبَّ أَوْ كَرِهَ ، فَلَيْمَ ذَلِكَ ؟ قِيلَ لَهُ : قَدْ يَنْحَبِّ الْمَقْصُودُ مَا لَيْسَ بِمَقْصُودٍ ، مِنْ حَيْثُ لَا يَتِمُّ الْمَقْصُودُ إِلَّا بِمَا لَيْسَ بِمَقْصُودٍ ، وَالشُّبُّ هُوَ فَضْلَاتُ الْحَبِّ ، وَبِهِ صِفَاءُ الْحَبِّ وَتَمَامُهُ ، وَلَوْلَا ^(١) الْقُوَّةُ الَّتِي تَصِفِي الْحَبَّ وَتُصَوِّرُهُ بِصُورَتِهِ الْخَاصَّةِ بِهِ ، وَتَنْبِي كَدْرَهُ وَتُحْصِلُ ^(٢) صَفْوَهُ لَكَانَ الشُّبُّ فِي بَدَنِ الْحَبِّ ، وَحِينَئِذٍ لَا يَكُونُ الْحَبُّ الْمُتَنَفِّعَ بِهِ الْخَفِصُوصُ بِاسْمِهِ الْمَعْرُوفِ بِعَيْنِهِ ، بَلْ يَكُونُ شَيْءًا

(١) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ « وَلَوْلَا أَنَّ الْقُوَّةَ » ، وَقَوْلُهُ : « أَنْ » زِيَادَةٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(٢) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « وَتَحْضُرُ » ؛ وَهُوَ تَعْرِيفٌ .

آخَرَ ؛ فَلَمَّا تَمَيَّزَتْ تِلْكَ الشَّوَابِ الَّتِي كَانَتْ مَلَاسَةً لَهُ مِنْ أَجْزَاءِ الْأَرْضِ وَالْمَاءِ
وَأَتَارِ الْهَوَاءِ وَالنَّارِ ، خَلَصَ مُنْتَفِعًا بِهِ ، مَقْصُودًا بِعَيْنِهِ ، فَوَجَبَ بِهَذَا الْاِعْتِبَارِ أَنْ
يَكُونَ الْحَبُّ بِالذَّاتِ ، وَالْعُشْبُ بِالْفَرْصِ .

- (٤) قَالَ — أَدَامَ اللَّهُ دَوْلَتَهُ — هَلْ تَعْرِفُ الْعَرَبُ الْفَرْقَ بَيْنَ الرُّوحِ وَالنَّفْسِ
فِي كَلَامِهَا ؟ وَهَلْ فِي لَفْظِهَا مِنْ نَظْمِهَا وَثَرِّهَا مَا يَدُلُّ عَلَى مَا بَيْنَهُمَا ، أَوْ مَا كَشَى
وَاحِدَ لَحِقَةٍ أَسْمَانِ ؟

فَكَانَ الْجَوَابُ : إِنَّ الْأَسْتِمَالَ يَخْلُطُ هَذَا بِهِذِهِ وَهَذِهِ بِهَذَا فِي مَوَاضِعَ
كَثِيرَةٍ ، وَإِذَا جَاءَ الْأَعْتِبَارُ أَفْرَدَ^(١) أَحَدَهُمَا مِنَ الْآخَرِ بِالْحَدِّ وَالْأَسْمِ ؛ وَعَلَى هَذَا
اتَّفَقَ رَأْيُ الْحُكَمَاءِ ، لِأَنَّهُمْ حَكَمُوا بِأَنَّ الرُّوحَ جِسْمٌ لَطِيفٌ مُنْبَثٌّ فِي الْجَسَدِ
عَلَى خَاصٍّ مَالِهِ فِيهِ^(٢) ، فَأَمَّا النَّفْسُ النَّاطِقَةُ فَإِنَّهَا جَوْهَرٌ إِلَهِيٌّ ، وَلَيْسَتْ فِي الْجَسَدِ
[عَلَى خَاصٍّ مَالِهِ فِيهِ] وَلَكِنَّهَا مَدْبُورَةٌ لِلْجَسَدِ ؛ وَلَمْ يَكُنِ الْإِنْسَانُ إِنْسَانًا بِالرُّوحِ ،
بَلْ بِالنَّفْسِ ، وَلَوْ كَانَ إِنْسَانًا بِالرُّوحِ لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحِمَارِ فَرْقٌ ، بِأَنَّ كَانَ
لَهُ رُوحٌ وَلَكِنْ لَا نَفْسَ لَهُ . فَأَمَّا النَّفْسَانِ الْآخَرَانِ اللَّتَانِ هُمَا الشَّهْوِيَّةُ وَالْفَضْبِيَّةُ
فَإِنَّهُمَا أَشَدُّ اتِّصَالًا بِالرُّوحِ مِنْهُمَا بِالنَّفْسِ ، وَإِنْ كَانَتِ النَّفْسُ النَّاطِقَةُ تُدَبِّرُهُمَا
وَتَمْدُهُمَا وَتَأْمُرُهُمَا وَتَنْهَاهُمَا ؛ فَهَذَا أَيْضًا يُوَضِّحُ الْفَرْقَ بَيْنَ الرُّوحِ وَالنَّفْسِ ، فَلَيْسَ
كُلُّ ذِي رُوحٍ ذَا نَفْسٍ ، وَلَكِنْ كُلُّ ذِي نَفْسٍ ذُو رُوحٍ ؛ وَقَدْ وَجَدْنَا فِي
كَلَامِ الْعَرَبِ مَعَ هَذَا الْفَرْقِ بَيْنَهُمَا ، فَإِنَّ [النَّابِغَةَ] قَدْ قَالَ لِلنَّمَانِ بْنِ الْمُنْذَرِ :

وَأَسْكَنْتَ نَفْسِي بَعْدَ مَا طَارَ رُوحُهَا وَأَبْسَقْتِي نَفْسِي وَلَيْسْتُ بِشَاهِدٍ

(١) فِي كَلَامِ النَّسَخِيِّينَ « قَرَب » ؛ وَهُوَ تَعْرِيفٌ لَا يَسْتَعِيمُ بِهِ السِّيَاقُ .

(٢) فِي « ب » مِنْهُ « مَكَانٌ قَوْلُهُ : « فِيهِ » .

وقال أبو الأسود :

لَمَمَرَك مَاحَشَاكَ اللهُ رُوحَا به جَشَعٌ وَلَا نَفْسَا شَرِيرَةً

قال : هذا من الفوائد التي كنتُ أُحِنُّ إليها ، وأَسْتَبْعِدُ الظَّفَرَ بها ، وما أُنْفَعُ المُطَارَحَةَ والمُفَاعَهَةَ وَبَثَّ الشكَّ وأَسْتَبَاحَةَ النَّفْسِ ، فَإِنَّ التَّفَاقُلَ عَمَّا تَمَسُّ إِلَيْهِ الْحَاجَةُ سُوءُ اخْتِيَارٍ ، بَلْ سُوءُ تَوْفِيقٍ .

وما أحسنَ ما قال بعضُ الحِلَّةِ : تَوَانَيْتُ في أَوَانِ التَّعَلُّمِ عن المُسْتَلْزَمِ عن أشياء كانت الحاجة تُعَفِّزُ إليها والكسلُ يَصُدُّ عنها ، فلما كَبُرَتْ أُنْفِتُ من ذِكْرِهَا وعرضَهَا على مَنْ عِلْمُهَا عنده ، فَبَقِيَتْ الجَهْلَالَةُ في نَفْسِي ، وَرَكَدَتْ الوَحْشَةُ بين قلبي وفِكرِي .

ثم جَرَى في حديث النفس ذِكْرُ بعضِ العلماءِ فإنه قال : إِنَّ نَفْسَكَ هي إحدى الأَنْفُسِ الجُزْئِيَّةِ من النفسِ الكَلِّيَّةِ ، لا هي بِعَيْنِهَا ، ولا مُفَصَّلَةٌ عنها ، كما أَنَّ جَسَدَكَ جُزْءٌ من جَسَدِ الْعَالَمِ لا هُوَ كَلَّهُ ولا مُفَصَّلٌ عنه ؛ وقد مرَّ مِن أَمْرِ النَّفْسِ مَا فيه إِضْاحٌ تَامٌّ وَأَسْتَبْخَارٌ وَاسِعٌ ، وَإِنْ كَانَ الْكَلَامُ في نَعْتِ النَّفْسِ لَا آخِرَ لَهُ ، وَلَا وَقُوفَ عَنْهُ .

ولو قال قائلٌ : إِنَّ جَسَدَكَ هُوَ كُلُّ الْعَالَمِ لَمْ يَكُنْ مُبْطَلًا ، لِأَنَّهُ شَبِيهُ بِهِ ، وَمُسْلُوكٌ مِنْهُ ، وَبِحَقِّ الشَّبهِ يَحْكِيهِ ، وَبِحَقِّ الْأَنْسِلَالِ يَسْتَمِدُّ مِنْهُ ؛ وَكَذَلِكَ النَّفْسُ الْجُزْئِيَّةُ هي النفسُ الكَلِّيَّةُ ، لِأَنَّهَا أَيْضًا مُشَاكِةٌ لَهَا ، وَمَوْجُودَةٌ بِهَا ، فَبِحَقِّ الشَّبهِ أَيْضًا تَحْكِي حَالَهَا^(١) ، وَبِحَقِّ الْوُجُودِ تَبْقَى بَقَاءَهَا ، فَلَيْسَ بَيْنَ الْجَسَدِ إِذَا أُضِيفَ إِلَى الْعَالَمِ ، وَالنَّفْسِ إِذَا قِيسَتْ بِالْأُخْرَى فَرَقٌ ، إِلَّا أَنَّ الْجَسَدَ مَعْجُونٌ

(١) في الأصل « تجدد حالها » ولا معنى له ؛ ولعل الصواب ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

من الطينة، والنفس مدبرة بالقوة الإلهية؛ ولهذا أحتيج إلى الإحساس والمواد، وإلى الاقتباس^(١) والالتباس حتى تكون مدة الحياة الحسية بالغة إلى آخرها من ناحية الجسد، ويكون مبدأ الحياة النفسية موصولاً بالأبد بعد الأبد.

قال — أدام الله سعادته — لو كان ما يمر من هذه الفوائد الفرر والتمراي الألفاظ مرسوماً بسواد على بياض، ومقيداً بلفظ وعبرة، لكان له ربح وإتاء، وزيادة ونماء.

فكان الجواب إن هذا غير متعذر ولا صعب إن نفس الله في البقاء، وصرف هذه المموم التي تقسم الفكر بالعوارض التي لا تحسب، والأسباب التي لا تعرف؛ فأما والأشغال على تكاثفها، والزمان على تلونه فكيف يمكن ذلك؛ والصعب أنه يجري حرف من هذه الأمور الشريفة في هذه الأوقات الضيقة.

ولقد قال أبو سليمان أمس: كيف نشاط الوزير — أدام الله سعادته — (٥٠) في شأنه، وكيف كان يقبله لرسالي إليه، وتلطف لي، وخدمني لدولته؟ قلت: ما تم شيء يحتاج إلى الزيادة من فهم ودراية، وبيان وأستبانه، وهشاشه ورفق، وإطلاع وتأن؛ ولكن الوقت مستوعب بالتدبير والتظنر، وكف العدو بالمداورة مرة، وبالإحسان مرة. قال: الله يبقيه، ويرينا ما نحبه فيه.

وقال أيضاً أبو سليمان: كيف لا يكون ما تقلده ثقيلاً، وما تصدى له عظيماً، وما يباشره بلسانه وقلبه صعباً، والأولياء أعداء، والأعداء جهال، والخصم عليه من ورائه شديد، ونصيحه غاش، وثقته^(٢) ريب^(٣)، والشغب

(١) في ب « إلى القياس ». (٢) في (١) ونظيره؛ وهو تحريف.

(٣) في كتابنا النسخين « قرب »؛ وهو تحريف.

مَتَّعِلٌ ، وَطَلَبُ الْمَالِ ^(١) لَا آخِرَ لَهُ ، وَالْمُضْطَنَعُ مُسْتَزِيدٌ ، وَالْحَرُومُ سَاخِطٌ ، وَالْمَالُ مَمْرُوقٌ ، وَالتَّجْدِيفُ ^(٢) مِنَ الطَّالِبِ وَاقِعٌ ، وَالتَّحَكُّمُ بِالْإِذْلَالِ دَائِمٌ ، وَالْأَسْتِقَالَةُ مِنَ الْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ زَائِدَةٌ ، وَالْكَلَامُ لَيْسَ يَنْفَعُ ، وَالتَّدْبِيرُ لَيْسَ يَقْنَعُ ؛ وَالْوَعْدُ هَبَاءٌ مَنثورٌ ، وَالْأَصْلُ مَقْطُوعٌ مُبْتَوَرٌ ؛ وَالسِّرُّ مَكْشُوفٌ ، وَالْعَلَانِيَةُ فَاضِحَةٌ ؛ وَقَدْ رَكِبَ كُلُّ هَوَاً ، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ فِكْرٌ فِي عُقْبَاهُ ؛ وَأَخْتَلَطَ الْمُبْرَمُ ^(٣) بِالسَّحِيلِ ، وَضَاقَ عَلَى السَّالِكِ كُلِّ سَبِيلٍ ؛ وَمَتَابِعُ الْقِسَادِ وَمَنَابِتُ التَّخْلِيطِ كُلُّهَا مِنَ الْحَاشِيَةِ [الَّتِي] لَا تَعْرِفُ نِظَامَ الدَّوْلَةِ وَلَا أَسْتِقَامَةَ التَّمْلِكَةِ ؟ وَإِنَّمَا سُوِّهَا ^(٤) تَمْجِيلٌ حَقٌّ وَإِنْ كَانَ نَزْراً ، وَأَسْتَلَابٌ دِرْهَمٌ وَإِنْ كَانَ زَيْناً ، وَلَعَمْرِي لَيْسَ يَكُونُ الْكَدَرُ إِلَّا بَعْدَ الصَّفْوِ ، كَمَا لَا يَكُونُ الصَّفْوُ إِلَّا بَعْدَ الْكَدَرِ ، هَكَذَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، وَالنُّورُ وَالظُّلَامُ ، هَذَا يَخْلُفُ هَذَا ، وَهَذَا يَتْلُو هَذَا .

قال : أغنى بهذا أنه لما قُتِلَ الْمَلِكُ السَّعِيدُ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ — بِالْأَمْسِ حَدَّثَ هَذَا كُلَّهُ ، فَإِنَّهُ كَانَ قَدْ زَمَّ وَخَطَمَ ، وَجَبَّرَ وَخَطَمَ ، وَأَسَا وَجَرَحَ ، وَمَنَعَ وَمَنَحَ ؛ وَأَوْرَدَ وَأَصْدَرَ ، وَأَعْلَهَ وَسَتَرَ ، وَسَهَلَ وَوَعَّرَ ، وَوَعَدَ وَوَعَدَ ، وَأَنْحَسَ وَأَسْقَدَ ، وَوَهَبَ زَمَانَهُ وَحَيَاتَهُ لِهَذَا ، لِأَنَّهُ جَعَلَ لِدَنَتِهِ فِيهِ ، وَغَايَتِهِ إِلَيْهِ ، وَأَشْتَهَى أَنْ يَطِيرَ صَبِيئَتُهُ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ فَيَسْمَعَ مَلُوكَهَا بِفُطْنَتِهِ وَحَزْمِهِ ، وَتَصْمِيمِهِ وَعَزْمِهِ ، وَجِدَّةِ وَتَشْمِيرِهِ ، وَرِضَا فِي مَوْضِعِ الرِّضَا ، وَسُخْطِهِ فِي وَقْتِ الشُّخْطِ ، وَرَفْعِهِ لِمَنْ يَرْفَعُهُ بِالْحَقِّ ، وَوَضْعِهِ لِمَنْ يَقَعُّهُ بِالْوَاجِبِ ؛ يُجْرَى الْأُمُورَ بِسَنَنِ الدِّينِ مَا أَسْتَجَابَتْ ، فَإِنْ عَصَتْ أَخَذَ بِأَحْكَامِ السِّيَاسَةِ الَّتِي هِيَ الدُّنْيَا ، وَلَمَّا كَانَتْ

(١) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « الْمَال » .

(٢) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « وَالتَّحْرِيفُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَالتَّجْدِيفُ : الْكُفْرَانُ بِالنِّعْمَةِ .

(٣) الْمُبْرَمُ : الَّذِي أُحْكِمَ قَتْلُهُ . وَالسَّحِيلُ : ضِدُّهُ .

(٤) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « تَوَلَّاهَا » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

الأمر متلبسة بالدين والدنيا لم يَجْزُ للعاقل الحَصيف ، والمُدبِّر اللطيف أن يُفعل التدبير فيها من ناحية الدين حَسْب ، ولا من ناحية الدنيا فقط ، لأنَّ دائرة الدين إلهية ، ودائرة الدنيا حِسِّيَّة ، وفي الإحساس أحقادٌ لا بدَّ من إطفاء نائرتها ، وصنائعُ لا بدَّ من تربيتها ، وموضوعاتُ لا بدَّ من إشالتها^(١) ومرفوعاتُ لا بدَّ من إزالتها ؛ وتدبيراتُ لا بدَّ من إخفائها^(٢) ، وأحوالُ لا بدَّ من إبدائها ، ومقاماتُ لا بدَّ من الصبر على عوارضِ ما فيها ، وأمرٌ هي مسطورةٌ في كتبِ السياسات للحُكَّاء لا بدَّ من عرفانها والعمل بها والصبر إليها ، والزيادة عليها ؛ فليس الخبرُ كالعيان ، ولا الشاهدُ كالغائب ، ولا المظنونُ كالمُستَقين .

ثم قال : — أعنى أبا سليمان — وهذا كله منوطٌ بالتوفيق والتأييد اللذين إذا نَزَلَا من السماء وأتَصَلَا بفَرْقِ السانسِ تَصَانَّتْ أحواله على الصلاح ، وأَنْشَرَتْ على النَّجَاح ؛ وكُفِيَ كَثِيراً من مُهْمِهِ ؛ ثم دَعَا للوَزِيرِ بالبقاء التدبير ، والعيش الرِّغيد والجَدَّ السَّعيد ؛ وأَمَّنَ الحاضِرُونَ على ذلك ، وكانوا جَمًّا غَفِيراً ، لا فائدة في ذكر أسمائهم والإشارة إلى أعيانهم ؛ وكلُّهم لَمَّا سَمِعُوا هذا الكلامَ الشريفَ عَجِبُوا منه ، وعَوَّذوه وسألوه أن يَنْظِمَ لهم رسالةً في السياسة ؛ فقال : قد رسمتُ شيئاً منذ زمان ، وقد شاع وفشا ، وكتبْتُ ومُجِّل في جملة الهدية إلى قابوسِ بَجْرَجَان ، فهذا — أيها الشيخ — نَمَطُ أَبِي سُلَيْمَانَ وَأَنْتَ عنه مشغول ، قد رَضِيتُ بِتَرْكِ النَّظَرِ في أَمْرِهِ ، وبِذَلِّ الجاهِ له فيما عادِ بِشَأْنِهِ ، والله ما هذا لسوء عَهْدِكَ فيه ، ولا لَحَيْلُولَةِ نَيْتِكَ [عنه] ؛ ولكن لِقَلَّةِ حَظِّهِ مِنْكَ وإنهاء الزَّمان على كُلِّ مَنْ يَجْزِي بَحْرَاهُ ، مع عَوَزِ مِثْلِهِ في عَصْرِهِ ؛ وكيف تُنْهَم بِسوءِ اعتقاد

(١) في كلتا النسختين : « أسالها » ؛ وهو تحريف ، وإشالة العي : رضه .

(٢) في كلتا النسختين : « من إجفائها » ؛ وهو تصحيف .

وَقِلَّةَ حِفَاطٍ ، وَتَوَانٍ عَنِ رِعَايَةِ عَهْدٍ ، وَتِيَامٍ بِحَقِّ ، وَأَنْتَ مِنْ فَرَقِكَ إِلَى قَدَمِكَ
فَضْلٌ وَخَيْرٌ وَجُودٌ وَتَجَدُّ وَإِحْسَانٌ وَكَرَمٌ وَمَعُونَةٌ وَرَفْدٌ وَإِنْعَامٌ وَتَفَقُّدٌ وَتَعَهُّدٌ
وَبَذَلٌ وَعُرْفٌ ؛ وَلَوْ كَانَ أَمْرُؤٌ مِنَ الذَّهَبِ الْمَصْفَى لَكُنْتَهُ [وَلَوْ كَانَ أَحَدٌ مِنَ
الرُّوحِ الصَّرْفِ لَكُنْتَهُ] ؛ وَلَوْ كَانَ أَحَدٌ مِنَ الضِّيَاءِ الْحَاطِطِ لَكُنْتَهُ ؛ فَسُبْحَانَ
مَنْ خَلَقَكَ صِرْفًا بِلَا مَزَاجٍ ، وَصَفَوًا بِلَا كَدَرٍ ، وَوَاحِدًا بِلَا ثَانٍ ، لَقَدْ نَفَرَ^(١)
بِكَ الشَّرْقُ عَلَى الْغَرْبِ ، وَسَلَّمُكَ بِلَا خُصُومَةٍ وَلَا شُفْبٍ ، فَأَدَامَ اللَّهُ لَكَ مَا آتَاكَ
وَأَفَاضَ عَلَيْكَ مِنْ لَدُنْهِ مَا يُنَوِّرُ مَسْمَاكَ ؛ وَبَلَّغَكَ السَّعَادَةَ الْعَظْمَى فِي عُقْبَاكَ ،
كَأَنَّكَ السَّعَادَةَ الصُّغْرَى فِي دُنْيَاكَ .

(٦) أَعْرِضْ أَيُّهَا الشَّيْخُ هَذَا الْحَدِيثَ عَلَى مَا تَرَى ، وَالْكَلَامُ ذُو جَيَّشَانٍ ،
وَالصَّدْرُ ذُو غَلْيَانٍ ، وَالْقَلَمُ ذُو نَفْيَانٍ^(٢) وَمَتَدَفَّقُهُ لَا يُسْتَطَاعُ رَدُّهُ ؛ وَمُنْتَبِعُهُ
لَا يُقَدَّرُ [عَلَى] تَسْهِيلِهِ ، وَخَطْبُهُ غَرِيبٌ ، وَشَأْنُهُ عَجِيبٌ ؛ وَإِنَّمَا يَعْرِفُ دِقَّةَ
وَجِلَّةً مَنْ يَذُوقُ حُلُومَهُ وَمُرَّهُ ، وَمَعَ هَذَا كُلَّهُ ، فَإِنِّي أَذْكُرُكَ أَمْرِي لِتَحْفَظَهُ بَعَيْنِ
الرَّعَايَةِ ، وَأَعْرِضْ عَلَيْكَ حَدِيثِي لِتَحْفَظَهُ فِي صَحِيفَةِ الْعَنَاءَةِ : فَلَقَدْ أَمْسَيْتُ بَيْنَ
صَدِيقٍ يَسْقُ عَلَى حُزْنِهِ لِي ، وَبَيْنَ عَدُوٍّ تَسُوهُ فِي شِمَاتِهِ بِي ؛ وَقَدْ صَحَّ عِنْدِي أَنَّ
إِقْبَالَكَ عَلَى يُسْرٍ ، كَمَا أَنَّ إِعْرَاضَكَ عَنِّي عُسْرٌ ، وَأَرْجِعُ إِلَى تِمَامِ هَذَيْنِ الْجُزْأَيْنِ
وَأَنَّهُ أُخْرَى^(٣) .

(٧) وَأَمَّا حَدِيثُ الرَّهَادِ وَأَصْحَابِ النَّسْكِ ، فَإِنَّهُ كَانَ تَقَدَّمَ بِأَفْرَادٍ جُزْءٍ فِيهِ ،

(١) فِي (ب) «تَحْرِيكٌ» ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَوَرَدَ هَذَا اللفظُ فِي (أ) مَطْبُوسٍ الْحُرُوفِ ؛
وَمَا أَتَيْتَاهُ هُوَ مُقْتَضَى السِّيَاقِ .

(٢) النَّفْيَانُ : مَنْ نَفَتِ السَّعَاةُ الْمَاءَ إِذَا نَحْتَهُ . أَوْ مَنْ نَفَتِ الرِّيحُ الْغَرَابَ إِذَا أَطَارَتْهُ .

وَفِي (أ) «نَفْيَانٌ» ؛ وَهُوَ تَصْغِيرٌ . وَفِي (ب) «رِمَانٌ» .

(٣) فِي «ب» وَاجِدَاءٌ آخَرٌ .

وقد أثبتته في هذا الموضع ، ولم أحب أن أعزله عن مجلته ، فإن فيه تنبيها حسنا ، وإرشادا مقبولا ، وكما قصدنا بالهزل الذي أفردنا فيه جزءا جامعا للنفس قصدنا بهذا الجزء الذي عطفنا عليه إصلاحا للنفس وتهذيبا للخلق ، واقتداء بمن سبق إلى الخير واتباعا لمن قصد النصح ؛ وشرف الإنسان موقوف على أن يكون فاتحا ليا ب من أبواب الخير على نفسه وعلى غيره ، فإن لم يكن ذلك فلا أقل [من أن يكون] مقتنيا لأثر من كان فاتحا قبله ؛ ومن تقاصص عن هذين الأمرين هو الخاسر الذي جهل قيمة نفسه ، وضل عن غاية حياته ، وحرِمَ التوفيق في إصابة رُشدِه ؛ والله المستعان .

قال ابن مسعود : لو عرفت البهائم ما عرّقت^(١) ما أكلتم سمينا .
وقال أبو هريرة : اللهم إني أسألك قلبا قارئا ، ورزقا داريا ، وعقلا ساريا .
وقال بعض السلف : اللهم إني أسألك قلبا شاكرا ، ولسانا ذا كرا ، وبدنا صابرا .

وقال صالح بن مسمار : لا أدري أنعمته عليّ فيما بسط لي أفضل ، أم نعمته فيما زوى عني ، لأنه فيما بسط لي أحياني ، وفيما زوى عني حماني ، نظر لي بما يزيد على نظري لنفسي ، وآتاني من عنده أكثر مما عندي .

وقال الله عز وجل — لموسى — عليه السلام : حَبْنِي إِلَى عِبَادِي .
قال : وكيف أحببك ؟ قال : ذكركم آلائي ونعمائي .

وقال شداد بن حكيم لبعض الواعظين : أي شيء تقول إذا جلست على المنبر ؟ قال : أذكركم آلاء الله لي شكروا ، وأذكركم جفأهم ليتوبوا ، وأخبرهم عن إبليس وأعدائه حتى يحذروا .

(١) في رواية : « ما عرقت من الموت ما أكلتم منها سمينا » .

وقال بعضُ الصَّالحينَ : مَثَلُ الدُّنْيَا وَنَعِيمِهَا كَخَابِيَةٍ فِيهَا سُمٌّ وَعَلَى رَأْسِهَا حَصَلٌ ، فَمَنْ رَغِبَ فِي الحَصَلِ سَقِيَ مِنَ السُّمِّ ، وَمَثَلُ شِدَّةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ خَابِيَةٍ مَمْلُوءَةٍ مِنَ الحَصَلِ وَعَلَى رَأْسِهَا قَطَرَاتٌ مِنَ السُّمِّ ، فَمَنْ صَبَرَ عَلَى أَكْلِهَا بَلَغَ إِلَى الحَصَلِ .

جاء رجلٌ إلى حاتم الزَّاهدِ بِنَمِيمَةٍ ، فقال : يا هذا أَبْطَأْتَ عَنِّي وَجِئْتَ بِثَلَاثِ جَنَائِي ؛ بَقَعْتَ إِلَى الحَبِيبِ ، وَشَقَلْتَ قَلْبِي الفَارِغَ ، وَأَعْلَقْتَ نَفْسَكَ التُّهْمَةَ ، وَأَنْتَ آمِنٌ .

وكان خالد بنُ صَفْوَانَ يَقُولُ : قَبُولُ قَوْلِ النَّامِ شَرٌّ مِنَ النَّمِيَةِ ، لِأَنَّ النَّمِيَةَ دَلَالَةٌ ، وَالْقَبُولَ إِجَازَةٌ ، وَلَيْسَ مِنْ دَلٍّ عَلَى شَيْءٍ كُنْ قَبِيلٌ وَأَجَازٌ .
وقال ابنُ السَّيِّدِ الواعظُ : يُدْرِكُ النَّامُ بِنَمِيمَتِهِ مَا لَا يُدْرِكُ السَّاحِرُ بِسِحْرِهِ .

وقال معمرٌ : مَا نَزَلَتْ بَعْدِي نَازِلَةٌ فَكَانَ مَفْرَعُهُ إِلَى اللَّهِ إِلَّا فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ .
وقال عمرٌ : مَا أَسْأَلُ اللَّهَ الرِّزْقَ وَقَدْ فَرَّغَ مِنْهُ ، وَلَكِنْ أَسْأَلُهُ أَنْ يُبَارِكَ لِي فِيهِ .

وقال مالك بنُ دِينَارٍ : الْجُلُوسُ مَعَ الكَلْبِ خَيْرٌ مِنَ الْجُلُوسِ مَعَ رَفِيقٍ سَوٍ .
وقال أبو هريرةٌ : تَهَادَوْا عِبَادَ اللَّهِ يَتَجَدَّدَ فِي قُلُوبِكُمُ الْوُدُّ ، وَتَذْهَبَ التَّخِيمةُ .
وقال حاتمٌ : صَاحِبُ الضُّغْنِ غَيْرُ ذِي دِينٍ ، وَالغَائِبُ ^(١) غَيْرُ ذِي عِبَادَةٍ .
والتَّامُّ غَيْرُ صَدُوقٍ ، وَالْحَاسِدُ غَيْرُ مَنصُورٍ .

وقال بعضُ السُّلَفِ : مَنْ أَسْتَقَصَى عِيُوبَ النَّاسِ بَقِيَ بِلا أَصْدِقَاءَ .
وقال محمد بنُ وَاسِعٍ : يَنْبَغِي لِلرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ مَعَ الْمَرْأَةِ كَمَا يَكُونُ أَهْلُ

(١) يريد بالغائب من يشتاب الناس .

المجنون مع المجنون ، يحتملون [منه] كلَّ أذى ومَكروه .
 قيل لمالك بن دينار [لو تزوجت ؟ قال :] ^(١) لو أُسْتُعِطْتُ لَطَلْتُ
 نفسى .

قال شقيق : اشتريتُ بطيخةً لأُمِّى ، فلما ذاقَها سَخَطْتُ . فقلت : يا أُمِّى ،
 على من تَرُدِّينَ القَضَاءَ وَمَنْ تَلُومِينَ ، أَحَارِثَهَا أَمْ مُشْتَرِيَهَا أَمْ خَالِقَهَا ؟ فَأَمَّا حَارِثُهَا
 وَمُشْتَرِيَهَا فَالْهَذَا ذَنْبٌ ، فَلَا أَرَاكَ تَلُومِينَ إِلَّا خَالِقَهَا .

ويقال : إِنَّ عَبْدًا حَبَشِيًّا نَاوَلَهُ مَوْلَاهُ [شَيْئًا يَأْكُلُهُ] ، وقال : أَعْطِنِي
 قِطْعَةً مِنْهُ فَأَعْطَاهُ ، فَلَمَّا أَكَلَهُ وَجَدَهُ مُرًّا ، فقال : يَا غِلَامُ ، كَيْفَ أَكَلْتَ هَذَا
 مَعَ شِدَّةِ مَرَاتِرِهِ . قال : يَا مَوْلَايَ ، قَدْ أَكَلْتُ مِنْ يَدِكَ حُلُومًا كَثِيرًا ، وَلَمْ أُحِبَّ
 أَنْ أُرِيكَ مِنْ نَفْسِي كِرَاهَةً لِمَرَاتِرِهِ .

وأوحى الله تعالى إلى عُزَيْرٍ : إِذَا نَزَلَتْ بِكَ بَآئِمَةٌ لَا تَشْكُنِي إِلَى خَلْقٍ
 كَمَا لَمْ أَشْكُكَ إِلَى مَلَائِكَتِي عِنْدَ صُعودِ مَسَافِرِكَ إِلَيَّ ، وَإِذَا أَدْبَنْتَ ذَنْبًا فَلَا
 تَنْظُرْ إِلَى صِغَرِهِ ، وَلَكِنْ أَنْظُرْ مِنْ أَهْدِيَّتِهِ ^(٢) إِلَيْهِ .

وقال لقمان : إِنَّ الذَّهَبَ يُجَرَّبُ بِالنَّارِ ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يُجَرَّبُ بِالْبَلَاءِ .

وقال بعضُ السَّلَفِ : عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ : (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ)
 وقال : (إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) . وقال : (أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ
 الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا) . وقال : (اصْبِرُوا وَصَابِرُوا) . وقال : (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ)
 بِمَا صَبَرْتُمْ) .

(١) هذه النكيلة أو مايفيد منهاها ساقطة من كلا الأصلين ؟ والسياق يقتضى إنباتها .

(٢) من أهديته إليه ، يريد الله سبحانه وتعالى . وعبرة الأصل : « من أهداه إليك » ؛
 وفيها تحريف ظاهر .

وقال الأوزاعي : للؤمن يُقِلُّ الكلامَ وَيُكثِرُ العملَ . والمُنَافِقُ يُكثِرُ الكلامَ وَيُقِلُّ العملَ .

وقال فضيل بن عياض : الخَوْفُ ما دَامَ الرجلُ صحيحاً أفضل ، فإذا نزل للموتُ فالرجاءُ أفضل .

وقال النبي — صلى الله عليه وسلم — إِيَّاكُمْ وَالْخِيَانَةَ ، فَإِنَّهَا بَنَسَتْ الْبِطَانَةَ ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « من رَدَّ عن عِرْضِ أَخِيهِ رَدَّ الله عَنْ وَجْهِهِ لَنَفْعِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

ورَوَى مَنْ وَفَى شَرَّ لَقَلَقِهِ وَتَبَقِيهِ وَذَبَذِيهِ فَقَدْ وَفَى شِرَّةَ الشَّبَابِ ^(١) .
وقيل لأبن المبارك : إِنَّكَ لَتَحْفَظُ نَفْسَكَ مِنَ الْقَيْبَةِ . قال : لو كنت مُقْتَاباً أَحَدًا لَأَغْتَبْتُ وَالِدِي ، لَأَنَّهُمَا أَحَقُّ بِحَسَنَاتِي .

وقال بعضُ العُتَالِخِينَ : لو أَنَّ رَجُلًا تَعَشَّى بِأَلْوَانِ الطَّعَامِ وَقَدْ أَصَابَ مِنَ النِّسَاءِ فِي اللَّيْلِ ، وَرَجُلًا آخَرَ رَأَى رُؤْيَا عَلَى مِثَالِ مَا أَصَابَ الْأَوَّلُ فِي الْيَقَظَةِ ، فَإِذَا مَضَيَا صَارَ الْحَالِمُ وَالْآخَرُ سَوَاءً .

وقال شقيق : مَنْ أَبْصَرَ ثَوَابَ الشَّدَّةِ لَمْ يَتَمَنَّ الْخُرُوجَ مِنْهَا .
وقال شقيق لأصحابه : أَيُّمَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ ، أَنْ يَكُونَ لَكُمْ شَيْءٌ عَلَى التَّلِيءِ ، أَوْ يَكُونَ شَيْءٌ لِلتَّلِيءِ عَلَيْكُمْ ؟ فقالوا : بَلْ ^(٢) نَحِبُّ أَنْ يَكُونَ لَنَا عَلَى التَّلِيءِ . فقال : إِذَا كُنْتُمْ فِي الشَّدَّةِ يَكُونَ لَكُمْ عَلَى اللَّهِ ؛ وَإِذَا كُنْتُمْ فِي النِّعْمَةِ يَكُونَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ .
وقال بعضُ السَّلَفِ : شَتَانِ مَا بَيْنَ عَمَلَيْنِ : عَمَلٍ تَذْهَبُ لَدُنَّهِ وَتَبْقَى تَبِعَتُهُ ، وَعَمَلٍ تَذْهَبُ مَوْتُهُ وَيَبْقَى ذُخْرُهُ .

(١) القلق : اللسان . والتبقي : البطن ، والتبني : معروف .

(٢) في كلتا النسخين « بلا » ؛ وهو تحريف .

وقال الرقاشي في مواضعه : خذوا الذهب من الحجر ، والذلول من التزبلة .
وقال يحيى بن معاذ : العلم قبل العمل ، والقفل قائد الخير ، والموى
مركب المعاصي ، والمال داء المتكبر .

وقال : من تعلم علم أبي حنيفة فقد تعرض للسلطان ، ومن تعلم النحو
والعربية دله بين الصبيان ، ومن علم الزهاد بلغ إلى العرش .

وقال بعض الصالحين : إن العلماء يسقون الناس ، فبعضهم من الثمران
والحياض ، وبعضهم من العيون والقلب ، وبعضهم من البحار الواسعة .

وقال حاتم : لا تنظر إلى من قال ، ولكن أنظر إلى ما قال .

وقال مالك بن دينار : إني لا أقدر أن أعمل بجميع ما أقول .

وقال وهيب بن الورد : مثل عالم الشؤ كمثل الحجر يقع في الساقية فلا هو
يشرب الماء ، ولا يحلّي عن الماء فيذهب إلى الشجرة .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : لأنّا نرين غير الدجال أخوف عليكم . قيل :
ومن هو ؟ قال : الأئمة المضلون .

وقال الثوري : نموذ بالله من فتنة العالم الفاجر ، وفتنة القائد الجاهل .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « سيكون في أمتي علماء فساق ، وقرّاء جهّال » .

وقال الثوري : العلم طيب الدين ، والمال داءه ، فإذا رأيت الطبيب يجزّئ
الداء إلى نفسه فكيف يعالج غيره .

وقال عيسى بن مريم : ما ينفع الأعشى ضوء الشمس وهو لا يبصرها .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أشد الناس حسرة يوم القيامة عالم علم
الناس ونجوا به ، وأرثمن هو بسوء عمله » .

وقال أحمد بن حَرْب : إن مَنَازِلَ الدُّنْيَا لَا تُقَطَّعُ بِالْكَلَامِ ، فَكَيْفَ يُقَطَّعُ طَرِيقُ الْآخِرَةِ بِالْكَلَامِ .

وقال أبو مسلم الخَوْلَانِي : العلماء ثلاثة : رجلٌ عاشَ بِعِلْمِهِ وعاشَ بهِ النَّاسُ ، ورجلٌ عاشَ بِعِلْمِهِ ولمَ يَمَسَّ بهِ النَّاسُ ، ورجلٌ عاشَ بِعِلْمِهِ النَّاسُ وهَلَكَ هُوَ .
وشاورَ رجلٌ مُحَمَّدَ بْنَ أَسْلَمَ فقال : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَزُوجَ بِنْتِي ، فَمِمَّنْ أَزُوجُ ؟ قال : لَا تُزَوِّجْهَا عَالِمًا مُفْتُونًا ، وَلَا كَاسِبًا^(١) ، وَلَا عَابِدًا شَاكَا .

قيل^(٢) : نَصَحَ إبْلِيسُ فقال : إِيَّاكَ وَالْكِبَرُ ، فَإِنِّي تَسَكَّبْتُ فَلَعِنْتُ ؛ وَإِيَّاكَ وَالْحِرْصَ فَإِنَّ أَبَاكَ حَرَصَ عَلَى أَكْلِ الشَّجَرَةِ فَأُخْرِجَ مِنَ الْجَنَّةِ ؛ وَإِيَّاكَ وَالْحَسَدَ فَإِنَّ أَحَدَ بَنِي آدَمَ قَتَلَ أَخَاهُ بِالْحَسَدِ .

وَمَرَّ حَاتِمٌ بِقَوْمٍ يَكْتُبُونَ الْعِلْمَ فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ وقال : إِنْ يَكُنْ مَعَكُمْ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ لَنْ تَقْلَحُوا . قالوا : وَمَا هِيَ ؟ قال : هَمٌّ أَمْسٍ ، وَأَغْتَامٌ^(٣) الْيَوْمَ ، وَخَوْفُ النَّدَى .

وقال ابنُ عُمَرَ : كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ ثَلَاثَةٌ خَرَجُوا فِي وَجْهِ ، فَأَخَذَهُمُ الْمَطَرُ فَدَخَلُوا كَهْفًا ، فَوَقَعَ حَجَرٌ عَظِيمٌ عَلَى بَابِ الْكَهْفِ ، وَبَقُوا فِي الظُّلْمَةِ وَقَالُوا : لَا يَنْجِينَا إِلَّا مَا عَلَّمَنَا فِي الرِّخَاءِ . فقال أحدهم : إِنِّي كُنْتُ رَاعِيًا فَأَرَحْتُ وَحَلَيْتُ ، وَكَانَ لِي أَبَوَانِ وَأَوْلَادُ وَامْرَأَةٌ فَسَقِيتُ أَوْلَادَ الْوَالِدَيْنِ ثُمَّ الْأَوْلَادَ ، فَجِئْتُ يَوْمًا فَوَجَدْتُ أَبَوَيَّ قَدْ نَامَا فَلَمْ أُوقِظْهُمَا لِحُرْمَتِهِمَا وَلَمْ أَتَقِ^(٤) الْأَوْلَادَ ،

(١) هذه الكلمة لم يرد منها في كلا الأصلين غير سين وباء وألف وحرخين مطموسين في أولها ، ولعل الصواب فيها ما أثبتنا .

(٢) ورد في كلا الأصلين « قبل النصيح من إبليس قال إبليس » ؛ ولعل صواب العبارة ما أثبتنا .

(٣) في الأصول : « وأغتم » بالنون ؛ وهو تحريف .

(٤) في (١) : « أتق » ؛ وهو تحريف .

وبقيت قائماً إلى الصبح ؛ فإن كنت يا ربَّ قَبِلْتَ هذا مِنِّي فأَجِملْ لنا فَرَجاً ،
فتحرَّك الحَجَرُ ودخل عليهم الضَّوء .

وقال الثاني : إني كنتُ صاحبَ ضياعٍ ، فجاءني رجلٌ بعد ما مَتَعَ النهارُ ،
وكان لي أَجْرُهُ يَحْصِدُونَ الزَّرْعَ ، فاستأجرتهُ ، فلما تمَّ عملُهُم أُعْطِيَتْهُم أَجُورُهُمْ ، فلما
بَلَغْتُ إلى ذلك الرجلِ أُعْطِيَتْهُ وإني كما أُعْطِيتُ غَيْرَهُ ، فغضبوا وقالوا : تعطيه
مِثْلَ ما أُعْطِيتَنَا . فأخذتُ تلك الأجرَةَ واشتريتُ بها عِجَولاً^(١) ونَمَى حَتَّى كَثُرَ
البَقَرُ ؛ فجاء صاحبُ الأجرَةِ يَطْلُبُ قَلْتُ : هذه البَقَرُ كُلُّها لك ، فسلَّتها إليه ،
فإن كنتُ يا ربَّ قَبِلْتَ مِنِّي هذا الوفاءَ ففرِّجْ عَنَّا . فتحرَّك الحَجَرُ ودَخَلَ مِنْهُ
ضَوْءٌ كثيرٌ .

وقال الثالث : كانت لي بنتٌ عَمَّ فَرَاوَدْتُها ، فأَبَتْ ، حَتَّى أُعْطِيتُها مائةَ دينارٍ
فلما أَرَدْتُ ما أَرَدْتُ اضْطَرَبْتُ وارْتَمَدْتُ . قُلْتُ لَهَا : مالِكٌ ؟ فقالت : إني أَخافُ
اللهَ . فتركتُها ورجعتُ عنها ، إلهي فإن كنتُ قَبِلْتَ ذلك مِنِّي ففرِّجْ عَنَّا . فتحرَّك
الحَجَرُ وسَقَطَ عَن بابِ الكهفِ وخرجوا مِنْهُ يَمْشُونَ .

وقال حاتم : لو أَدْخَلْتُ السُّوقَ شَيْئاً كَثِيراً لما اشْتَرَى أَحَدٌ التَّهْزُولَ ،
بل يَقْصِدُ السَّمِينَ لِلذَّنَجِ .

وقال يحيى بن معاذ : في القلبِ عيونٌ يَهْجِجُ مِنْها الخَيْرُ والشرُّ .

وقال بعضُ الصالحينَ في دعائه : اللهم إِنْ أَحَدَنَا لا يَشَاءُ حَتَّى تَشَاءَ ، فأَجِملْ
مَشِيئَتَكَ لي أَنْ تَشَاءَ ما يُقَرِّبُنِي إِلَيْكَ ؛ اللهم إِنَّكَ قَدَّرْتَ حَرَكَاتِ العَبْدِ ، فلا
يَتحرَّكُ شَيْءٌ إِلَّا بِإِذْنِكَ ، فأَجِملْ حَرَكَاتِي في هَؤُلَاءِ .

(١) البَقَرُ والسَّجَلُ واحدٌ .

وقال قاسم بن محمد^(١): لأن يمشي الرجل جاهلاً خيراً له من أن يقول ما لا يعلم .
وقال الشعبي : لم يكن مجلس أحب إلي من هذا المجلس ، ولأن أبعد^(٢)
اليوم عن بساطه أحب إلي من أن أحبس فيه .

وقال حاتم : إذا رأيت من أخيك عيباً فإن كتمته عليه فقد خنته ، وإن
قلته لغيره فقد أغبتته ، وإن واجهته به فقد أوحشته ؛ قيل له : كيف أصنع ؟
قال : تكفى عنه ، وتعرض به ، وتبطله في جملة الحديث .

وقال : إذا رأيت من أخيك زلة فاطلب لها سبعين وجهاً من العلل ، فإن
لم تجد فلم نفسك .

وقال إبراهيم بن جنييد : إتخذ مرآتين ، وانظر في إحداها عيب
نفسك ، وفي الأخرى محاسن الناس .

وقال يحيى بن معاذ : الدنيا دار خراب ، وأخرب منها قلب من يعمرها ،
والآخرة دار عمران ، وأعمار منها قلب من يعمرها .

وقال ابن السكك : الدنيا كالعرؤس المجلوة تشوّفت لخطأها وفتنّت
بغرورها ، فالعيون إليها ناظرة ، والقلوب عليها وإلهة ؛ والنفوس لها عاشقة ، وهي
لأزواجها قاتلة .

وقال بعض المارفين : الدنيا أربعة أشياء : الفرح والراحة والحلاوة
واللذة ؛ فالفرح بالقلب ، والراحة بالبدن ، واللذة بالخلق ، والحلاوة بالعين .

(١) كذا في (١) والذى في (ب) « محمد بن قاسم » .

(٢) ورد كلام الشعبي هذا في نسخة واحدة دون الأخرى . ويشير إلى فساد العلماء
وأنتهم قد أصبحوا لا يرغب في الجلوس إليهم . والذى في النسخة « أقعد اليوم على بساطه » ؛
وهو تحريف .

وقال يحيى بن معاذ : الدنيا خَرُّ الشيطان ، فمن سَكِرَ منها لم يُفِقْ إلا في مَسْكَنِ التَّامِينَ .

وقال بعض السلف : الزهد خَلَعُ الراحة ، وبَذْلُ الجهد ، وقَطْعُ الأمل .
وقال الأنطاكي أحمد بن عاصم : الزُّهْدُ هو الثِّقَةُ بالله ، والتَبَرُّؤُ من الخَلْقِ ، والإِخْلَاصُ في العمل ، وأَحْتِمَالُ الذُّلِّ .

وقال داود — عليه السلام — في دعائه : يا رازقَ الثَّغَابِ في عُسْهِ .
وقال بعضُ السَّلفِ : لو كُنْتَ على ذَنْبِ الرِّيحِ [لم] ^(١) تَغَيَّرَ مِنْ رِزْقِكَ .
وقال آخر : الإنسان بين رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ ، إلا أنه مَخْدُوعٌ بِأَمَلِهِ ^(٢) .

وقال عيسى بن مريم عليه السلام : خَلَقَكَ رَبُّكَ في أربعِ مَرَاتِبَ ، فَكُنْتَ آمَنًا سَاكِنًا في ثَلَاثَ ، وَقَلَّتْ في الرَّابِعَةِ ، وَأَوْلَاهَا في بَطْنِ أُمِّكَ في ظُلُمَاتٍ ثَلَاثَ ، وَالثَّانِيَةِ حِينَ أَخْرَجَكَ مِنْهُ وَأَخْرَجَ لَكَ لَبَنًا مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ . وَالثَّالِثَةَ إِذَا فُطِمْتَ أَطْعَمَكَ التَّرِيَّ الشَّهِيَّ ، حَتَّى إِذَا اشْتَدَّتْ عِظَامُكَ وَبَلَنْتَ تَمَامَكَ صِرْتَ خَائِنًا وَأَخَذْتَ في السَّرِيقَةِ وَالْحِيلَةِ .

وقال أنس : رَأَيْتُ طَائِرًا أَكَمَّهُ فَتَحَّ فَاهُ فَجَاءَتْ جَرَادَةٌ فَدَخَلَتْ فَمَهُ .
وقال عيسى — عليه السلام — يَا بَنَ آدَمَ اعْتَبِرْ رِزْقَكَ بِطَئِيرِ الْمَاءِ ، لَا يَزْرَعُنَّ وَلَا يَحْصُدُنَّ وَإِلَهُ السَّمَاءِ يَرْزُقُهُنَّ . فَإِنْ قَاتَ : لَهَا أَجْنَحَةٌ فَأَعْتَبِرْ بِحُمْرِ الْوَحْشِ وَبَقَرِ الْوَحْشِ مَا أَتَمَمَهَا [وَمَا أَبْشَمَهَا] وَأَبْذَنَهَا !

وقال ابن السَّمَّاکِ لَوْ قَالَ الْعَبْدُ : يَا رَبِّ لَا تَرَزُقْنِي لَقَالَ اللَّهُ : بَلْ أَرَزُقُكَ

(١) هذه الكلمة لم ترد في نسخة (١) التي وردت فيها وحدها هذه البارة .
(٢) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه البارة : « بمله » . وما أتمتها هو مقتضى السياق .

على رَغْمِ أَنْفِكَ ، ليس لك خالقٌ غيري ، ولا رازقٌ سِوَايَ ، إن لم أَرْزُقْكَ
فمن يَرْزُقُكَ ؟

وقيل لراهب : من أين تأكل ؟ فقال : إن خالقَ الرَّحَى يأتي بالطَّحِينَ .
وقال حاتم : الحمارُ يَعْرِفُ طريقَ التَّحْلَفِ ، والمناقِقُ لَا يَعْرِفُ طريقَ السَّما .
وقال إبراهيمُ بنُ أَدَمَ : سألتُ راهبًا من أين تأكلُ ؟ قال : ليس هذا
العلمُ عِنْدِي ، ولكن سألَ رَبِّي من أين يُطْعِمُنِي .

وقال حاتم : مَثَلُ التَّوَكَّلِ مَثَلُ رَجُلٍ أَسْنَدَ ظَهْرَهُ إِلَى جَبَلٍ .
وقال بعضُ الأبرار : حَسْبُكَ مِنَ التَّوَكُّلِ أَلَّا تَطْلُبَ لِنَفْسِكَ ناصِرًا
غيرَه ، ولا لِرِزْقِكَ خازنًا غيرَه ، ولا لِمَالِكَ شاهدًا غيرَه .

وقال عبدُ الحميد بنُ عبد العزيز : كان لأبي صديقٍ وَرَّاقٍ ، فقال له [أبي]
يوما : كيف أصبحتَ ؟ قال : بخير ما دامت يَدَيَّ مَعِي ، فأصْبَحَ الْوَرَّاقُ وَقَدْ
شَلَّتْ يَدُهُ .

قال أبو العالِية : لَا تَعَكِّلْ عَلَى غَيْرِ اللَّهِ فَيَسْكَكَ اللَّهُ إِلَيْهِ ، وَلَا تَعْمَلْ
لِغَيْرِ اللَّهِ فَيَجْمَلَ ثَوَابَ عَمَلِكَ عَلَيْهِ .

وقال رجلٌ لأبي ذَرٍّ : أنتَ أبو ذَرٍّ ؟ قال : نعم . قال : لولا أَنَّكَ رَجُلٌ
سوء ما أُخْرِجْتَ مِنَ المَدِينَةِ . فقال أبو ذَرٍّ : بَيْنَ يَدَيَّ عَقَبَةُ كُودٍ إِنْ نَجَوْتُ
مِنها لَا يَضُرُّنِي مَا قُلْتَ ، وَإِنْ أَقَعْتُ فِيهَا فَأَنَا شَرٌّ مِمَّا تَقُولُ .

وقيل لفضيل : إِنْ فَلانًا يَقَعُ فِيكَ . فقال : لَا غِيظَنَنَّ مِنْ أَمْرِهِ ^(١) بذلك
اللهمَّ اغْفِرْ لَهُ .

(١) من أمره بفلك ، يريد الشيطان .

وقال رجل لأبي هريرة : أنت أبو هريرة ؟ قال : نعم . قال : سارق الذريرة ^(١) ؟ قال : اللهم إن كان كاذباً فأغفر له ، وإن كان صادقاً فأغفر لي ؛ هكذا أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال رجل لأبن مكرم : يا كافر . قال : وجب على الشكر ، حيث لم يجز ذلك على لساني ، ولم تجب على إقامة الحجة فيه ، وقد طويت قلبي على جملة ^(٢) أشياء : قال : وما هن ؟ قال : إن قلت ألف مرة لا أجيبك مرة ، ولا أحقد عليك ، ولا أشكوك إلى أحد ، وإن نجوت من الله عز وجل بعد هذه الكلمة شفعت لك . فتاب الرجل .

كان للحسن جاز نصراني ، وكان له كنيف على السطح ، وقد نقب ذلك في بيته ، وكان يتحلب منه البول في بيت الحسن ، وكان الحسن أمر بانهاء فوضيع تحته ، فكان يخرج ما يجتمع منه ليلاً ، ومضى على ذلك عشرون سنة ، ففرض الحسن ذات يوم فصاده النصراني ، فرأى ذلك ، فقال : يا أبا سعيد : مذ كرم تخيلون مني هذا الأذى ؟ فقال : منذ عشرين سنة . فقطع النصراني زناره وأسلم .

وجاءت جارية لمنصور بن مهران بمرقة ففراقتها عليه ، فلما أحس بحرقها نظر إليها ، فقالت : يا معلم الخير أذكرك قول الله . قال : وما هو ؟ قالت : (وَالْكَافِرِينَ أَتَيْنَا) قال : كذبت . قالت : وأذكرك (وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ) قال : قد عرفت . قالت وأذكرك (وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) . قال : اذهبي فأنتي حرة .

(١) الذريرة : ضرب من الطيب .

(٢) في كلتا النسختين : « دعة » ؛ ولعله حرف مما أبتنا إذ لم يذكر فيها بعد غير أربعة أشياء ، أو لعل الحامسة قد سقطت من النسخ .

قال الحسن : ما جَزَعَةٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ جَزَعَةٍ مُصِيبَةٍ رَدَّهَا صَاحِبُهَا بِصَبْرٍ ،
وَجَزَعَةٍ غَضِبَ رَدَّهَا صَاحِبُهَا بِحِلْمٍ .

وكان محمد بن المنكدر إذا غَضِبَ على غُلَامِهِ يقول : ما أَشْبَهَكَ بِسَيِّدِكَ !
وقال أبو ذَرٍّ : كيف يكون حليماً من يَغْضَبُ على حِمَارِهِ وَسَخْلِهِ وَهِرَّةٍ .

ومات ابنُ الرشيد فجَزَعَ جَزَعاً شديداً ، فَوَعَفَ له العلماءُ فَلَمْ يَتَعَطَّ ؛ فَدَخَلَ
مَخْنَتاً وقال : أَتَأْذُنُ لِي فِي الْكَلَامِ ؟ قال : تَكَلَّمْ . فَكَشَفَ عَنْ رَأْسِهِ وَقَامَ بَيْنَ
يَدَيْهِ ، وقال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنَا رَجُلٌ ، وَقَدْ تَشَبَّهْتُ بِالنِّسَاءِ كَمَا تَرَى ، فَأَيُّ
شَيْءٍ كُنْتَ تَصْنَعُ لَوْ كَانَ أَبْنُكَ فِي الْأَحْيَاءِ وَكَانَ عَلَى صُورَتِي ، فَأَتَّعَلَ بِهِ
وَأَخْرَجَ النُّوْاحَاتِ مِنَ الدَّارِ .

قال وَهْبٌ : مَكْتُوبٌ فِي الْكُتُبِ الْقَدِيمَةِ : إِنْ كُنْتُمْ تَرِيدُونَ رَحْمَتِي
فَارْحَمُوا عِبَادِي .

وقال جعفر بن محمد — عليهما السلام — حُسْنُ الْجَوَارِ عِمَارَةُ الدِّيَارِ
وَمُتْرَاةُ الْمَالِ .

ولما قرأ هذا الجزء — حَرَسَهُ اللهُ — ارتاح وقال : أَيْنَ نَحْنُ مِنْ هَذِهِ
الطَّرِيقَةِ ، إِلَى اللَّهِ الْمُشْتَكِيِّ .

الليلة الخامسة والعشرون

وقال — أدامَ اللهُ دَوْلَتَهُ — لَيْلَةً : أَحِبُّ أَنْ أَسْمَعَ كَلَاماً فِي مَرَاتِبِ النِّظَمِ
وَالنَّثْرِ ، وَإِلَى أَيْ حَدِّ يَفْتَحِيَانِ ، وَعَلَى أَيْ شَكْلٍ يَتَفَقَّانِ ، وَأَيُّهُمَا أَجْمَعُ لِلْمَعَانِدَةِ ،
وَأَرْجِعُ بِالْمَعَانِدَةِ ، وَأَدْخُلُ فِي الصَّنَاعَةِ ، وَأَوَّلَى بِالْبَرَاعَةِ ؟؟

فكان الجواب : إِنَّ الكلامَ على الكلامِ صعبٌ . قال : ولم ؟ قلتُ : لأنَّ (١) الكلامَ على الأمور المعتمد فيها على صُورِ الأمور وشُكولها التي تنقسم بين المَقول وبين ما يكون بالحسِّ ممكِنٌ ، وقضاءُ هُذا مُتَسِّعٌ ، والمجالُ [فيه] مختلفٌ (٢) . فأمَّا الكلامُ على الكلامِ فإنه يَدُورُ على نفسه ، ويَلْتَبِسُ بعضُه ببعضه ؛ ولهذا شَوَّ النَّحْوُ وما أشبهه النَّحْوُ من اللَّيَاقِ ، وكذلك النَّثْرُ والشُّعْرُ وعلى ذلك .

وقد تال الناس في هُذينِ القَنَينِ ضروباً من القولِ لم يَبْعُدوا فيها من الوَصْفِ الحَسَنِ ، والإنصافِ الحمود ، والتَّنَافُسِ المَقبول ، إلّا ما خَالَطَهُ من التعدُّبِ والصَّحْكِ ، لأنَّ صاحبَ هُذينِ الخُلُقَينِ لا يَحُلُو من بعضِ المُكَابَرَةِ والمُغالَطَةِ وَ يَقْدِرُ ذلك (٣) بِصِيْرِهِ (٤) مَدْخُلٌ فيما يُرادُ تحقيقُه من بيانِ الحِجَةِ أو قُصُورِها (٥) عما يُرامُ من البُلُوغِ بها ، وهذه آفةٌ مُعْتَرِضةٌ في أمورِ الدِّينِ والدُّنيا ، ولا مَطْمَعٍ في زَوَالِها ، لأنَّها ناشئةٌ من الطَّبائعِ المُختلفةِ ، والعاداتِ السيِّئةِ ، المُكْتَنَى (٦) مع هذه الشُّوْكَةِ الحادَّةِ ، والخُطْأَةِ الكادَّةِ (٧) ؛ أقولُ ما وَعَيْتُهُ عن أربابِ هُذا الشَّانِ ، والمُنْتَمِينِ (٨) لهُذا الفنِّ ، وَإِنْ عَنَ شَيْءٌ يكونُ شُكْلاً لذلك وَصَلَتْهُ به تَكْهِيلًا للشرحِ ، وأستعيضاً للبابِ ، وَصَدْعاً (٩) للغايةِ ، وأخذاً بالحِياطةِ ، وإن كان أَلْمُنْتَهَى منه غيرَ مَعْلُومٍ فيه ، وَلَا مَوْضُوعٍ إِلَيْهِ ؛ واللهُ المعين .

(١) في ب « يمكن » مكان قوله : « يختلف » .

(٢) في كلتا النسختين : « وبذلك القدر » ، وفي كلتا الكلمتين تقديم وتأخير وقها من الناسخ ، وسباق الكلام يقتضى ما أُنَبِّتَا . ويشير « بذلك » إلى ما سبق من المُكَابَرَةِ والمغالطة .

(٣) كذا في ب والذى في (أ) يصير ذلك . (٤) في كلتا النسختين « وقصور » .

(٥) في (أ) « التى » ؛ وهو تحريف .

(٦) في كلتا النسختين « الكبرى » ؛ وهو تحريف . (٧) في (أ) والقيمين بهذا

الفن ؛ والمعنى عليه يستقيم أيضاً . (٨) صمداً للغاية ، أى قصداً إليها .

(٢)

قال شيخنا أبو سليمان : الكلام يَنْبَغُ في أول مبادئه إما من عَفْوِ
 البدئية ، وإما من كَدِّ الرُّويَّةِ ، وإما [أن يكونَ] مركَّباً منهما ، وفيه قواها
 بالأكثر والأقل ؛ ففضيلةُ عَفْوِ البدئية أنه يكونُ أَشْفَى ، وفضيلةُ كَدِّ الرُّويَّةِ
 أنه يكونُ أَشْفَى ، وفضيلةُ المركَّبِ منهما أنه يكونُ أَوْفَى ؛ وَعَيْبُ عَفْوِ البدئية أن
 تكونَ صورةُ العقلِ فيه أَقلُّ ؛ وَعَيْبُ كَدِّ الرُّويَّةِ أن تكونَ صورةُ الحِسِّ فيه
 أَقلُّ^(١) ، وَعَيْبُ للمركَّبِ منهما بقدر قِسْطه منهما : الأغلْبِ والأضعْفُ ؛ على أنه
 إن خَلَصَ هذا المركَّبُ من شوائبِ التكلفِ ، وشوائبِ التعسفِ ، كان بليفاً
 مقبُولاً زائِعاً خُلُوّاً ، تَحْتَضِنُه الصُّدُورُ ، وتَحْتَلِسُه الأَذَانُ ، وتَنْتَهِيهِ الجَاحِلِسُ ،
 ويتَنَافَسُ فيه المتَنَافِسُ بَعْدَ المتَنَافِسِ ، والتفاضُلُ الواقعُ بين البُلْغاءِ في النِّظْمِ
 والتثَرُّ ، إنما هو في هذا المركَّبِ الذي يُسَمَّى تاليفاً ورَصفاً ؛ وقد يجوز أن تكونَ
 صورةُ العقلِ في [البدئيةِ] أَوْضَحَ ، وأن تكونَ صورةُ الحِسِّ^(٢) في الرُّويَّةِ [أَوْضَحَ
 إلا أن ذلك من غرائب آثار النَّفْسِ وواِدِرِ أفعالِ الطبيعة ، والمدارُ على العمودِ
 الذي سَلَفَ نَفْثُهُ . وزمنا أصله .

(٣)

وسمعتُ أبا عابدٍ الكرخيَّ صالح بنَ علي يقول : التثَرُّ أصلُ الكلام ،
 والنظْمُ قَرَعُهُ ؛ والأصلُ أَشْرَفُ من الفرعِ ، والفرعُ أَفْقَصُ من الأصلِ ؛ لكنَّ
 لكلٍّ واحدٍ منهما زائناً وشائناً ، فأما زائناً التثَرُّ فهي ظاهرةٌ ، لأنَّ جميعَ

(١) في كلتا النسختين « أ كـ » ؛ وهو غلط من الناسخ سواه ما أثبتنا كما هو
 المعروف في الفرق بين البدئية والرؤية . أو مل الصواب « العقل » مكان « الحس » مع بقاء
 كلمة « أ كـ » .

(٢) في كلتا النسختين « العقل » مكان « الحس » ؛ وهو خطأ من الناسخ سواه
 ما أثبتنا كما يفهم من سياق الكلام .

الناس في أوّل كلامهم يَقْصِدُونَ الثَّنَاءَ ، وإنما يتعرضون للنَّظْمِ في الثَّانِي بداعية عارضة ، وسبب باعث ، وأمر معين .

قال : ومن شَرَفِهِ أيضاً أَنَّ الكُتُبَ القَدِيمَةَ والحديثَ النازلةَ من السَّمَاءِ على أَلْسِنَةِ الرُّسُلِ بالتَّأْيِيدِ الإلهيِّ مع اختلاف اللُّغات كلّها منشورةٌ مُبَسَّوطةٌ . مُتَّعِبَةٌ الأوزان ، متباعدةُ الأبنية ، مختلفةُ التصاريف ، لا تنقاد للوزن^(١) ، ولا تدخل في الاعاريض ؛ هذا^(٢) أمرٌ لا يجوز أن يُقابله ما يدحضه ، أو يعترض عليه بما يحرضه^(٣) .

قال : ومن شَرَفِهِ أيضاً أن الوَحْدَةَ فيه أظهر ، وأثرها فيه أشهر ، والتكلف منه أبعد ، وهو إلى الصَّفاء أقرب ، ولا توجد الوَحْدَةُ غالباً على شيء إلا كان ذلك دليلاً على حُسْنِ ذلك الشيء . وبَقائِهِ ، وبِهائِهِ ونَقائِهِ .

قال . ومن فضيلة الثَّنَاءِ أيضاً كما أنه إلهي بالوَحْدَةِ ، كذلك هو طبيعيٌّ بالبِدْءِ . والبِدْءُ في الطَّبِيعِيَّاتِ وَحْدَةٌ ، كما أن الوَحْدَةَ في الإلهيَّاتِ بَدْءٌ ، وهذا كلامٌ خطير .

قال : ألا تَرَى أَنَّ الإنسانَ لا يَنْطَلِقُ في أوّل حاله من لَدُنْ حَفَواتِهِ إلى زمانٍ مديدٍ إلا بالمشور المتبدّد ، والميسور المتردّد ؛ ولا يُبْلِغُهُمْ إلا ذاك ، ولا يُنَاغِيْهِ إلا بذاك ؛ وليس كذلك المنظوم ، لأنه صناعيٌّ ؛ ألا تَرَى أَنَّهُ داخلٌ في حِصَارِ العروضِ وأَسْرِ الوزْنِ وقيدِ التَّأْيِيدِ ، مع تَوَقُّعِ الكَسْرِ ، واحتمالِ أَصْنَافِ الزَّخَافِ ، لأنه لما هَبَطَتْ دَرَجَتُهُ عن تلك الرِّبْوَةِ العالِيَةِ ، دخلته الآهَةُ من كلِّ ناحية .

(١) في كلتا النسختين « للذوق » ؛ وهو تحريف .

(٢) عبارة ب « وهذا الفن » .

(٣) يحرضه ، أى يشده . وفي ب « يرحضه » ؛ وهو تحريف .

قال : فإن قيل : إن النظم قد سبقَ التروضَ بالدُّوق ، والدُّوق طِباعى ؛
 قيل فى الجواب : الدُّوق وإن كان طِباعِيًّا فإنه مَحْدُومُ الفِكر ، والفِكرُ مفتاحُ
 الصَّنَاعِ البَشَرِيَّةِ ، كما أَنَّ الإلهامَ مستخدمٌ للفِكر ، والإلهامُ مفتاحُ الأمور الإلهِيَّةِ .
 قال : ومن شَرَفِ النَّثْرِ أيضاً أَنَّهُ مُبْرَأٌ مِنَ التَّكْلِيفِ ، مُنْزَعٌ عَنِ الصَّرُورَةِ ،
 غَنِيٌّ عَنِ الْأَعْتِذَارِ وَالْإِفْتِقَارِ^(١) ، والتَّقديمُ والتَّأخيرُ ، والعَذْفُ والتَّكْسيرُ ،
 وما هو أكثرُ من هذا مما هو مَدُونٌ فى كُتُبِ القوافى والتروض لأربابها الذين
 اسْتَفْتَدُوا غَايَتَهُمْ فِيهَا .

وقال عيسى الوزير : النَّثْرُ من قِبَلِ الْعَقْلِ ، والنَّظْمُ من قِبَلِ الْحِسِّ ،
 وَلِنُخُولِ النَّظْمِ فى طَيِّ الْحِسِّ دَخَلَتْ إِلَيْهِ الْآفَةُ ، وَغَلَبَتْ عَلَيْهِ الصَّرُورَةُ ،
 وَاحْتِيجُ إِلَى الْإِغْضَاءِ عَمَّا لَا يَجُوزُ مِثْلُهُ فى الْأَصْلِ الَّذِى هُوَ النَّثْرُ .

وقال ابن طرارة — وكان مِنْ فَصَحَاءِ أَهْلِ الْعَصْرِ بِالْعِرَاقِ — : النَّثْرُ
 كَالْحَبَّةِ ، وَالنَّظْمُ كَالْأَمَةِ ، وَالْأَمَةُ قَدْ تَكُونُ أَحْسَنَ وَجْهًا ، وَأَدَمَّتْ شِمَائِلُ ،
 وَأَحْلَى حَرَكَاتٍ : إِلَّا أَنَّهَا لَا تُوصَفُ بِكَرَمِ جَوْهَرِ الْحَبَّةِ وَلَا بِشَرَفِ عِرْقِهَا
 وَعَتَقَ نَفْسِهَا وَفَضَلَ حَيَاتِهَا .

وقال : وَلشَرَفِ النَّثْرِ قَالَ اللهُ تَعَالَى فى التَّنْزِيلِ : (إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسَبَتْهُمْ
 لَوْلُؤَا مُنْشُورًا) وَلَمْ يَقُلْ : لَوْلُؤَا مُنْظُومًا ؛ وَنَجُومُ السَّمَاءِ مُنْثَبِرَةٌ وَإِنْ كَانَ
 أَنْثَارُهَا عَلَى نِظَامٍ ، إِلَّا أَنَّ نِظَامَهَا فى حَدِّ^(٢) الْعَقْلِ ، وَأَنْثَارُهَا فى حَدِّ^(٣) الْحِسِّ ،
 ”لَأَنَّ الْحِكْمَةَ إِذَا غَطَّيَتْ نَفْسَهَا^(٤) كَانَتِ الْخَلْبَةُ لِلشُّورَةِ الْقَائِمَةِ بِالْقُدْرَةِ“ .

(١) فى كلتا السختين : « والاعتقاد » ؛ وهو تحريف .

(٢) فى الأصول « فى بلد » فى كلا الموضعين ؛ وأمل الصواب ما أبقينا .

(٣) فى كلا الأصلين « فطنت » ؛ وهو تحريف . وورد بعد قوله « بالقدرة » قوله

« أبلغ » وهى زيادة من الناسخ لا مقتضى لها .

وقال أحد بن محمد كاتب رُكن الدولة : الكلام المنشور أشبه بالوشى ، والمنظوم [أشبه] بالنثر الخطط ، والوشى يروق ما لا يروق غيره .

ويقال : كُتِبَ في نِثار فلان ، ولا يقال : [كُتِبَ] في نظام فلان .

وقال ابن هندو الكاتب : إذا نُظِرَ في النظم والنثر على أَسْتِيعَابِ أحوالهما وشَرَائطهما ، والأُطْلَاعِ على هَوَايَيهما وتَوَالِيهِما كَانَ أَنَّ للنظم فيه نَثْرٌ من وَجْه ، والنثر فيه نَظْمٌ من وَجْه ، ولولا أَنهما يَسْتَهْمَانِ هَذَا النَفْتَ لَمَا ائْتَلَفَا وَلَا ائْتَلَفَا .

وقال ابن كعب الأنصاري : مِنْ شَرَفِ النَّثْرِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَنْطِقْ إِلَّا بِهٖ أَمْرًا وَنَاهِيًا ، وَمُسْتَخِيرًا وَمُخْبِرًا ، وَهَادِيًا وَوَاعِظًا ، وَغَضِيًّا وَرَاضِيًّا ، وَمَا سَلِبَ النَّظْمُ إِلَّا لِهَبْوَطِهِ عَنِ دَرَجَةِ النَّثْرِ ، وَلَا نَزَّ عَنْهُ إِلَّا مَا فِيهِ مِنَ النِّقْصِ ، وَلَوْ تَسَاوَا لِنَطْقِ بِهِمَا ^(١) ، وَلَمَّا ائْتَلَفَا خُصَّ بِأَشْرَفِهِمَا الَّذِي هُوَ أَجْوَلُ فِي جَمِيعِ الْمَوَاضِعِ ، وَأَجْلَبُ لِكُلِّ مَا يُطْلَبُ مِنَ الْمَنَافِعِ .

فهذا قليل من كثير مما يكون تبصرة لباعى هذا الشأن ، وَلَمَنْ يَتَوَخَّى حَدِيثَهُ عِنْدَ كُلِّ إِنْسَانٍ .

- وَأَمَّا مَا يُفْضَلُ بِهِ النَّظْمُ عَلَى النَّثْرِ فَأَشْيَاءُ سَمِعْنَاهَا مِنْ هَؤُلَاءِ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ)
كَانَتْ سَمَاءُ عَلَيْهِمْ دُرُورًا ، وَبَحْرُ أَدَبِهِمْ مُتَلَاطِيًا ، وَرَوْضُ فَضْلِهِمْ مُزْدَهَرًا ، وَشَمْسُ حِكْمَتِهِمْ طَالِعَةً ، وَنَارُ بِلَاغَتِهِمْ مُسْتَعْلَةً ، وَأَنَا آتَى عَلَى مَا يَحْضُرُنِي مِنْ ذَلِكَ ، مَنُفْسُوبًا إِلَيْهِمْ ، وَتَحْسُوبًا لَهُمْ ، لِيَكُونَ حَقُّهُمْ بِهِ مَقْضِيًّا ، وَذِكْرُهُمْ عَلَى مَرَّةٍ الزَّمَانِ طَرِيًّا .

قال السلاوي : من فضائل النظم أَنَّ صَارَ [لَنَا] صِنَاعَةٌ بِرَأْسِهَا ، وَتَكَلَّمَ

(١) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ « عَنْهُمَا » .

الناسُ في قوافيها ، وتوسَّعوا في تصاريفها وأعاريفها ، وتصرَّفوا في بحورها ، وأطلَعوا على عجائب ما أُستُخْزِنَ فيها من آثار الطَّبِيعَةِ الشَّرِيفَةِ ، وشواهِدِ القُدْرَةِ الصَّادِقَةِ ؛ وما هَكَذَا النُّثْرُ ، فَإِنَّهُ قَصَّرَ عن هذه الذَّرْوَةِ الشَّائِعَةِ ، والقَلَّةِ العَالِيَةِ ؛ فصار بذلكِ بَذْلَةً لِكَاثَةِ النَّاظِقِينَ مِنَ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ وَالنِّسَاءِ وَالصَّبَّيَّانِ .

وقال أيضاً : من فضائل النَّظْمِ أَنَّهُ لَا يُغْنَى وَلَا يُجَدَّى [إِلَّا بِجِدِّهِ] وَلَا يُوَهَّلُ لِلْعَيْنِ الطَّنْطَنَةِ^(١) ، وَلَا يُحْتَلَى بِالِإِيْقَاعِ الصَّحِيحِ غَيْرُهُ ، لِأَنَّ الطَّنْطَنَاتِ وَالنَّقَرَاتِ ، وَالْحَرَكَاتِ وَالسَّكَنَاتِ لَا تَتَنَاسَبُ إِلَّا بَعْدَ اشْتِمَالِ الْوِزْنِ وَالنَّظْمِ عَلَيْهَا ، وَلَوْ [كَانَ] فِعْلٌ [هَذَا] بِالنُّثْرِ كَانَ مَنقُوصاً ، كَمَا لَوْ لَمْ يُفْعَلْ هَذَا بِالنَّظْمِ لَكَانَ مُحْسُوساً ؛ وَالْفَنَاءُ مَعْرُوفُ الشَّرَفِ ، عَجِيبُ الْأَثَرِ ، عَزِيزُ الْقَدْرِ ، ظَاهِرُ النِّفْعِ فِي مَعَانِيَةِ الرُّوحِ ، وَمُنَاغَاةُ الْعَقْلِ ، وَتَنْبِيهِ النَّفْسِ ، وَأَجْتِلَابُ [الطَّرَبِ] . تَفْرِيجُ الْكُرْبِ ؛ وَإِثَارَةُ الْهَزَّةِ ، وَإِعَادَةُ الْعِزَّةِ ، وَإِذْكَارُ الْعَهْدِ ، وَإِظْهَارُ التَّجَدُّدِ ، وَآكْتِسَابُ السَّلَوةِ ؛ وَمَا لَا يُحْصَى عَدَدُهُ .

ويقال : ما أَحْسَنَ هذه الرسالةَ لِمَا كَانَ فِيهَا بَيْتٌ مِنَ الشَّعْرِ . وَلَا يَقَالُ : مَا أَحْسَنَ هَذَا الشَّعْرَ لِمَا كَانَ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ النُّثْرِ ، لِأَنَّ صُورَةَ الْمَنْظُومِ مَحْفُوظَةٌ ، وَصُورَةُ الْمُنْثُورِ ضَائِعَةٌ .

وقال أَبْنُ نُبَاتَةَ : مِنْ فَضْلِ النَّظْمِ أَنَّ الشَّوَاهِدَ لَا تَوْجَدُ إِلَّا فِيهِ ، وَالْخَجَجَ لَا تَوْحَدُ إِلَّا مِنْهُ ، أَعْنِي [أَنَّ] الْعُلَمَاءَ وَالْحُكَمَاءَ وَالْفُقَهَاءَ وَالنَحْوِيِّينَ وَاللُّغَوِيِّينَ يَقُولُونَ : « قَالَ الشَّاعِرُ » ؛ وَ« هَذَا كَثِيرٌ فِي الشَّعْرِ » ، وَ« الشَّعْرُ قَدْ أَتَى بِهِ » ، فَعَلَى هَذَا الشَّاعِرُ هُوَ صَاحِبُ الْحُجَّةِ ، وَالشَّعْرُ هُوَ الْحُجَّةُ .

وقال الْخَالِجُ : لِلشُّعْرَاءِ حَلْبَةٌ ، وَلَيْسَ لِلْبُلَغَاءِ حَلْبَةٌ ، وَإِذَا تَنَبَّغَتْ جَوَازِرُ

(١) الطَّنْطَنَةُ : حِكَايَةُ صَوْتِ الطَّبِيرِ وَشَبِيهِهِ .

الشعراء التي وصلت إليهم من الخلفاء، وولاة المهود والأمراء والولاة في مقاماتهم، المؤرخة، ومجالسهم الفاخرة، وأنديتهم الشهورة، وجذتها خارجة عن الحصر، بعيدة من الإحصاء؛ وإذا تنبقت هذه الحال لأصحاب النثر لم تجد شيئاً من ذلك؛ والناس يقولون: ما أكمل هذا البليغ لو قرض الشعر! ولا يقولون: ما أشعر هذا الشاعر لو قدر على النثر! وهذا لغنى الناظم عن النثر، وقصر الناثر إلى الناظم؛ وقد قدم الناس أبا علي البصير على أبي العتينا، لأن أبا علي جمع بين الفضيلتين، وضرب بالثقيفين^(١) في الحومتين، وفاز بالقدحين المقلتين^(٢) في المكاين.

- وقال لنا الأنصاري: سمعت ابن ثوبة الكاتب يقول: لو تصفحنا (هـ)
 [ما صار إلى] أصحاب النثر من كتب البلاغة، والخطباء الذين ذبوا عن الدولة، وتكلموا في صنوف أحداثها وفنون ما جرى الليل والنهار به؛ [مما] فتق به الرئق، ورقيق به الفتق، وأصلح به الفاسد، ولم به الشعث، وقرب به البعيد، وبعد به القريب، وحقق به [الحق]، وأبطل به [الباطل]، لكان يوفي على كل ما صار إلى جميع من قال الشعر ولاك القصيد، ولهج بالقريض، واستباح بالمرحمة؛ ووقف موقف المظلوم، وأنصرف انصراف المحروم؛ وأين من يفتخر بالقريض، ويبدل بالنظم، وينباهي بالتديهة، من وزير الخليفة، ومن صاحب السر، ومن ليس بين لسانه ولسان صاحبه واسطة، ولا بين أذنه وأذنه حجاب؟! ومتى كانت الحاجة إلى الشعراء كالخاجة إلى الوزراء؟! ومتى قام وزير لشاعر للخدمة أو للتكرمة؟! ومتى قدم شاعر لوزير

(١) في كلتا النسخين؟ « وضرب بالثقيين في الحرمين »؛ وهو تصحيف.

(٢) في كلتا النسخين: « المقلين »؛ وهو تحريف.

على رجاء وتأميل^(١) ! بل لا ترى شاعراً إلا قائماً بين يدي خليفة أو وزير أو أمير
باسط اليد ، ممدود الكف ، يستعطف طالباً ، ويسترحم سائلاً ؛ هذا مع الدّلة
والهوان ، والخوف من الغيبة والحُرمَان ، وخطر الرّدّ عليه في لفظ يَمُرُّ ،
وإعراب يجرى ، واستعارة تَقْرُض ، وكناية تَقْرُض ، ثم يكون مقلّياً
مُشِيناً بما يظنّ به من الهجاء الذي ربما دلّاه في حوْمَةِ الموت ، وقد برأ الله
تعالى بإحسانه القديم ومنّه الجسم صاحب البلاغة من هذا كله ، وكفاه
مؤونة الغدْرِ به ، والضرَر فيه .

قال : وكان ابنُ ثَوَابَةِ إذا جال في هذه الأكناف لا يُحقُّ شأوه ، ولا
يُشَقُّ غُبارُه ، ولا يُطَمَع في جوابه .

قال : وله مُناظرات واسعة في هذا الباب مع جماعة من أهل زمانه ناقضوه
وعارضوه ، وكاشفوه وواجهوه : فثبت لهم ، وانتصف منهم ، وأزبى عليهم ،
ولم يُتملِعْ عن مصالحتهم^(٢) ومُبالطتهم إلى أن نكصوا على أعقابهم ، وزاجموا
ما هو أولى بهم .

(٦) قال أبو سليمان : لعاني المقولة بسيطة^(٣) في بحبوحة النفس ، لا يحوم
عليها شيء قبل الفكر ، فإذا لقيها الفكر بالذهن الوثيق والفهم الدقيق
التي ذلك إلى العبارة . والعبارة^(٤) حينئذ تتركب بين وزنٍ هو النظم للشعر ،
وبين وزنٍ هو سبّاقة [الحديث] ؛ وكلّ هذا راجع إلى نسبة صحيحة أو فاسدة ،

(١) في كلتا النسختين « على وجه وتأميل » ؛ وهو تعريف في كلتا الكلمتين .

(٢) في « ا » « مصالحتهم » ، وفي ب « مصالحتهم » ؛ وما أثبتناه هو أنسب بسياق العبارة .
والمسالطة معروقة . والمبالطة : المجالطة والمنازلة .

(٣) بسيطة ، أي مبسولة .

(٤) في « ا » : « إلى العائدة والغابرة » ؛ وهو تعريف .

وصورة حسناء أو قبيحة ، وتأليف مقبول أو مججوج ، وذوق خلوي أو مر^(١) وطريق سهل أو وع^(٢)ر ، واقتضاب مفضل أو سرود ، واحتجاج قاطع أو مقطوع ، وبرهان مسفر أو مظلم ، ومتناول بعيد أو قريب ، ومسموع مألوف أو غريب .

قال : فإذا كان الأمر في هذه الحال على ما وصفتنا فلنثر فضيلته [التي] لا تُنكر ، والنظم شره [الذي] لا يُجحد ولا يُستَر ، لأن منابِ الثر في مُقابلة منابِ النظم ، ومنابِ النظم في مُقابلة منابِ الثر ؛ والذي لا بد منه فيهما السَّلامة والدقة ، وتجنبُ العويص ، وما يحتاج إلى التأويل والتخليص .

وقد قال بعض العرب : خير الكلام ما لم يُحتج معه إلى كلام .
(٧) ووقف أعرابي على مجلس الأخفش فسمع كلام أهله في النخو وما يدخل معه ، غار وعجب ، وأطرق ووسوس ، فقال له الأخفش : ماتسمع يا أخا العرب ؟ قال : أراكم تتكلمون بكلامنا في كلامنا بما ليس من كلامنا .
وقال أعرابي آخر :

ما زال أخذهم في النحوي^(٢) يعني حتى سمعت كلام الزنج والرؤم .
وقال أبو سليمان : نخو العرب فطرة ، ونخونا فطنة ؛ فلو كان إلى الكمال سبيل لكانت فطرهم لنا مع فطنتنا ، [أو كانت فطنتنا لهم] مع فطرهم .

وقال : لما تميزت الأشياء في الأصول ، تلاقت ببعض التشابه في الفروع ، ولما تباينت الأشياء بالطباع ، تألفت بالمشكلة في الصنائع ، فصارت من

(١) في ١ : « أو كره » .

(٢) في كلتا النسخين : « يعجبي » ؛ وسياق البيت يقضي ما أمبنا .

حيث أفرقت مجتمعة ، ومن حيث أجمعت مفترقة ، لتكون تذكراً لله — عز وجل — آتية على كل شيء ، وحكمته موجودة في كل شيء ، ومشيلته نافذة في كل شيء .

وقد أئند بعض الأعراب ما يقتضى هذا المكان رسمه فيه ، لأنه موافق لما نحن فيه في ذكره ووصفه .

قال :

ما ذا لميت من المستعير بين ومن	تأسيس نحوهم هذا الذى ابتدعوا
إن قلت قافية فيه يكون لها	معنى يخالف ما قاسوا وما وضعوا
قالوا الحنت وهذا الحرف منخفص	وذلك نصب وهذا ليس يرفع
وحرشوا بين عبد الله واجتهدوا	وبين زيد وضال الضرب والوجه
إني نشأت بأرض لا تشب بها	نار المجوس ولا تبنى بها الميع
ولا يطأ القرد والخيزر ساحتها	لكن بها الميق والسيدان والصدع ^(١)
ما كل قولى معروف لكم خذوا	ما تعرفون وما لم تعرفوا فذعوا
كم بين قوم قد احتالوا لمنطقهم	وآخرين على إعرابهم طبعوا
وبين قوم رأوا شيئاً معاينة	وبين قوم رَوَوْا بعض الذى سمعوا

فهذا هذا .

وقال أبو سليمان : البلاغة ضرورية : فمنها بلاغة الشعر [ومنها بلاغة الخطابة]^(٢)

(٨)

(١) الميق : الظلم ، وهو ذكر النعام ، والسيدان : الذئاب ، الواحد سيد بكسر الهمزة والفتح .
والصدع من الوعول والظباء وحمر الوحش والإبل : الشاب الفقى .

(٢) لم ترد هذه التكلفة في كلتا النسخين ؛ وقد أئندناها لما سأتى بعد من الحديث عنها عند تفصيل هذه الأنواع .

[ومنها بلاغة النثر ، ومنها بلاغة المثل ، ومنها بلاغة العقل] ، ومنها بلاغة البديهة ، ومنها بلاغة التأويل .

قال : فأما بلاغة الشعر فأن يكون نحوه مقبولا ، والمعنى من كل ناحية مكشوقا ، واللفظ من الغريب بريئا ، والكناية لطيفة ، والتصريح احتجاجا ، والمؤانسة موجودة ، والمواهمة ^(١) ظاهرة .

وأما بلاغة الخطابة ^(٢) فأن يكون اللفظ قريبا ^(٣) ، والإشارة فيها غالبية ، والسجع عليها مستويا ، والوهم في أضعافها ساجحا ، وتكون فقرها قصارا ، ويكون ركابها شواردا إبل .

وأما بلاغة النثر فأن يكون اللفظ متناولا ^(٤) ، والمعنى مشهورا ، والتهذيب مستعملا ، والتأليف سهلا ، والمراد سليما ، والرواق عاليا ، والحواشي رقيقة ، والتفاني مصقولة ، والأمثلة خفيفة المأخذ ، والحوادي متصلة ، والآجيز مفعلة ^(٥) .

وأما بلاغة المثل فأن يكون اللفظ مقتضبا ، والحذف محتملا ، والصورة محفوظة ، والمرعى لطيفا ، والتلويح كافيا ، والإشارة مغمية ، والعبارة سائرة ^(٦) .

وأما بلاغة العقل فأن يكون نصيب المفهوم من الكلام أسبق إلى النفس من مسموعه إلى الأذن ، وتكون الفائدة من طريق المعنى أبلغ من ترصيع

(١) في ب : والمرامة ، وفي ا : والمراقبة ؛ وهو تحريف في كلتا النسختين .

(٢) في كلتا النسختين « الكتابة » ؛ وهو تحريف ، لما فيه من التكرار ، لأنه سيجلهم فيها بعد عن بلاغة النثر .

(٣) في كلتا النسختين : « غريبا » بالعين ؛ ولعل صوابه ما أثبتنا .

(٤) في كلا الأصلين : « متبدلا » ؛ وهو تحريف .

(٥) في ا : مقضاة ؛ وهو تحريف .

(٦) في ب : سافرة .

اللفظ ، وتقنية الحروف ، وتكون البساطة فيه أغلب من التركيب ، ويكون المقصود ملحوظاً في عرض السنن^(١) ، والرمح يتلقى بالوهم لحسن الترتيب .

وأما بلاغة البديهة فإن يكون أنحياش^(٢) اللفظ للفظ في وزن أنحياش^(٣) المعنى للمعنى ، وهناك يقع التعجب للسامع ، لأنه يهجم بفهمه على ما لا يُظن أنه يظفر به كمن يصتر بأمواله ، على غفلة^(٤) من تأميله ، والبديهة قدرة روحانية ، في جبلة بشرية ، كما أن الرؤية صورة بشرية ، في جبلة^(٥) روحانية .

وأما بلاغة التأويل فهي [التي] تُخوِّج لعموضها إلى التدبر والتدفع ، وهذان يفيدان من السموع وجوهاً مختلفة كثيرة نافعة ، وبهذه البلاغة يُتسع في أسرار [معاني] الدين والدنيا ، وهي [التي] تأولها العلماء بالاستنباط من كلام الله عز وجل وكلام رسوله — صلى الله عليه وسلم — في الحرام والحلال ، والحظر والإباحة ، والأمور والنهي ، وغير ذلك مما يكثر ؛ وبها تفاضلوا ، وعليها تجادلوا^(٦) ، وفيها تنافسوا ، ومنها استملأوا ، وبها أشتغلوا ؛ وأقد قدت هذه البلاغة لفقْد الروح كله ، وبطل الاستنباط أوْله وآخِرُه ، وجَوْلان النفس واعتصار الفكر إنما يكونان بهذا التَّمط في أعماق هذا الفن ؛

(١) وردت هذه الكلمة في أمثلة الحروف من النقط ، وفي ب « السبب » ؛ وهو غير واضح المعنى ، ولعل صواب ما أثبتنا . والسن : الطريق .

(٢) في ب : « اختلاس » ، ولم يبين معناه ؛ ولعله محرف عما أثبتنا .

(٣) في أ ، ب « غلة » ؛ وهو تحريف صواب ما أثبتنا كما يقتضيه السياق ، وفي (أ) أيضاً قبل هذه الكلمة قوله : « كن يعبر بقوله » ، وهو تحريف كذلك .

(٤) في كلتا النسخين « في حلية » ، وهو تصحيف .

(٥) في ب « يحاولوا » ؛ وهو تحريف .

وها هنا تَنَثَّلُ^(١) الفوائد ، وتكثرُ العجائب ، وتَتَلَاخُ الخواطر ، وتَتَلَاخُ المِعم ، ومن أَجْلِهَا يُسْتَعْمَنُ بِقُوَى^(٢) البلاغاتِ المتقدمةِ بالصِّماتِ الْمُثْمَلَةِ^(٣) ، حتى تكون مُعِينَةً ورافِدةً في إثارة المعنى المدفون ، وإثارة المراد المخزون .

وأمثلة^(٤) هذه الأبواب موجودة في الكتب ، ولولا ذلك لَرَسِمْتُ في هذا المكان لكل فنٍّ مثالا وَشَكَلْتُ شكلا ، ولو ضلْتُ ذلك لَكُنْتُ مُكْرِرًا لما قد سُبِقَ إليه ، ومتكلفًا ما قد لُقِّنَ من قبل . على أَنَّ الزُّهد في هذا الشَّأن قد وَضَعَ^(٥) عَنَّا وعن غيرنا مؤونةَ الخَوْضِ فيه ، والتعنى به ، والتوفُّر عليه ، وتقديمه على ما هو أَمُّ^(٦) منه ، أعني طلبَ القوتِ الذي ليس إليه سبيل إلا يَبِينُ الدِّينَ ، وإِخلاقِ المروءة ، وإِرافَةِ ماء الوجه ، وكَدُّ البدن ، [وتَجَرُّعِ الأُسى ، ومُتَاسَاةِ الحُرَّةِ ، ومَضَى الحِرْمانِ] ، والصَّبْرِ على ألوانٍ وألوان ؛ والله المُسْتَعْمَن .

وقد كان هذا البابُ يُتَنَافَسُ فيه أَوَّانَ كان للخلافَةِ بِهِجَّةٌ ، وللنِّبَاةِ عنها بَهَاءٌ ، وللذِّيانَةِ مُعْتَقِدٌ^(٧) ، وللرُّوَّةِ عَاشِقٌ . وللخَيْرِ مُنْتَوِزٌ ، وللصِّدْقِ مُؤَثِّرٌ ، وللأَدَبِ شُرَاةٌ^(٨) ، وللبيانِ سَوَقٌ ، وللصَّوابِ طَالِبٌ ، وفي العلمِ رَاغِبٌ ؛ فأما

(١) في أ « تنثال » ؛ وهو تحريف .

(٢) في ب « قوى » ؛ وهو تحريف .

(٣) في أ المشتملة ؛ وهو تحريف .

(٤) يظهر أن هذا وما بعده من كلام المؤلف لا من تلمة كلام أبي سليمان .

(٥) في أ « رضع » ؛ وهو تحريف .

(٦) في أ « أعم » ؛ وهو تحريف .

(٧) في ب « ممدد » ؛ وهو تحريف .

(٨) في كلتا النسختين « شارة » ؛ وهو تحريف .

[اليوم] واليدُ عنه^(١) مقبوضة ، والذَّيلُ دُونَهُ مشمَّرٌ ، والمَتَحَلَّى بِجَمَالِهِ مَطْرُودٌ ،
والمُبَاهَمِي بِشَرَفِهِ مُبْعَدٌ ، فَمَا يُصْنَعُ بِهِ ، وَلِلَّهِ أَمْرُهُ هُوَ بِالْفِعْ .

(١) وقال ابنُ دَأْبٍ : قال لي [ابن] موسى : اجتمعنا عند عبدِ المَلِكِ بنِ مَرْوَانَ فقال : أَيُّ الآدَابِ أَغْلَبُ عَلَى النَّاسِ ؟ فقلنا فأكثرنا في كل نوع : فقال عبد الملك : ما أُلْناس إلى شيءٍ أَحْوَجُ مِنْهُمْ إلى إقامةِ السَّنَةِ التي بها يتعاوَرُونَ القول ، وَيَتَعَاطَوْنَ البَيَانَ ، وَيَتَهَادَوْنَ الحُكْمَ ، وَيَسْتَخْرِجُونَ غَوَامِضَ العِلْمِ مِنْ خُجَابِهَا^(٢) ؛ وَيَجْعَمُونَ مَا تَفَرَّقَ مِنْهَا ؛ إِنْ السَّكَلَامَ فَارِقٌ لِلْحُكْمِ بَيْنَ الخُصُومِ ، وَضِيَاءٌ يَجْلُو ظُلَمَ الْأَغَالِيطِ ، وَحَاجَةٌ النَّاسِ إِلَيْهِ كَحَاجَتِهِمْ إِلَى مَوَادِّ^(٣) الْأَغْذِيَةِ .

وقد قال زهير :

لِسَانُ الْفَتَى نَعْفٌ وَنَعْفٌ فَوَادُهُ قَلَمٌ يَبْقَى إِلَّا صَوْرَةُ اللَّحْمِ وَالذَّمِّ

فقلنا : لَمْ يَقُلْهُ زُهَيْرٌ ، إِنَّمَا قَالَ زِيَادُ الْأَعْجَمِ ؛ فَقَالَ : لَا ، قَالَهُ مَنْ هُوَ أَعْظَمُ تَجَرِبَةً وَأَنْطَقُ لِسَانًا مِنْهُ^(٤) .

وقال أبو العِينَاء : سَمِعْتُ العَبَّاسَ بْنَ الحُسَيْنِ القَلْوَيْ يَعْفُ كَلَامَ رَجُلٍ [فقال] : كَلَامُهُ سَمِخٌ^(٥) سَهْلٌ ، كَأَنَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقُلُوبِ نَسَبٌ ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَيَاةِ

(١) عنه ، أى عن هذا الباب السابق ذكره ، وهو التأويل .

(٢) فى أ : مجانيها ؛ وهو تحريف .

(٣) فى أ : موارد ؛ وهو تحريف .

(٤) فى أ : قوله ؛ وهو تحريف .

(٥) فى ب : شيخ ؛ وهو تحريف .

سبب ؛ كأنما هو تُخَفِّفُ^(١) قادم ، ودواه مريض ، وواسطة قلادة .
ورأيتُ أبا إسحاق الصابي وهو يفتِّب من فضلي قرأه من كتاب وَرَدَ
عليه ، وهو : أشعر قلبك ياسَ مجاوز^(٢) السَّبيل ، مقصِّر عن الشَّوْط .
وقال ابنُ ذَكْوَان : سمعتُ إبراهيمَ بنَ العباس^(٣) الثَّوْلِيَّ يقول : ما سمعتُ
كلاماً مُخَدَّنًا أَجْزَلَ في رِقَّة ، ولا أَصْعَبَ في سُهولة ، ولا أبلغَ في إيجاز ، من
قَوْلِ العباسِ بنِ الأَحْتَف :

تَعَالَى نَجْدُ دَارِسِ المَهْدِ بَيْنَنَا كِلَانًا عَلَى طُولِ الجَفَاءِ مَلُومٌ
أَنَاسِيَّةٌ مَا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا وَقَاطِعَةٌ حَبْلُ الصَّفَاءِ ظَلُومٌ
وفي الجملة ، أحسنُ الكلامِ مَارَقٌ لَفْظُهُ ، وَلَطْفٌ مَعْنَاهُ ، وتلألًا رَوْنَقُهُ ،
وقامت صُورَتُهُ بَيْنَ نَظْمٍ كَأَنَّهُ نثر ، ونثرٍ كَأَنَّهُ نَظْمٌ ، يُطْبِعُ مشهودُهُ بالسَّمْعِ ،
وَيَمْتَنِعُ مقصودُهُ على الطَّبْعِ ؛ حَقٌّ إِذَا رَامَهُ مُرْبِغٌ^(٤) حَلَقٌ ، وَإِذَا حَلَقَ^(٥)
أَسْفٌ ، أَعْنَى يَبْعُدُ عَلَى المُحَاوِلِ بَعْنَفٍ ، وَيَقْرُبُ مِنَ المُتَنَاوِلِ بَلُطَفٍ .

وما رأيتُ أَحَدًا تَفَاهَى فِي وَصْفِ النثرِ بِمَجْمِيعِ مَا فِيهِ وَعَلَيْهِ غَيْرَ قَدَامَةِ
ابنِ جَعْفَرٍ فِي المِزَلَةِ الثَّالِثَةِ مِنْ كِتَابِهِ ؛ قَالَ لَنَا عَلِيٌّ بْنُ عَيْسَى الوَازِيرُ : عَرْضُ
عَلَى قَدَامَةِ كِتَابِهِ سَنَةَ عَشْرِينَ وَثَلَاثِينَ ؛ وَاخْتَبَرْتُهُ^(٦) فَوَجَدْتُهُ قَدِ الْبَلْغِ وَأَحْسَنَ ،
وَتَفَرَّدَ فِي وَصْفِ فُنُونِ البَلَاغَةِ فِي المِزَلَةِ الثَّالِثَةِ بِمَا لَمْ يَشْرِكْ فِيهِ أَحَدٌ مِنْ

(١) في ١ هـ حقه .

(٢) في ب هـ مجاوزًا للشك مقصراً عن القنوط ؛ وهو تحريف .

(٣) في ب هـ ابنُ ذَكْوَان ؛ وهو خطأ من الناسخ .

(٤) في أ هـ مربقع ؛ وهو تصحيف . وللمربغ : الطالب .

(٥) إِذَا حَلَقَ ، أَي المِربِغ .

(٦) وَرَدَتْ هَذِهِ الكَلِمَةُ فِي كِلَا النَسَخَتَيْنِ مَهْمَلَةً الحُرُوفِ مِنَ النَقْطِ .

طريق اللفظ والمعنى ، مما يدل على المختار المُجْتَنَّبِ وَالْمُعِيبِ الْمُجْتَنَّبِ . ولقد
شاكه^(١) فيه الخليل بن أحمد في وضع العروض ؛ ولكفى وجدته هين اللفظ ،
رَكِيكَ البلاغة في وصف البلاغة ، حتى كأن ما يصفه ليس ما يعرفه ،
وكان ما يدل به غير ما يدل عليه . والعرب تقول : [فلان] يدل
ولا يدل ، حكاه ابن الأعرابي ، وهذا لا يكون إلا من غزارة العلم ، وحسن
التصور ، وتوارد المعنى ، وقد الطبع ، وتصرف^(٢) القريحة . قال : ولولا
أن الأمر على ما ذكرت لكان ذلك الطريق الذي سلكه ، والفن الذي
ملكه ، والكنز الذي هجم عليه ، والنمط الذي ظفر به ؛ قد برز في
أحسن معرض ، وتحلى بالعلم كلام ، وماس في أطول ذيل ، وسفر عن
أحسن وجه ، وطلع من أقرب نفق ، وحلق في أبعد أفق .

وابن الراعي يقول كثيراً — وهو شيخ من جلة العلماء ، وله سهم واف
في زمرة البلغاء — : ما أحسن معونة الكلمات القصار ، المشتيلة على الحكم
الكبار ، لمن كانت بلاغته في صناعته بالقلم واللسان ، فإنها توافيه عند الحاجة ،
وتستجيب أخواتها على سهولة ؛ وهكذا مصارع أبيات الشعر ؛ فإنها تختلط
بالنثر متقطعة وموزونة ، ومنثرة ومنسودة .

قال [لى] ابن عبيد الكاتب : بلغني [هذا الوصف] عن هذا الشيخ ؛
فبلوته بالتنبع فوجدته على ما قال ؛ وما أشبه ما ذكره إلا بالضرورة^(٣) الأمددة

(١) في (١) « سأل » ؛ وهو تحريف .

(٢) في كلا الأصلين « وتصور » ؛ وهو تحريف .

(٣) في كلتا النسختين : « وقد برز » والواو زيادة من الناسخ كما هو ظاهر .

(٤) الصرة : كيس الغرام والدنانير ؛ والذي في كلا الأصلين « الجرة » ؛ وهو تحريف

لا يستقيم به الكلام .

عند الإنسان ، لما يحتاجُ إليه في الوقت المهم والأمر المُلِمُّ ؛ فهذا هذا .
فقال — أدام الله دولته ، وكبت أعداءه — : قدَّم هذا الباب [تقد
أتى] ^(١) على ما لم أظن أنه يؤتَى عليه ويُهتدى إليه — إذا شئتَ ؛ وأنصرفتُ .

الليلة السادسة والعشرون

ثم قال : وما أمثلةُ الكلماتِ القصارِ التي أوَّمتُ إليها ذلك الشيخ ؟
(١) فكان [من] الجواب : إنَّ هذا الباب واسع ، نحو قول القائل : ما خابَ من
أستخار ، ولا ندمَ من أستشار . كلُّ عزيزٍ دَخَلَ تحتَ القُدرةِ فهو ذليل .
غَنِمَ من أدبته الحكمة ، وأحكته التجربة . التضامن رائدُ القبايِن . للمرءِ
ما عاشَ في تجريب .

الدهرُ [يومٌ ويومٌ] والعيشُ عَذْلٌ ولَوْمٌ

* وأكثرُ أسبابِ النَّجاحِ مع اليأسِ *

من لم يُقدِّمه حَزْمٌ آخره عجز . كم مستدرجٌ بالإحسان إليه ، ومُفترٍ
بالبُسرِ ^(٢) عليه . الحربُ ^(٣) متلفَةٌ العباد ^(٤) مذهبٌ للطَّارِفِ والتَّلاذ .

* ليس المُقِلُّ عن الزَّمانِ براضى *

من ضاق صدرُهُ اتَّسعَ لسانه .

* وحسبك داءٌ أن تصحَّ وتسلم *

(١) هذه الكلمة لم ترد في كلا الأصلين ، وسياق الكلام يقتضى إنباتها .

(٢) في كلتا النسخين « بالسر » ؛ وهو تصحيف .

(٣) في (١) « الحزن » ؛ وهو تصحيف .

(٤) في (١) « العيال » ؛ وهو تحريف .

العِيَالُ سُوسُ الْمَالِ . الْمَوْتُ الْقَادِحُ خَيْرٌ مِنَ الزَّيِّ الْقَاضِحِ . احذَرُوا
فَقَادَ النَّعْمَ ، فَكُلُّ شَارِدٍ مُرْدُودٌ . خَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَطُهَا . يَكْفِيكَ مِنْ شَرِّ
سَمَاعِهِ . الْكَرِيمُ لَا يَلِينُ عَلَى قَسَرٍ ، وَلَا يُقْتَسَرُ عَلَى يُسْرٍ . مَا أَدْرَكَ النَّتَامُ
ثَارًا ، وَلَا تَحَارًا .

* وَمَنْ يَبْكُ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ أَعْتَذَرَ *

* إِنَّ الْمَطْلَمَ فَقْرٌ وَالْفَقْرُ الْيَأْسُ *

* وَالْأَمْرُ تَعَقُّرُهُ وَقَدْ يَنْمِي *

* [رُبَّ كَبِيرٍ هَاجَهُ صَغِيرُ *

* ذَهَبَ الْقَضَاءُ بِحِيلَةِ الْأَقْوَامِ] *

* وَقَدْ يُسْتَجْعَلُ الرَّجُلُ الْحَلِيمُ *

* وَإِذَا مَفَى شَيْءٌ كَانَ لَمْ يُفْعَلْ *

مَنْ عُرِفَ بِالْحِكْمَةِ لَاحِظَتُهُ الْعِيُونَ بِالْمِيزَةِ . الْبِطْنَةُ تَذْهَبُ الْفِطْنَةُ ، إِنَّ
الْمَقْدَرَةَ (١) تَذْهَبُ الْحَفِيزَةُ . مَنْ ثَقُلَ عَلَى صَدِيقِهِ خَفَّ عَلَى عَدُوِّهِ . زِيَادَةُ
لِسَانٍ عَلَى عَقْلِ خُدْعَةٌ ، وَزِيَادَةُ عَقْلِ عَلَى مَنَطِقٍ هُجْنَةٌ .

* وَحَاجَةٌ مِنْ عَاشٍ لَا تَنْفَعِي *

مَنْ أَطَاعَ هَوَاهُ ، أَعْطَى عَدُوَّهُ مُنَاهُ .

* عِنْدَ الشَّدَائِدِ تَذْهَبُ الْأَحْقَادُ *

إِحْذَرِ صَرَاعَاتِ الْبَغْيِ وَفَلَتَاتِ الْمُرَاحِ .

(١) كَذَا فِي بَعْضِ الْأَمْثَالِ لِلْبَيْهَقِيِّ ، وَالْقِيَاسُ فِي الْأَصُولِ «الظَّئِنَةُ تَذْهَبُ» الْخُ ، وَهُوَ
تَدْيِيلٌ مِنَ النَّاسِخِ .

* ومن يَسْأَلُ السُّلُوكَ أَيْنَ مَذَاهِبُهُ *

« المرءُ يَصْغِرُ لَا مَحَالَةَ »

ذُلُّ الطَّالِبِ بِقَدْرِ حَاجَتِهِ ، إِذَا أُرْزِحَ الْجَوَابَ خَفِيَ الصَّوَابُ . الْكَرِيمُ لِلْكَرِيمِ مُجِلٌ . مَوْتُ فِي قُوَّةٍ وَعِزٌّ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ فِي ذُلٍّ وَعِجْزٌ . عَدْلُ السُّلْطَانِ خَيْرٌ مِنْ خِصْبِ الزَّمَانِ . مَنْ تَوَقَّى سَلِيمٌ ، وَمَنْ تَهَوَّرَ نَدِيمٌ ، مَنْ أَسْرَعَ إِلَى النَّاسِ بِمَا يَكْرَهُونَ ، قَالُوا فِيهِ مَا لَا يَحْتَمِلُونَ . الضَّرُّ^(١) خَيْرٌ مِنَ الْقَاقَةِ ، عَيٌّ صَامِتٌ خَيْرٌ مِنْ عَيٍّ نَاطِقٍ . رُبَّمَا سَوَدَ الْمَالُ غَيْرَ السَّيِّدِ ، وَقَوَّى غَيْرَ الْأَيْدِ . وَهَلْ يَدْفَعُ رَبِّبٌ لِلنِّيَةِ الْحَيْلَ .

* الْمَوْتُ حَتْمٌ فِي رِقَابِ الْعِبَادِ *

كَفَى بِالْإِقْرَارِ بِالذَّنْبِ عُذْرًا ، وَبِرَجَاءِ الْقَفْرِ شَافِعًا . قَلِيلٌ يُوعَى ، خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ يُنْسَى ، لَيْسَ عَلَى طُولِ الْخِدْمِ^(٢) نَدَمٌ ، وَمَنْ وَرَاءَ الْمَرءِ مَا لَمْ يَعْلَمْ . مَرْوَةٌ تَنْظُرُ ظَاهِرَتَانِ : الرَّأْسُ^(٣) وَالْفَصَاحَةُ . مَنْ أَطَالَ الْأَمَلَ أَسَاءَ الْعَمَلَ . لَا تَكَلَّفْ مَا كُنَيْتَ ، وَلَا تُضَيِّعْ مَا وَلَيْتَ . احْتَمِلْ مِنْ أَدَلٍّ عَلَيْكَ ، وَأَقْبَلْ مِمَّنْ أَعْتَذَرَ إِلَيْكَ .

* إِنَّ الشَّجَاعَةَ مَقْرُونَةٌ بِهَا الْعَطَبُ *

* إِنَّ الْكِرَامَ عَلَى مَا نَابَهُمْ صَبْرٌ *

لَوْ سَكَتَ مَنْ لَا يَعْلَمُ سَقَطَ الْأَخْتِلَافُ . لَا عُذْرَ فِي عُذْرٍ . لَيْسَ مِنَ الْعَدْلِ

(١) فِي كِلْتَا النِّسَخَتَيْنِ « الصَّبْرُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي (أ) « الْحَيَاةُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي (أ) « الرِّيَاشُ » .

سُرْعَةُ الْمَدَل . أَتَبَحُّ عَلَى الْمُتَقَدِّرِينَ أَلَا تَنْتَقَام . شَرٌّ مِنَ الْمَوْتِ ، مَا يُتَسَقَّى لَهُ الْمَوْت . مِنْ جَاعٍ جَشِيع . الْمَكِيدَةُ فِي الْحَرْبِ أَيْلُغُ مِنَ النَّجْدَةِ . لَكَ مِنْ دُنْيَاكَ ، مَا أَصْلَحَ مَمْلُوكًا . مِنْ أَحَبِّ أَنْ يَطَاعَ ، لَا يَسْأَلُ مَا لَا يُسْتَطَاعَ ، إِذَا غَلَبَتْكَ نَفْسُكَ بِمَا تَفْظَنُ ، فَأَغْلِبْهَا بِمَا تَسْتَيْقِنُ . الرَّدُّ الْجَلِيلُ أَحْسَنُ مِنَ الْمَطْلِ الطَّوِيلِ . الْقَبْرِ خَيْرٌ مِنَ الْفَقْرِ . شَفِيعُ الْمَذْنِبِ إِقْرَارُهُ ، وَتَوْبَتُهُ أَعْتِذَارُهُ . صُخْبَةُ الْأَشْرَارِ ، تَوْرَثُ سُوءَ الظَّنِّ بِالْأَخْيَارِ ، لَا كَثِيرٌ مَعَ تَبْذِيرٍ ، وَلَا قَلِيلٌ مَعَ تَقْدِيرٍ . مِنْ صَانَ لِسَانَهُ نَجَا مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ .

- * وَلَرَبَّمَا نَفَعَ الْفَتَى كَذِبُهُ *
- * قَمَنْ يَمْدُلُ إِذَا ظَلَمَ الْأَمِيرُ *
- * إِذَا فَرَعَ الْفَوَادُ فَلَا رُقَادُ *
- * مَا الْعِلْمُ إِلَّا مَا وَعَاهُ الصَّدْرُ *
- * إِنَّ الْكَرِيمَ عَلَى الْإِخْوَانِ ذُو الْمَالِ *
- * إِنَّ الْفِرَارَ لَا يَزِيدُ فِي الْأَجْلِ *
- * إِنَّ الشَّفِيقَ بِسُوءِ ظَنِّ مُوَلَعٍ *

لَا تَبْلُ عَلَى أُمَّةٍ ، وَلَا تَنْفَسِ سِرَّكَ إِلَى أُمَّةٍ . إِذَا أَقْبَلَتِ الدُّنْيَا عَلَى الْمَرْءِ أَعَارَتْهُ مَخَاسِنَ غَيْرِهِ ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ عَنْهُ سَلَبَتْهُ مَحَاسِنَ نَفْسِهِ . فِي التَّجَارِبِ عِلْمٌ مُسْتَأْنَفٌ . قَدْ خَاطَرَ مَنْ اسْتَفْتَى بِرَأْيِهِ . عَلَيْكَ لِأَخِيكَ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِ لَكَ . الْحَقُّ ظِلٌّ ظَلِيلٌ . الْمَوَدَّةُ قَرَابَةٌ مُسْتَفَادَةٌ . مُعَدِّمٌ وَصُولُ خَيْرٍ مِنْ مُكْتَرٍ جَافٍ . مِنَ الْفَرَاغِ تَكُونُ الصَّبُورَةُ . مَنْ نَالَ اسْتِطَالَ . فِي تَقَلُّبِ الْأَحْوَالِ عِلْمُ جَوَاهِرِ الرِّجَالِ . الشُّكْرُ عِصْمَةٌ مِنَ النِّقْمَةِ . اللَّبُّ مِصْبَاحُ الْعِلْمِ . مَنْ رَكِبَ الصَّعْلَةَ ، لَمْ يَأْمَنْ الْكُتْبَةُ . إِزَالَةُ الرِّوَاسِي ، أَيْسَرُ مِنْ تَأْلِيفِ الْقُلُوبِ . قَارِبَ النَّاسِ فِي عَقُولِهِمْ ،

تَسْلَمُ مِنْ غَوَائِلِهِمْ ، وَتَرْتَعُ فِي حِدَائِقِهِمْ . عَاشِرُ أَخَاكَ بِالْحُسْنَى . ^١ الْحَسَدُ أَهْلَكَ
الْبَسَدَ . خَذَ عَلَى خَلَاتِكَ مِثَاقَ الصَّبْرِ . خَيْرُ مَا رُمْتُ مَا يُنَالُ .

• كُلُّ أَمْرٍ فِي شَأْنِهِ سَامِي •

[قد يُدْرِكُ الْمُتَأَنِّي بَعْضَ حَاجَتِهِ وقد يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ]

غَمْ الْفَقِيرُ لَا يَكْشِفُهُ إِلَّا الْمَوْتُ . خِيفَةُ الظُّلْمِ أَحَدُ الْيَسَارِينِ . أَصُولُ
الْأَسْقَامِ مِنْ فُضُولِ الطَّعَامِ . طَلَاقُ الدُّنْيَا مَهْرُ الْجَنَّةِ . مِنْ عِزِّ النَّفْسِ إِثَارُ
الْقَنَاعَةِ . التَّوَاضُّعُ بِالنِّقَى أَجَلُ ، وَالْكِبَرُ بِالْفَقْرِ أَسْمَحُ . مِنْ أَسْتَعَانَ بِغَيْرِ اللَّهِ
لَمْ يَزَلْ يَخْذُولَا . مَنْ لَمْ يَقْبَلْ مِنَ الدَّهْرِ مَا آتَاهُ طَالَ عَثْبُهُ عَلَى الدَّهْرِ .
عُجِبُ الرَّمْءِ بِنَفْسِهِ أَحَدُ حُسَادِ عَقْلِهِ . الْعَجْزُ وَالْقَوَانِي يُنْتِجَانِ الْفَاقَةَ . إِنْ
صَبَرْتَ صَبَرَ الْأَحْرَارُ ، وَإِلَّا سَلَوْتَ سُلُوَّ الْأَغَارِ . الْعِلْمُ بِالْعَمَلِ يَنُمُو . مَعَاشِرَةُ
الْإِخْوَانِ تَجْلُو الْبَصَرَ ، وَتَطْرُدُ الْفِكَرَ . لَا تُوحِشْكَ الْغُرْبَةُ مَا أُنِيتَ بِالْكَفَايَةِ ،
فَإِنَّ الْفَقْرَ أَوْحَشُ مِنَ الْغُرْبَةِ . الْغِنَى أَنْسُ فِي [غَيْرِ] ^(١) الْوَطَنِ . الْغِنَى فِي الْغُرْبَةِ
مَوْصُولُ ، وَالْفَقِيرُ فِي الْأَهْلِ مَصْرُومُ . أَوْحِشُ قَرِينِكَ إِذَا كَانَ فِي إِيحَاشِهِ
أَنْسُكَ . إِذَا أَيْسَرْتَ فَكُلُّ أَهْلِ أَهْلِكَ ، وَإِنْ أَعْسَرْتَ فَأَنْتَ غَرِيبٌ فِي قَوْمِكَ .
مِنْ أَخْلَاقِ الصَّبْيَانِ ، إِنْهُ الْأَوْطَانُ ، وَالْحَنِينُ إِلَى الْإِخْوَانِ . مَنْ لَمْ يَأْنَفْ ،
لَمْ يَشْرَفْ . خَيْرُ التَّوَدَّةِ مَا لَمْ تَكُنْ حِذَارَ عَادِيَةٍ ، وَلَا رَجَاءَ فَائِدَةٍ . مَنْ حَمَلَ
الْأُمُورَ عَلَى الْقَضَاءِ اسْتَرَاحَ فِي الْإِقْبَالِ وَالْإِدْبَارِ حَتَّى يَنْتَهِيَا . لَوْ أَسْتَحْسَنَ
النَّاسُ مَا أَسْرَبَهُ الْعَقْلُ اسْتَفْبَحُوا مَا نَهَى عَنْهُ الْعَقْلُ . أَقْدَرُ النَّاسِ عَلَى الْجَوَابِ

(١) لم ترد هذه الكلمة في كلتا النسخين ؟ والبيان يقتضيها ، ويقوى ذلك الكلمتان
السابقة واللاحقة .

من لا يَنْفُض . الكلامُ في وَقْتِ السَّكُوتِ عِيٌّ ، والسَّكُوتُ في وقت الكلام
خَرَسٌ . الممُّ يَهْدِمُ البَدَنَ ، وَيَنْفُضُ القَيْشَ ، وَيَقْرُبُ الأَجَلَ . الموتُ رَقِيبٌ
غَيْرُ غَافِلٍ . المرءُ نَهَبُ الحِوَاثِ . إِذَا تَمَّ القَتْلُ نَقَصَ الكلامُ . هَبَّ مَا أَنْكَرْتَ
لَمَّا عَرَفْتَ ، وَأَغْفَرَ مَا أَغْضَبَكَ لَمَّا أَرْضَاكَ . التَّيَّاسُ إِحْدَى الرَّاحَتَيْنِ . المَطْلُ
أَحَدُ القِذَايَيْنِ . السَّكَطُ مَرٌّ ، وَلَا يَتَجَرَّعُهُ إِلَّا خُرٌّ . الرَّأْيُ لَا يَصْلُحُ إِلَّا بِالشَّرِكةِ ،
وَالْمُلْكُ لَا يَصْلُحُ إِلَّا بِالتَّفَرُّدِ . من كَبُرَ عَنَصْرُهُ ، حَسُنَ مَحْضَرُهُ .

* وَلَرُبَّ مُطْمِئَةٍ ^(١) تَعُودُ رِيَاحًا .

* وَالْجَدُّ لَا يُشْتَرَى إِلَّا بِأَمْنَانِ .

* وَلَكِنْ نَكَ القَرْحُ بِالْقَرْحِ أَوْجَعُ .

من أَزْهَرَ بَقُولَ ، حَقِيقٌ أَنْ يُشْمَرَ بِفِعْلٍ . السَّلَامُ أَرْضَى لِلْبَالِ ، وَأَبْقَى
لِلنَّفُوسِ الرِّجَالَ . حَسْبُكَ مِنْ عَقْلِكَ مَا أَوْضَحَ غَيْبَكَ مِنْ رُشْدِكَ . التَّسْوِيفُ
بِطَاعَةِ اللَّهِ أَغْرَارٌ ، وَحَيَاةُ الْمَرْءِ كَالشَّيْءِ الْمَآرِ ^(٢) . من بَدَّلَ بَعْضَ عَنَائِهِ لَكَ ،
فَاجْتَلِ جَمِيعَ شُكْرِكَ لَهُ .

* وَلِلْخُرِّ مِنْ مَالِ الْكَرِيمِ نَصِيبٌ .

اليَوْمَ فِئْلٌ ، وَغَدًا ثَوَابٌ .

الْخَيْرُ مَخْتَارُ شَيْءِ الْمَطْلَبِ وَالشَّرُّ مَحْذُورُ كَرِيهِهِ مُجْتَنَبٌ

رُبَّ سَكُوتٍ مِنْ كَلَامٍ أَبْلَغُ وَرُبَّ قَوْلٍ مِنْ عَمُودٍ ^(٣) أَدْمَغُ

مَنْ سَلِمَ النَّاسُ عَلَى ^(٤) لِسَانِهِ أَصْبَحَ مَنْصُورًا عَلَى سُلْطَانِهِ

(١) في (١) « مطمئة » ؟ وهو تحريف .

(٢) في كلتا النسختين « اللعاده » ؟ وهو تحريف .

(٣) يريد بالعمود : الذي يضرب به في الحرب . (٤) على هنا بمعنى من .

من القليل يُجْتَمَعُ الكثيرُ رُبَّ صَغِيرٍ قَدَرُهُ كَبِيرُ
 من باع ما يَبْقَى بِمَا يَبْقَى غَنِمَ وَأَثَرَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَى نَدَمٌ
 قد يُحَرِّمُ الرَّاجِي وَيُعْطِي الْقَانِطَ وَيُبْعِدُ الْأَدْنَى وَيُذْنِي الشَّاحِطُ
 من لَمْ يَنْلِكِ الْبِرَّ^(١) فِي حَيَاتِهِ لَمْ تَبْكْ عَيْنَاكَ عَلَى وَفَاتِهِ
 الْمَالُ مَا تُنْفِقُ لَا مَا تَجْمَعُ وَالزَّرْعُ مَا تَحْصُدُ لَا مَا تَزْرَعُ
 يَارُبُّ هَزَلٍ كَانَ مِنْهُ الْجِدُّ وَرُبَّ مَزْحٍ كَانَ مِنْهُ الْحَقْدُ
 الْبَحْرُ مُسْتَغْنٍ عَنِ الْفَرَاتِ

قال — أدام الله أيامه — هذا فنٌّ مُوفٍ عَلَى الْغَايَةِ .

الليلة السابعة والعشرون

وقال — أدام الله أيامه — فِي لَيْلَةٍ أُخْرَى : كُنْتُ أَحِبُّ أَنْ أَسْمَعَ كَلَامًا^(١)
 فِي كُنْهِ الْأَتْفَاقِ^(٢) وَحَقِيقَتِهِ ، فَإِنَّهُ مَا يَحَارُّ الْعَقْلَ فِيهِ ، وَيَزِلُّ حَزْمُ الْحَازِمِ مَعَهُ ،
 وَأَحِبُّ أَيْضًا أَنْ أَسْمَعَ حَدِيثًا غَرِيبًا فِيهِ ؛ فَكَانَ مِنَ الْجَوَابِ : إِنَّ الرِّوَايَةَ فِي هَذَا
 الْبَابِ أَكْثَرُ وَأَشْئَى مِنَ الْأُطْلَاعِ عَلَى سِرِّهِ ، وَالظُّفَرُ بِمَكُونِهِ ؛ فَقَالَ : هَاتِ
 مَا يَتَعَلَّقُ بِالرِّوَايَةِ . قُلْتُ : حَكِي لَنَا أَبُو سَلِيحَانَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ أَنَّ ثِيُودُسِيُوسَ^(٣)
 مَلَكَ يُونَانَ كَتَبَ إِلَى كُنْتَسُ^(٤) الشَّاعِرِ أَنْ يَزُوْدَهُ^(٥) بِمَا عِنْدَهُ مِنْ [كُتُبٍ]

(١) فِي (١) « مَنْ لَمْ يَكُنْ لَكَزْ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) يَرِيدُ بِالْأَتْفَاقِ الْأُمُورَ الَّتِي تَحْدُثُ بِالْمُصَادَفَةِ .

(٣) فِي (١) « قَوْمُودُوس » ، وَفِي ب « تُوْدُوس » ؛ وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتَاهُ تَقْلًا عَنْ

كُتُبِ الْخَارِجِ . (٤) فِي كِلْتَا النُّسَخَتَيْنِ « إِنْقَس » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

..... ٩ ٩ ٩ ٩ ٩ ٩ ٩ ٩ ٩ ٩

فلسفية ؛ فجمع ماله في عَيْبَةٍ ضَخْمَةٍ ، وارتحل قاصداً نحوَه ، فلقى في تلك
البادية قوماً من قطاع الطريق ، فطمعوا في ماله وهُمُّوا بِقَتْلِهِ ، فنادى الله
أَلَا يَقْتُلُوهُ وَأَنْ يَأْخُذُوا مَالَهُ وَيُخْلَوْهُ ، فَأَبَوْا ، فتَحَيَّرَ ونَظَرَ بَينَهُمَا وشِياً لَا يَلْتَمِسُ
مُعِيناً وناصراً فلم يجد ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ ، ومدَّ طَرَفَهُ فِي الْمَوَاءِ ، فرَأَى
كَرَّاكِيَّ تَطِيرُ فِي الْجَوِّ مُحَامَةً ، فصاح : أَيُّهَا الْكَرَّاكِيُّ الطَّائِرَةُ ، قَدْ أَعْجَزَنِي
الْمَعِينُ وَالنَّاصِرُ ، فكوني الطَّالِبَةَ بِدَمِي ، وَالْآخِذَةَ بِثَأْرِي . فضحك اللصوص ،
وقال بعضهم لبعض : هَذَا أَتَقْصُ النَّاسَ هَقْلًا ، وَمَنْ لَا عَقْلَ لَهُ لَا جُنَاحَ فِي
قَتْلِهِ ؛ ثُمَّ قَتَلُوهُ وَأَخَذُوا مَالَهُ وَأَقْتَسَمُوهُ وَعَادُوا إِلَى أَمَاكِنِهِمْ ؛ فَلَمَّا اتَّصَلَ
الْحَدِيثُ بِأَهْلِ مَدِينَتِهِ حَزِنُوا وَأَعْظَمُوا ذَلِكَ ، وَتَبِعُوا أَثَرَ قَاتِلِهِ وَاجْتَهَدُوا فَلَمْ يُفْنُوا
شَيْئًا وَلَمْ يَقْفُوا عَلَى شَيْءٍ ؛ وَحَضَرَ الْيُونَانِيُّونَ وَأَهْلُ مَدِينَتِهِ إِلَى هَيْكَلِهِمْ لِقِرَاءَةِ
التَّسَابِيحِ وَالْمُذَاكِرَةِ بِالْحِكْمَةِ وَالْعِفَّةِ ، وَحَضَرَ النَّاسُ مِنْ كُلِّ قَطْرٍ وَأُذْبٍ ، وَجَاءَ
الْقَتْلَةُ وَاخْتَلَطُوا بِالْجَمْعِ ، وَجَلَسُوا عِنْدَ بَعْضِ أَسَاطِينِ^(١) الْهَيْكَلِ ، فَهُمْ عَلَى ذَلِكَ
إِذْ صَرَّتْ بِهِمْ كَرَّاكِيٌّ تَتَفَانَعِي وَتَصِيحُ ، فَرَفَعَ اللُّصُوصُ أَعْيُنَهُمْ وَوَجَّهَهُمْ إِلَى
الْمَوَاءِ يَنْظُرُونَ مَا فِيهِ إِذَا كَرَّاكِيٌّ تَصِيحُ وَتَطِيرُ ، وَتَسَدُّ الْجَوَّ ؛ فَتَضَاحَكُوا ، وَقَالَ
بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : هَؤُلَاءِ طَالِبُو دَمِ كُنْتَسُ الْجَاهِلِ — عَلَى طَرِيقِ الْاسْتِهْزَاءِ —
فَسَمِعَ كَلَامَهُمْ بَعْضُ مَنْ كَانَ قَرِيبًا مِنْهُمْ فَأَخْبَرَ السُّلْطَانَ فَأَخَذَهُمْ وَشَدَّدَ عَلَيْهِمْ ،
وَطَالَبَهُمْ فَأَقْرَعُوا بِقَتْلِهِ ، فَقَتَلَهُمْ ؛ فَكَانَتِ الْكَرَّاكِيُّ الطَّالِبَةُ بِدَمِهِ ، لَوْ كَانُوا
يَعْقِلُونَ أَنَّ الطَّالِبَ لَهُمُ بِالْمُرْصَادِ .

وقال لنا أبو سليمان : إِنْ كُنْتَسُ وَإِنْ كَانَ خَاطِبَ الْكَرَّاكِيِّ فَإِنَّهُ أَشَارَ
بِهِ إِلَى رَبِّ الْكَرَّاكِيِّ وَخَالِقِهَا ، وَلَمْ يُطِلَّ اللَّهُ دَمَهُ وَلَا سَدَّ عَنْهُ بَابَ إِجَابَتِهِ ؛

(١) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ « أَسَاطِير » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

فسبحانه كيف يهتئ الأسباب، ويفتح الأبواب، ويرفع الحجاب بعد الحجاب .

فقال : هذا محجب :

قلتُ : قال لنا أبو سليمان : كل ما جهل سببه من ناحية الحسن بالعادة ، ومن ناحية الطبيعة بالإمكان ، ومن ناحية النفس بالتهيئة ، ومن ناحية العقل بالتجريد ، ومن ناحية الإله بالتوفيق — فهو متعجب منه ، معجوز عنه ، مسلم لمن له القدرة المحيطة ، والمشيئة النافذة ، والحكمة البالغة ، والإحسان السابق .

ولقد حكى أبو الحسن الفَرَضِيُّ في أمر الاتفاق شيئاً ظريفاً عن بعض إخوانه (٢) قال : خرجنا إلى بعض المتنزهات ومعنا جرّ (١) نصيد به السمائي ، وكنا جماعة ، فقال حدث كان معنا — وكان أصغرنا سناً — : أتم تصيدون بجرّ (١) ، وأنا أصيد بيدي ؛ يقول ذلك على جهة الترحح ؛ فرمى بعد قليل فاتفق له أن أثار سمائي ، فأسرع إليه ونحن لا نعلم أنه أخذ شيئاً ، فقلنا له على طريق العبث : إحدّر الخنزير — من غير أن نكون رأينا خنزيراً — فالتفت فرعاً وفر (٢) مؤلياً ، فاتفق له أن رأى خنزيراً منه غير بعيد ، فأقبل إلينا مسرعاً هارباً من الخنزير والسمائي بيده وقد صاده .

وكنيت في البداية في صفر سنة أربع وخمسين منصرفاً من الحج ومع (٣) جماعة من الصوفية ، فلحقنا جهداً من عوز القوت وتعدّر ما يُمسك الروح في

(١) الجرّ : الحبل . وفي نسخة : « جر » ، وهو الحبل الذي يجر به أيضا .

(٢) وردت هذه العبارة في كلا الأصلين مهمة أكثر حروفها من النقط ، وما أثبتناه هو أقرب الوجوه إلى ما في الأصول من الرسم وما يقتضيه السياق من الكلام .

(٣) في الأصل : « وبقى » ؛ وهو تحريف .

حديث طويل — إلا أنا وصلنا من زُبالة^(١) — بالحيلة اللطيفة منا ، والصنع الجليل من الله تعالى — إلى شيء من الدقيق ؛ فانتعشت أنفسنا به ، وغَنَمناه ، ورأيناه نفعه من نفعات الله تعالى الكريم ؛ فجعلناه زادنا ، ومِرْنا ؛ فلما بلغنا المنزل قعدنا لنأرس ذلك الدقيق ، ولَقَطْنَا البَرمَ ودُقَاقَ الحَطَبِ ، فلما أَجْمَعْنَا على العَجْنِ والملكِ^(٢) لم نجد الحُرَاقَ^(٣) — وكان عندنا أَنَّهُ معنا ، وأننا قد أسْتَظْهَرْنَاهُ^(٤) — فدخلتْنا حَيْرَةٌ شديدة ، وركبْنَا غَمًّا غَالِبًا ، وسَفَفْنَا من ذلك الدقيق شيئًا ، فساغ ولا قَبَلَتْهُ الطَّبِيعَةُ ، وبِتْنَا لَيْلَتْنَا طَاولِينَ سَاهِرِينَ ، قد علانا الكُمدُ ، وملَكْنَا الوجُومَ والأسف ؛ فقال بعضنا : هذا لما وَجَدْنَا الدقيق ؟ ! وأصْبَحْنَا ورُكْبًا قد اسْتَرْخَتْ ، وعيوننا قد غارت ، وأحدنا لا يحدث صاحبه غَمًّا وكرها ؛ وهدنا إلى ما كنا فيه قبلُ بزيادةِ حَسْرَةٍ من النَّظَرِ إلى الدقيق ؛ وقال صاحبنا لنا : رَمَى بِجَرَابِ الدَّقِيقِ [حَتَّى نُلْقَى جِلْمَهُ وَثِقَلَهُ فِي طَوْلِ هَذَا الطَّرِيقِ] ؛ فقلنا : ليس هذا بصواب ، وما يضرنا أن يكون معنا ، فلملنا أن نَرَى رُكْبًا أو نَلْقَى حَطَبًا . وكانت الباديةُ خَالِيَةً في ذلك الوقت ، رُغْبٍ لِحَقِّ قَوْمًا من بنى كَلَابٍ من جهة أَعْدائِهِمْ ، فلم يكن يجتازُ بها [في ذلك الوقت] غريب . وبقينا كذلك إلى اليوم الثالث ، ونحن نَلَاحِظُ^(٥) ونُجَاهِدُ أنْشَى ؛ فلما كَانَ الْمُعْصِرُ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ كُنْتُ أُسِيرُ أَمَامَ الْقَوْمِ أَجْرَهُمْ^(٦) وأسألمُ ،

(١) زبالة : بلد بالطريق من الكوفة إلى مكة .

(٢) الملك : إتمام العجن .

(٣) الحراق : ما تقع فيه النار عند اقتداحها من خرق ونحوها .

(٤) قد استظهرناه ، أى جعلناه معنا فوق أظهرنا .

(٥) في كلنا النسخين « نراجع » ؛ وهو تصحيف لا معنى له .

(٦) في كلنا النسخين « أجروهم » ؛ وهو تحريف .

وكنْتُ كالخاطب^(١) لهم : « إذا عَثَرْنَا بِحُرَاقٍ^(٢) وَظَفَرِنَا بِفَتِيلَةٍ » ؛ فَوَجَدُوا خِرْقَةً مَلْفُوفَةً فِيهَا حُرَاقٌ ، فَهَلَّلُوا وَكَبَّرُوا ، وَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ ؛ فَقُلْتُ كَالْمَتَعَجَّبِ : مَا الْخَيْرُ ؟ قَالُوا : الْبُشْرَى ؛ قُلْتُ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالُوا : هَذِهِ خِرْقَةٌ مُلِثْتُ حُرَاقًا ، فَلَا تَسْلُ عَمَّا دَهَانَا مِنَ الْفَرَحِ وَالِاسْتَبْشَارِ ؛ وَثَابَ إِلَيْنَا مِنَ السُّرُورِ وَالِارْتِيَاحِ ، وَزَالَ عَنَّا مِنَ الْأَنْخِزَالِ وَالْأَنْكَسَارِ ، وَقَعَدْنَا فِي مَكَانِنَا ذَلِكَ ، وَلَقَعْنَا الْبَحْرَ ، وَأَثَرْنَا الْوُتُودَ ، وَأَجَجْنَا نَارًا عَظِيمَةً ، وَمَلَكْنَا^(٣) الدَّمِيقَ كُلَّهُ مَلَكَةً وَاحِدَةً وَكَانَ أَرْبَعِينَ رِطْلًا ، وَكَانَ ذَلِكَ بِلَاغِنَا إِلَى الْقَادِسِيَّةِ ؛ فَلَمَّا دَنَوْنَا مِنْهَا تَلَقَّانَا بَشَرٌ مِنْ أَهْلِهَا ، وَقَالُوا لَنَا : كَيْفَ سَلِمْتُمْ فِي هَذِهِ الطَّرِيقِ مَعَ التَّوَزِّ وَالْخَوْفِ ؟ قُلْنَا : لُطْفُ اللَّهِ يُقَرِّبُ كُلَّ بَعِيدٍ ، وَيَسَهِّلُ كُلَّ شَدِيدٍ ، وَيَصْنَعُ لِلضَّعِيفِ حَقِّي يَتَمَجَّبُ الْقَوَى .

وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَجِدُ هَذَا الْقَوْلَ ، وَيُنْكِرُ هَذَا الْفَضْلَ ، وَيَرْجِعُ إِلَى دِينٍ وَثِيقٍ أَوْ وَاوٍ (إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ) .

وَحَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ هَارُونَ الزَّيْنَجَانِيُّ الْقَاضِي صَاحِبُ اللَّذْهَبِ قَالَ : اصْطَلَحَ رَجُلَانِ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ مَسَافِرَيْنِ : مَجُوسِيٌّ مِنْ أَهْلِ الرَّيِّ ، وَالْآخَرُ يَهُودِيٌّ مِنْ أَرْضِ جَيْ^(٤) ؛ وَكَانَ الْمَجُوسِيُّ رَاكِبًا بَغْلَةً لَهُ عَلَيْهَا سُرَّةٌ^(٥) مِنْ الزَّادِ وَالنَّفَقَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَهُوَ سِيرُ مَرْفَعًا وَادِّعَا ، وَالْيَهُودِيُّ يَمْشِي بِلَا زَادٍ وَلَا نَفَقَةٍ ؛ فَبَيْنَا هُمَا يَتَحَدَّثَانِ إِذْ قَالَ الْمَجُوسِيُّ لِلْيَهُودِيِّ : مَا مَذْهَبُكَ وَعَقِيدَتُكَ

(١) في (ب) « كَالخَاطِبِ » .

(٢) في كلتا النسختين « نَحْنُ » ؛ وَفِيهِ تَحْرِيفٌ وَنَقْصٌ ؛ وَبِمِيقَاتِ الْكَلَامِ يَفْتَضِي مَا أَتَيْنَا .

(٣) في الأصل : « وَمَلَكْنَا ... مَلَّةً » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) في كلتا النسختين « حِي » بِالْمُهْمَلَةِ ، وَهُوَ تَصْغِيرُ . وَهِيَ : مَدِينَةُ بَنَاجِيَةِ أَصْبَهَانَ تَسْمَى

الْآنَ شِهْرِسْتَانَ ، وَكَانَ الْيَهُودُ عَمَلَةٌ فِي طَرَفِهَا ، فَلَمَّا خَرِبَتْ حِي بَقِيََتْ عَمَلَتُهُمْ ، وَهِيَ الْيَهُودِيَّةُ .

(٥) في كلتا النسختين : « فِي سَفَرِهِ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

يا فلان ؟ قال اليهودي : أَعْتَقِدُ أَنَّ فِي هَذِهِ السَّمَاءِ إِلَهًا هُوَ إِلَهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَأَنَا
أَعْبُدُهُ وَأُقَدِّسُهُ وَأُضَرِّعُ إِلَيْهِ ، وَأَطْلُبُ فَضْلَ مَا عِنْدَهُ مِنَ الرِّزْقِ الْوَاسِعِ وَالْعَمْرِ
الطَوِيلِ ، مَعَ صِحَّةِ الْبَدَنِ ، وَالسَّلَامَةِ مِنْ كُلِّ آفَةٍ ، وَالتَّصَرُّفِ عَلَى عَدُوِّي ،
وَأَسْأَلُهُ الْخَيْرَ لِنَفْسِي وَلِمَنْ يُوَافِقُنِي فِي دِينِي وَمَذْهَبِي ، فَلَا أَغْبَأُ بِمَنْ يُخَالِفُنِي ، بَلْ
أَعْتَقِدُ أَنَّ مَنْ يُخَالِفُنِي دِمَّتْ لِي يَحِلُّ ، وَحَرَامٌ عَلَيَّ نُصْرَتُهُ وَنَصِيحَتُهُ وَالرَّحْمَةُ بِهِ .
ثُمَّ قَالَ لِلْجَوْسِيِّ : قَدْ أَخْبَرْتُكَ بِمَذْهَبِي وَعَقِيدَتِي وَمَا أَشْتَمَلُ عَلَيْهِ ضَمِيرِي ،
فَخَبِّرْنِي أَنْتَ أَيْضًا عَنْ شَأْنِكَ وَعَقِيدَتِكَ وَمَا تَدِينُ بِهِ زَهَبَكَ ؟ فَقَالَ الْجَوْسِيُّ : أَمَّا
عَقِيدَتِي وَرَأْيِي فَهُوَ أَنِّي أُرِيدُ الْخَيْرَ لِنَفْسِي وَأَبْنَاءِ جِنْسِي ، وَلَا أُرِيدُ لَأَحَدٍ مِنْ
عِبَادِ اللَّهِ سُوءًا ، وَلَا أَتَمَنَّى لَهُ ضَرًّا ، لَا لِمُوَافِقِي ، وَلَا لِمُخَالِفِي . فَقَالَ الْيَهُودِيُّ :
وإِنْ ظَلَمْتُكَ وَتَمَدَّدْتُ عَلَيْكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، لِأَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ فِي هَذِهِ السَّمَاءِ إِلَهًا خَبِيرًا
عَالِمًا حَكِيمًا لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ مِنْ شَيْءٍ ، وَهُوَ يَجْزِي الْمُحْسِنَ بِإِحْسَانِهِ ، وَالْمُسِيءَ
بِإِسَاءَتِهِ . فَقَالَ الْيَهُودِيُّ : يَا فُلَانُ ، لَسْتُ أَرَاكَ تَنْصُرُ مَذْهَبَكَ وَتُحَقِّقُ رَأْيَكَ .
قَالَ الْجَوْسِيُّ : كَيْفَ ذَاكَ ؟ قَالَ : لِأَنِّي مِنْ أَبْنَاءِ جِنْسِكَ ، وَبَشَرٌ مِثْلُكَ ، وَتَرَانِي
أَمْشِي جَانِمًا نَصَبًا مَجْهُودًا ، وَأَنْتَ رَاكِبٌ وَادِعٌ مَرْفَعٌ شَبْعَانٌ . فَقَالَ : صَدَقْتَ ،
وَمَاذَا تَبْقَى ؟ قَالَ : أَطْمَئِنُّ مِنْ زَادِكَ ، وَأَحْلِي سَاعَةً ، فَقَدْ كَلَّمْتُ وَضَمَمْتُ .
قَالَ : نَعَمْ وَكَرَامَةً . فَتَزَلْ وَمَدَّ مِنْ سَفَرَتِهِ وَأَطْعَمَهُ وَأَشْبَعَهُ ، ثُمَّ أَرْكَبَهُ ، وَمَشَى
سَاعَةً يَحْدِثُهُ ؛ فَلَمَّا مَلَكَ الْيَهُودِيُّ الْبَقْلَةَ وَعَلِمَ أَنَّ الْجَوْسِيَّ قَدْ أَغْيَا ، حَرَّكَ الْبَقْلَةَ
وَسَبَقَهُ ، وَجَعَلَ الْجَوْسِيَّ يَمْشِي وَلَا يَلْحَظُهُ ، فَنَادَاهُ : يَا فُلَانُ ، قِفْ لِي وَأَنْزِلْ ،
فَقَدْ أَنْهَسَرْتُ وَأَنْتَهَرْتُ . فَقَالَ الْيَهُودِيُّ : أَلَمْ أُخْبَرْكَ عَنْ مَذْهَبِي وَخَبَرْتَنِي عَنْ
مَذْهَبِكَ ، وَنَصْرَتِهِ وَحَقَّقْتَهُ ؟ فَأَنَا أُرِيدُ أَيْضًا أَنْ أَحَقِّقَ مَذْهَبِي ، وَأَنْصُرَ رَأْيِي
وَأَعْتِقَادِي . وَجَعَلَ يَحْرِّكُ الْبَقْلَةَ ، وَالْجَوْسِيُّ يَقْفُوهُ عَلَى ظِلِّهِ وَيُنَادِي : قِفْ

يا لهذا وأحلى ، ولا تترُكني في هذا الموضع فَيَا كَلْفَى السَّعْمُ وَأَمُوتَ ضَيَاعًا ،
وأزحني كما رَحِمْتُكَ . واليهودى لا يُلوِي على نِدَائِهِ وَأُسْتِفَاتِهِ ، حتَّى غَابَ
عن بَصَرِهِ ؛ فلَمَّا يَنَسَّ الجوسى منه وَأَشْفَى على المَلَكَةِ ، ذَكَرَ اعْتِقَادَهُ
وَمَا وَصَفَ بِهِ رَبَّهُ ، فَرَفَعَ طَرَفَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ : إِلَهَى تَدْعِلْتِ أَنَى اعْتَقَدْتُ
مَذْهَبًا وَنَصْرَتُهُ ، وَوَصَفْتُكَ بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ ، وَقَدْ سَمِعْتَ وَعِلِمْتَ ، فَحَقَّقَ عِنْدَ
هَذَا الْبَاغَى عَلَى مَا تَجَدَّدْتُكَ بِهِ ، لِيَتَلَمَّ حَقِيقَةَ مَا قُلْتُ . فَمَا مَشَى الجوسى إِلَّا
قَلِيلًا حتَّى رَأَى الْيَهُودَى وَقَدْ رَمَتْ بِهِ الْبَغْلَةَ ، وَأَنْدَقَّتْ عُنُقَهُ ، وَهِيَ وَاقِفَةٌ نَاحِيَةً
مِنْهُ تَنْتَظِرُ صَاحِبَهَا ؛ فَلَمَّا أَدْرَكَ الْجُوسَى بَغْلَتَهُ رَكَبَهَا وَمَضَى لِسَبِيلِهِ ، وَتَرَكَ
الْيَهُودَى مُمَالِجًا لِكَرْبِ الْمَوْتِ ؛ فَنَادَاهُ الْيَهُودَى : يَا فُلَانُ ، إِرْحَنِي وَاحِلْنِي
وَلَا تَتْرُكْنِي فِي هَذِهِ الْبَرِّيَةِ أَهْلِكُ جُوعًا وَعَطَشًا ، وَانْصُرْ مَذْهَبَكَ ، وَحَقِّقْ
أَعْتِقَادَكَ . قَالَ الْجُوسَى : قَدْ فَعَلْتُ ذَلِكَ مَرَّتَيْنِ ، وَلَكِنَّكَ لَمْ تَفْهَمْ مَا قُلْتُ لَكَ
وَلَمْ تَفْعَلْ مَا وَصَفْتُ . فَقَالَ الْيَهُودَى : وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : لِأَنى وَصَفْتُ لَكَ
مَذْهَبِي فَلَمْ تَصْدَقْنِي فِي قَوْلِي ، حتَّى حَقَّقْتُهُ بِفِعْلِي ، وَذَاكَ أَنى قُلْتُ : إِنْ فِي هَذِهِ
السَّمَاءِ إِلَهًا خَيْرًا عَادِلًا لَا يَخْنِي عَلَيْهِ شَيْءٌ ، وَهُوَ وَلِىُّ جَزَاءِ الْحَسَنِ ^(١) بِإِحْسَانِهِ ،
وَالسُّيِّئِ بِإِسَاءَتِهِ . قَالَ الْيَهُودَى : قَدْ فَهَمْتُ مَا قُلْتَ ، وَعِلِمْتُ مَا وَصَفْتُ . قَالَ
الْجُوسَى : فَمَا الَّذى مَنَعَكَ مِنْ أَنْ تَنْتَمِظَ بِمَا سَمِعْتَ ؟ قَالَ الْيَهُودَى : اعْتِقَادُ
نَشَأْتُ عَلَيْهِ ، وَمَذْهَبُ تَرَبُّيْتُ بِهِ ، وَصَارَ مَالُومًا مُعْتَادًا كَالْحَبِيبَةِ بِطُولِ الدَّاءِ
فِيهِ ، وَأُسْتِمَالِ أَيْنِيَّتِهِ ^(٢) ، اقْتِدَاءً بِالْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ وَالْمُعَلِّمِينَ مِنْ أَهْلِ دِينِي
[وَمِنْ أَهْلِ] مَذْهَبِي ، وَقَدْ صَارَ ذَلِكَ كَالْأُسِّ الثَّابِتِ ، وَالْأَصْلِ الثَّابِتِ ؛

(١) عبارة (١) جزاء المحسنين ويكلف السيئين .

(٢) اينيته ، أى أصوله التى أبى عليها . وفى (١) « بقته » ؛ وهو تحريف .

وَيَضُئُ^(١) مَا هَذَا وَصَنُهُ أَنْ يُتْرَكَ وَيُرْفَضَ وَيُزَال . فَرَحِمَهُ الْجُوسَى ، وَحَلَهُ مَعَهُ حَقٌّ وَأَقَى الْمَدِينَةَ ، وَسَلَّمَهُ إِلَى أَوْلِيَائِهِ مَحْطَمًا مُوجِعًا ، وَحَدَّثَ النَّاسَ بِحَدِيثِهِ وَقِصَّتِهِ ، فَكَانُوا يَتَعَجَّبُونَ مِنْ شَأْنِهِمَا زَمَانًا [طويلا] .

وَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ لِلْجُوسَى * [بَعْدُ] : كَيْفَ رَحِمْتَهُ بَعْدَ خِيَانَتِهِ لَكَ ، وَبَعْدَ إِحْسَانِكَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ الْجُوسَى : اِعْتَذَرَ بِحَالِهِ الَّتِي نَشَأَ فِيهَا ، وَدَأَبَ عُمْرِهِ فِي اعْتِمَادِهَا ، وَسَمِيَ لَهَا وَأَعْتَادَهَا ؛ وَعَلِمْتُ أَنَّ هَذَا شَدِيدُ الزَّوَالِ عَنْهُ ، وَصَدَّقْتُهُ وَرَحِمْتَهُ ، وَهَذَا مِنْ شُكْرٍ عَلَى صُنْعِ اللَّهِ بِي حِينَ دَعَوْتُهُ عِنْدَ مَا دَهَانِي مِنْهُ ، وَبِالرَّحْمَةِ الْأُولَى أَعَانَنِي رَبِّي ، وَبِالرَّحْمَةِ الثَّانِيَةِ شَكَرْتُهُ عَلَى مَا صَنَعَ بِي .

هَذَا كُلُّهُ سَرْدَنَاهُ لِسَبَبِ الْأَمْرِ الَّذِي يَبْدُو مِنْ غَيْرِ جَنَانٍ ، وَالْعَارِضِ الَّذِي يَبْزُزُ مِنْ غَيْرِ تَوْهَمٍ .

وَأَبُو سُلَيْمَانَ يَقُولُ : الْأُمُورُ مَقْسُومَةٌ عَلَى الْحُدُودِ الطَّبِيعِيَّةِ وَالْقَوَى النَّفْسِيَّةِ وَالْبَسَائِطِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْفَرَائِبِ الْإِلَهِيَّةِ ؛ فَبِالْوَاجِبِ ، مَا كَانَ هَاهُنَا مَأْلُوفًا لَهُ نِسْبَةً إِلَى الطَّبِيعَةِ ، وَنَادِرًا لَهُ نِسْبَةً إِلَى النَّفْسِ ، وَبَدِيعًا لَهُ نِسْبَةً إِلَى الْعَقْلِ ، وَغَرِيبًا لَهُ نِسْبَةً إِلَى الْإِلَهِ ؛ وَالْفَلَتَاتُ فِي الْأَحْوَالِ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ ، أَغْنَى مَا يَتَخَلَّلُ هَذِهِ الصَّرَافِ .

مَقَالَ [لَهُ] الْبَخَارِيُّ : أَيْقَالَ لَمَّا يَعْدُرُ عَنِ الْإِلَهِ فَلْتَةً ؟ قَالَ : بِحَسَبِ مَصِيرِهِ إِلَيْنَا ، وَوَصُولِهِ إِلَى عَالَمِنَا ، لَا بِحَسَبِ صُدُورِهِ عَنِ الْبَارِي ، فَلَيْسَ هُنَاكَ هَذَا [لَا] مَا يُشَبِّهُ ، لِأَنَّ هَذِهِ السَّمَاتِ لَحِقَّتِ الْمُرَكَّبَاتِ ، مِنَ الْأَوَائِلِ

(١) فِي (١) وَيَغْبِى ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

الْمُزْدَوِجَاتُ^(١)، والثَوافِي الْمَكْرَرَاتُ، والثَوَالِثُ الْمُحَقَّقَاتُ، والرَّوَابِعُ الْمُتَمَّمَاتُ،
والخَوَامِسُ الْمُدْرَبَاتُ، والسَّوَادِسُ الْمَضَاعَفَاتُ، والسَّوَابِعُ الظَّاهِرَاتُ، والثَوَامِنُ
الْمُعْقَبَاتُ، والتَّوَاسِعُ الْعَالِيَّاتُ، والعَوَاشِرُ الْكَامِلَاتُ؛ وما بَعْدَ الْعَوَاشِرِ دَاخِلٌ
فِي الْمَكْرَرَاتِ.

قال له البخاريّ مستزيذاً: أكان^(٢) التَّوْفِيقُ مِنَ الْإِتِّفَاقِ؟ فقال: هما
يتوَحَّدَانِ مِنْ وَجْهِ، وَيَفْتَرِقَانِ مِنْ وَجْهِ؛ فَوَجْهُهُ تَوَحُّدُهُمَا أَنَّ الْإِتِّفَاقَ وَلِيدُ
التَّوْفِيقِ، وَالتَّوْفِيقَ غَايَةُ الْإِتِّفَاقِ؛ وَوَجْهُهُ افْتِرَاقُهُمَا أَنَّ الْإِتِّفَاقَ يَبْزُزُ إِلَى الْحَسَنِ،
وَأَصْحَابُهُ يَشْتَرِكُونَ فِي التَّعَجُّبِ مِنْهُ، وَالِاسْتِطْرَافِ لَهُ؛ وَالتَّوْفِيقَ يُسْتَرُّ عَنْ
الْحَسَنِ؛ وَلِهَذَا لَا تُسَلِّكُ^(٣) مَسَالِكُهُ. وَأَمَّا الْوَفَاقُ وَالْمُوَافَقَةُ وَالتَّوْفِيقُ وَالْإِتِّفَاقُ
فَتَلَابِسَةُ الْمَعْنَى؛ وَلَمَّا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْمَعْنَى وَالْمَعْنَى مَسَافَةٌ مُحْصَلَةٌ^(٤) حُسِبَ هَذَا
فِي حَيْزِ هَذَا، وَعُدَّ هَذَا فِي مُجْلَةٍ هَذَا.

وقال — أَبْقَاهُ اللَّهُ وَأَدَامَ أَيْامَهُ — : مَا الْيُمْنُ وَالْبَرَكَةُ؟ وَالْقَائِلُ وَالطَّيْرَةُ^(٥)
وَأَضْدَادُهَا؟

مكان الجواب: إِنَّ الْيُمْنَ عِبَارَةٌ عَنْ شَيْءٍ يَبْشُرُ بِهِ [وَيُبْتَنَى]^(٥) وَيُرَادُ؛
وَيَقَالُ: فَلَانٌ يُمْنُونَ النَّاصِيَةَ، وَمَيَسُورُ النَّاصِيَةِ؛ أَيْ هُوَ سَبَبٌ ظَاهِرٌ فِي نَيْلِ
مَأْمُولٍ وَإِذْرَاقٍ مَحْبُوبٍ؛ وَاشْتِقَاقُهُ مِنَ الْيَمِينِ، وَهُوَ الْقُوَّةُ؛ وَلِذَلِكَ يَقَالُ لِلْيَسَارِ:
شِمَالٌ، لِأَنَّهُا أَضَعَفُ مِنْهَا، وَتُسَمَّى أَيْضاً: الشُّوْمَى. وَيَقَالُ: يُمْنُ فَلَانٌ عَلَيْهِمْ،

(١) لعله «التوحيّدات».

(٢) في (١) «فإن التوفيق»؛ وهو تحريف. ومهزة الاستفهام لم ترد في الأصول.

(٣) التي في كلتا النسخين «فهذا لا يأل مالكة».

(٤) في (١) «خاصة».

(٥) في (١) «ما يراد ويبتنى».

وَشُرُومَ ، وهو ميمونٌ ومشثومٌ ؛ جُصِلَ الفِعْلُ على طريقِ ما لم يُسَمَّ فاعِلُهُ ،
لأنَّه شيءٌ موصولٌ به من غيرِ إرادته وأختيارِهِ . وإنما زعوا إلى قولهم : فلان
مشثومٌ ليكون الفعل وإِصْماً به — أعنى المَكْرُوه — وإلّا فهو شائمٌ في الأصل .
ويقال : شائمٌ فلانٌ قومه ، وكذلك يَمْنَهُم ؛ وكأنَّهما قوتان علويتان تصحبان
مِزاجين مختلفين ، وإذا أُعْتِيدَ منهما هذان العَرَضان اللذان يصدُران عن
هاتين القوتين العلويتين ، قيل : فلان [كذا] ، وفلان كذا .

وأما البركة فهي التَّماء والزيادة والرفُّع ، من حيث لا يوجد ^(١) بالحسن
ظاهراً مكشوفاً يُشار إليه ، فإذا عُهِدَ من الشيء هذا المعنى خافياً عن الحسن
قيل : هذه بركة ، وأشتقاقها من البروك ، وهو اللزوم والسَّعة ؛ ومن ذلك :
البركة . والبركة يوصف بها كلُّ شيء ، وليس لضِدِّها اسمٌ مشهور ، لذلك
يقال : قليلاً البركة .

وأما الفألُ ففسَّرَ بأنه جريانُ الذِّكْرِ الجميلِ على اللسانِ مَفْزُولاً عن
القصد ، إمّا من القائل ، وإمّا من السامع . وقد سَمِعَ النبيُّ — صلى الله عليه
وسلم — لما نَزَلَ المدينةَ على أبي أيُّوب الأنصاريِّ — أبا أيُّوبَ يقولُ لفلانٍ
له : يا سالمُ يا غانم . فقال لأبي بكر : « سَلَيْتَ لَنَا الدَّارُ فِي غَنَمٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ » . وهذا
مشهورٌ بين النَّاسِ .

وضِدُّه الطَّيْرَةُ والإشعار ^(٢) . ويُرْوَى أَنَّهُ نَهَى عن الطَّيْرَةِ ، وكان

(١) لا يوجد ، أى التَّماء وما عطف عليه .

(٢) لم نجد فيها راجعناه من كتب اللغة التي بين أيدينا من ذكر الإشعار بهذا المعنى
الذي أراده المؤلف هنا . غير أن المراد به يتضح مما نقلناه عن اللسان في الحاشية الآتية رقم ٣
من صفحة ١٦٤ من قصة عمر مع راي الجمار وتطير الرجل الهبي بما حدث ، فانظرها ثم .

يُحِبُّ الْقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وليس لها عِلَلٌ رَاتِبَةٌ ، ولا أسبابٌ مُوجِبَةٌ ، ولا أوائلٌ معروفةٌ ؛ ولهذا كَرِهَ الإفراطُ في التطيُّرِ والتَّعْوِيلُ على الْقَالَ ، لأنَّهما أَسْرانٌ يَصْحَاحَانِ وَيَبْطُلَانِ ، والأقلُّ منهما لا يُمَيِّزُ من الأكثرِ ؛ وللمزاجِ من الإنسانِ فيها أثرٌ غالبٌ ، والعادةُ أيضاً تُعَيِّنُ ، والولوعُ يزيدُ ، والتَّحَفُّظُ بما هذا شأنه شديدٌ . ولقد غَلَبَ هذا حتى قيل : فلانٌ مَدَوَّرُ الكَعْبِ ، وفلانٌ مشنومٌ ؛ وحتى تَمَدَّى هذا إلى الدَّابَّةِ والدارِ والعَبْدِ ؛ وكلُّ هذا ظهر في هذه الدارِ حتى لا يَكُونُ للعَبْدِ طُمَأْنِينَةٌ إِلَّا بِاللَّهِ ، ولا سُكُونٌ إِلَّا مَعَ اللَّهِ ، ولا مَطْلُوبٌ إِلَّا مِنْ اللَّهِ ؛ ولهذا — عزٌّ وجلٌّ — يُطْلَعُ الخوفُ من ثَنِيَةِ الأَمْنِ ، وَيَسُوقُ الأَمْنُ من نَاحِيَةِ الخوفِ ، وَيَبْعَثُ النَّصْرَ وقد وَقَعَ اليأسُ ، وَيَأْتِي بِالْفَرَجِ وقد أَشَدَّ اليأسُ . وأضالَّ اللَّهُ تَعَالَى خَفِيَّةُ المَطَالِيعِ ، جَلِيَّةُ المَوَاقِعِ ، مَطْوِيَّةُ المَنَافِعِ ؛ لِأَنَّهَا تَسْرِي بَيْنَ الغَيْبِ الإِلَهِيِّ ، وَالْعَيْنِ الْإِنْسَانِيَّةِ ، وكلُّ ذلكَ لِيَصِحَّ التَّوَكُّلُ عَلَيْهِ ، والتَّسْلِيمُ لَهُ ، وَاللِّبَازُ بِهِ ، وَيَعْرَجَ عَلَى كَنَفِ مُلْكِهِ ، وَيَتَبَوَّأَ مَقَانُ^(١) خُلْدِهِ ، وَيُنَالَ مَا عِنْدَهُ بِطَاعَتِهِ وَعِبَادَتِهِ .

فقال الوزير — كَبَتَ اللَّهُ أَعْدَاءَهُ ، وَبَلَّغَهُ مُنَاهُ — : هذا كلامٌ ليس عليه كلامٌ ، أَرَى النَّعَاسَ يَخْطُبُ إِلَى عَيْنِي حَاجَتَهُ ، وَإِذَا شِئْتُ فَأَجْعَمُ لِي رِقْرَقًا مِنْ هَذَا الضَّرْبِ الَّذِي مَرَّ مِنْ حَدِيثِ الطَّيِّرَةِ وَالْقَالَ وَالْإِتِّفَاقِ .

الليلة الثامنة والعشرون

وَعُدْتُ لَيْلَةً أُخْرَى وَقَرَأْتُ عَلَيْهِ أَسْيَاءَ مِنْ هَذَا النَّقْصِ .

منها : عَقَدَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ لِسَعِيدِ بْنِ عَمْرِو الْجُرَشِيِّ أَيَّامَ التَّرْكِ ، قَالَ (١)

(١) المان : المنزل .

سعيد : يا فَتْحُ ، يا نَصْرُ ، خُذَا اللّٰوَاءَ . فقال هشام : أَعْمَدًا قَلْتَ هَذَا ؟ قال : لا ، ولكنهما غلاماي دَعَوْتُهُمَا . قال هشام : هو الْفَتْحُ وَالنَّصْرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . وكان ذلك كذاك .

وكان عمرُ بنُ الخطَّابِ — رضى الله عنه — يقرض ، فربَّ به حَيَّةُ بنُ نَكَّازٍ ، فقال : لا حاجة لنا في هذا ، هذا حَيَّةُ وأبوه يَنْكَرُ^(١) .

ورمى رجلُ الجَرَّارِ ، فأصابَ صَلَعةَ عمرَ بِحَصَاةٍ فَشَجَّهُ . فقال رجل : أَشْعِرْتَ يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ^(٢) لا يقوم عمر هذا الْمَقَامَ أَبَدًا . فكان ذلك كذلك^(٣) .

وخرج رجل ينظر الحسن بن علي — صلوات الله عليه — فلقي رجلاً ، فقال له : ما أَسْمُكَ ؟ قال : عِقَالُ . قال : إِنْ مَنْ ؟ قال ابنُ عَقِيلٍ . قال : مِنْ بَنِي مَنْ ؟ قال : مِنْ بَنِي عَقِيلٍ . قال عَقْلَتَهُ عَقَّلَكَ اللَّهُ .

(٢) هذا الجزء أيها الشيخ — أَبْقَكَ اللَّهُ مَا تَمَتَّيْتُ الْبَقَاءَ — هو الجزء الثاني ، والثالثُ يَتَلَوُهُ ، وَالظَّنُّ الْجَمِيلُ بِكَ ، بَعْدَنَا بِالْحَسَنِ مِنْكَ ، وقد علمتَ الْفَرَضَ في جمع هذا كَلْمَةٍ والتعب فيه ، وأرجو ألا يَغِيبَ الْأَمَلُ ، ولا يَبْوَرِ الْعَمَلُ ،

(١) يَنْكَزُ ، من النَكَزِ ، وهو لسع الحية بأنفها ، ومنه أخذ اسم هذا الرجل « نَكَاز » كما أن النَكَاز نوع من أخشب الحيات .

(٢) في (١) « أم المؤمنين » ؛ وهو تحريف .

(٣) وردت هذه القصة في اللسان مادة شعر ونصها : « أن رجلاً رأى الجرات فأصاب صلته بحجر فسال الدم فقال رجل أشعر أمير المؤمنين . ونادى رجل آخر يا خليفة ، وهو اسم رجل ، فقال رجل من بني لُحَب : ليقتلن أمير المؤمنين . فرجع فقتل في تلك السنة . ولُحَب قبيلة من اليمن فيهم عيافة وزجر . وتشاءم هذا اللفظ بقول الرجل : أشعر أمير المؤمنين فقال : ليقتلن ، وكان مراد الرجل أنه أعلم بيلان الدم عليه من الشجة كما يشعر الهدى إذا سيق للنحر . وذهب به اللفظ إلى القتل ، لأن العرب كانت تقول للملوك إذا قتلوا : أشمروا وتقول لسوقة الناس : قتلوا . ولما قال الرجل : أشعر أمير المؤمنين جملة اللفظ قتلًا فيها توجه له من علم العيافة وإن كان مراد الرجل أنه دعى كما يدعى الهدى إذا أشعر . وحققت طبرته ، لأن عمر رضى الله عنه لما صدر من الحج قتل والإشمار : الإدماء بظعن أو رمى أو وجه بمجديدة . اهـ

وإن كان ذلك لا يَخَلُّو من بعض الخلل والزلل . فإذا أخذت بحُكم الفضل الذي هو عادَتُك وديدتك مع الصغير والكبير ، والقريب والبعيد ، فازِ قَدْحِي ، وصدق نَوْنِي ، وصحَّ زَجْرِي وفَأْلِي . حرسَ اللهُ نفسَكَ ، وصانَ نعمَتَكَ ، وكَبَتَ كلَّ عَدُوِّ لَكَ .

الجزء الثالث من كتاب الإمتاع والمؤانسة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- (١) أيها الشيخ وصل الله قولك بالصواب ، وفعلك بالتوفيق ، وجعل أحوالك كلها منظومةً بالصلاح ، راجعةً إلى حميد العاقبة ، متألفةً بشوارد الدُّرُور ، ووفرَ حَظَّكَ مِنَ النَّدَحِ والثناء ، فإنَّهما أَلَدُ مِنَ الشَّهْدِ والسُّلُوى ، ومدَّ في عمرك لكسب الخير ، وأستدامة النعمة بالشُّكْرِ ؛ وجعلَ تِلْذِذَكَ باصطناع المعروف ، وعَرَّفَكَ عَوَاقِبَ الإحسانِ إلى المُسْتَحِقِّ وغير المستحق ، حتى تَكَلَّفَ بيتَ الجليل ، وتُشَفِّفَ بِنَشْرِ الأيادي ، وحتى تَجِدَ طعمَ الثناء ، وتَطْرَبَ عليه طَرَبَ النُّشْوَانِ على بديع الغناء . لا طرب^(١) البرَدَانِي على غناء علوة جارية (٢) ابن علويه في درب السلق^(٣) إذا رَقَمْتَ عَقِيرَتَهَا فغنت بأبيات السُّرُوي^(٤) :

بالورد في وَجَنَتِكَ مَنْ لَطَمَكَ وَمَنْ سَقَاكَ الْمُدَامَ لِمَ ظَلَمَكَ ؟
| خَلَاكَ لَا تَسْتَفِيقُ مِنْ سُكْرِ تَوَسَّعُ شَتَاءً وَجَفَوَةَ خَدَمَكَ |
مُعْقَرَبَ الصَّدْغِ قَدْ ثَمَلَتْ فَا يَمْنَعُ مِنْ لَمِّ عَاشِقِيكَ فَمَا ؟

(١) في (١) « ولا طرب » .

(٢) في كلتا النسخين « السلق » ، والياء زيادة من النسخ . ودرب السلق حلة يفتاد .

(٣) في ب « الع . ع . » بالمصحة .

[تَجَرُّهُ فَضْلَ الْإِزَارِ مُنْغَرِقَ النَّفْلَيْنِ قَدْ لَوَّثَ الثَّرَى قَدَمَكَ
أَظْلَلُ مِنْ حَيْرَةٍ وَمِنْ دَهْشٍ أَقُولُ لَمَّا رَأَيْتُ مَبْتَسَمَكَ]
بِاللهِ يَا أَقْحَوَانَ مَضَحَكَ عَلَى قَضِيبِ الْعَقِيقِ مَنْ نَفَلَمَكَ ؟
وَلَا طَرَبَ ابْنُ فَهْمٍ ^(١) الصُّوفَى عَلَى غَنَاءِ « نَهَايَةِ » جَارِيَةِ ابْنِ الْمَغْنَى إِذَا
انْدَفَعَتْ بِشِدْوَاهَا ^(٢) :

أُسْتَوْدِعُ اللَّهَ فِي بَغْدَادَ لِي قَرَأَ بِالكَرْنَخِ مِنْ فَلَكَ الْأَزْزَارِ مَطْلَعُهُ
وَدَعَّعْتُهِ وَبُودَى لَوْ يُوَدَّعُنِي صَقُوءُ الْحَيَاةِ وَأُنَّى لَا أُودَّعُهُ
فَإِنَّهُ إِذَا سَمِعَ هَذَا مِنْهَا ضَرَبَ بِنَفْسِهِ الْأَرْضَ ، وَتَمَرَّغَ فِي التُّرَابِ وَهَاجَ
وَأَزْبَدَ ، وَتَغَمَّرَ ^(٣) شَعْرَهُ ؛ وَهَاتِ ^(٤) مِنْ رِجَالِكَ مَنْ يَضْبُطُهُ وَيَمْسِكُهُ ،
وَمَنْ يَجْمَسُرُ عَلَى الدُّنُومِ مِنْهُ ، فَإِنَّهُ بَعْضُ بَنَائِهِ ، وَيَنْخَمِشُ بِظُفْرِهِ ، وَيُرْكَلُ بِرِجْلِهِ
وَيُخْرِقُ الْمَرْقَعَةَ قِطْعَةً قِطْعَةً ، وَيَلْطِمُ وَجْهَهُ أَلْفَ لَطْمَةٍ [فِي سَاعَةٍ] ، وَيَخْرُجُ فِي
الْعَبَاءَةِ ^(٥) [كَأَنَّهُ] عَبْدُ الرَّازِقِ الْمَجْنُونِ صَاحِبُ الْكَيْلِ فِي جَيْرَانِكَ بَبَابِ الطَّاقِ .
وَلَا طَرَبَ ابْنُ غِيلَانَ الْبَزَازِ عَلَى تَرْجِيمَاتِ « بَلَوَّرَ » جَارِيَةِ ابْنِ الْبَزِيدِ
الْمُؤَلِّفِ بَيْنَ الْأَكْبَادِ الْحَرَمَةِ ، وَالْمُحْسِنِ إِلَى الْقُلُوبِ الْمُتَصَدِّعَةِ وَالْعَيُونِ الْبَاكِیَةِ
إِذَا غَنَّتْ .

(١) فِي نَسْخَةٍ « ابْنُ قَتِيمٍ » .

(٢) فِي (١) « لَنْشِدْوَاهَا » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي (١) « وَتَغَمَّرَ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ ؛ وَوَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ وَالَّتِي بِمِثْلِهَا فِي
(ب) مَطْمُوسَى الْحُرُوفِ تَتَمَذَّرَ قِرَاءَتُهَا .

(٤) فِي (١) « وَهَابَ وَجَالِكَ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ ؛ كَمَا وَرَدَتْ هَذِهِ الْبَابَةُ فِي (ب) غَيْرِ
وَأَخَصَّةٍ .

(٥) فِي (١) « الْحَكَايَةِ » وَوَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ مَطْمُوسَةً الْحُرُوفِ فِي « ب » ، وَلَمْ
صَوَابُ الْكَلِمَةِ مَا أَتَيْنَا بِدَلِيلٍ مَا سَبَقَ فِي قَوْلِهِ « وَيَخْرِقُ الْمَرْقَعَةَ » الْخ .

أعطِ الشَّبَابَ نَصِيْبَهُ مَا دُمْتَ تُعَذِّرُ الشَّبَابَ
وَأَنْتُمْ بِأَيَّامِ الصَّبِيِّ وَأَخْلَعَ عِذَارَكَ فِي النَّصَابِيِّ

فإنه إذا سمع هذا منها أقلت كحاليق عينيّه ، وسقط مَشْيَا عليه ، وهاتِ
الكافور وماء الورد ، وَمَنْ يقرأ في أذنه آيةَ الكُرْسِيِّ والمُعَوِّذَتَيْنِ ، وَيُرْفِي
بِهَيْبَتَا شَرَاهِيَا^(١) .

ولا طربَ أبى الوزير الصوفي [القاطن] في دار القطن^(٢) عند جامع المدينة على
« قَلَمِ القُضِييَةِ »^(٣) « إِذَا تَنَاقَوَاتِ »^(٤) في استهلالها ، وتضاجرت^(٥) على ضُجْرَتِهَا ،
وتذكّرت شجوها الذي قد أضناها وأنضأها ، وسلبها منها^(٦) وأنساها إياها^(٧) .
ثم أندفعت وعغّت بصوتها المعروف [بها] .

أقولُ لها والصبحُ قد لاح نوره كما لاح ضوءُ البارقِ المتألقِ
شِدْهِكَ قد وافي وحان^(٨) افتراقنا فهل لك في صوتِ ورطلي مَرَوِّقِ

(١) هيا شراها كلمة عبرانية معناها ياحى ياقيوم كما في الصباح وفي القاموس مادة هـ .
أشر إياها بفتح الهمزة والشين : كلمة يونانية معناها الأزل الذي لم يزل والناس ينلطون ويقولون
أها شراها وهو خطأ على ما يزمه أخبار اليهود .
(٢) في كلتا النسخين القطن ؟ والذي وجدناه في محلات بغداد دار القطن لا القطن ،
والها ينسب الدار قطنى .

(٣) القضيية نسبة إلى القضيب الذي توقع به .

(٤) في (١) « تناوت » وفي ب « تبارت » ، وهو تحريف في كلتا النسخين ، والصواب
ما أثبتنا كما يدل عليه الكلام الآتى بعد ، وتناوات أى تناقلت وتظاهرت بالإعجاب والصب من
ناء بالجليل ينوء .

(٥) وتضاجرت على ضجرتها أى تظاهرت بالضجر زيادة على ما فيها منه ، وفي كلتا
النسخين وتماطرت مكان قوله وتضاجرت وهو تحريف لا معنى له . وفي (١) على صخرتها ،
وهو تحريف أيضاً .

(٦) سلبها منها نظير قول المؤلف في وصف جنس الثلمان المتين (ص ١٧٥ سطر ٣
من هذا الجزء) « يسرقك منك » .

قالت حياتي في الذي قد ذكرته وإن كنت قد تَقَصَّته بالتفرُّق
ولا طرب الجراحى أبى الحسن مع قضائه في الكرخ وِرْدَائِهِ الْمُعَشَّى، وكتِّمِيهِ
المُعَدِّرِينَ^(١) ووجنتيه المتخلَّجَتَيْنِ^(٢)، وكلامه الفَعْمُ، وإطراقه الدائم؛ فإنه يَفِيزُ
بالحاجب إذا رأى مِرْطًا^(٣)، وأمل أن يُقْبَلَ خَدًّا وقُرْطًا^(٤)؛ على غناء شُعْلَةٍ:
لا بدَّ للمشتاقِ مِنْ ذِكْرِ الوطنِ واليأسِ والسَّلْوَةِ مِنْ بَقْدِ الحزنِ
وقيامتُهُ^(٥) تقوم إذا سمعها ترجع في لحنها

لو أن ما تبتلىني^(٦) الحادثاتُ به يُلقى على الماء لم يُشْرَبِ من السكدرِ
فهناك ترى شَيْبَةً قد أبْقَلَتْ بالدموع، وفُوَادًا قد نَزَا^(٧) إلى اللّٰهَاءِ، مع
أَسْفٍ قد ثَقَبَ القلبَ، وأَوْهَنَ الرُّوحَ، وجابَ الصَّخْرَ^(٨)، وأذابَ الحديدَ،
وهناك ترى والله أحداقَ الحاضرين باهتة، ودموعهم متحدرة، وشهيقهم قد علا
رَحْمَةً لَهُ، وورقةً عليه، ومساعدةً لحاله، وهذه صورة [إذا] أَسْتَوَلَتْ على أهلِ مجلس
وَجَدَتْ لها عَدُوًى لا تَمَلُكُ، وغايةً لا تُدْرِكُ، لأنَّه قَلَمًا يَخْلُو إنسانَ من صبوة
أو صباية، أو حسرة على فائت، أو فُكْرٍ في مُتَمَتَّى، أو خوفٍ من قِطِيعَةٍ،

(١) كذا في كلتا النسخين ولعله من التدوير في الثوب، أي الزيادة والفضل؛ وهو
دخيل كما يظهر لنا إذ لم نجد في لدينا من كتب اللغة غير أن ذلك مستعمل في بعض بلاد مصر
ويطلقون عليه السِّدَار بفتح الفاء أي الزيادة أو لعل سواها: «الفرزين» بالزاي المشددة،
أي الشقوقين فإن شق السكين لا يزال معروفًا حتى اليوم في أقبية أهل العلم وانقضاء.
(٢) التخلّيجتان، أي المضطربتان المرتشتان ويكون ذلك من الضعف وكبر السن.
(٣) المِرْط من ملابس النساء معروف. وفي كلتا النسخين «شرطا»؛ وهو تحريف
إذ لم نجد له معنى يناسب السياق.

(٤) في كلتا النسخين «وفرطا» بالفاء؛ وهو تصحيف.
(٥) في (أ) و«قيامه يقوم». ووردت هذه العبارة في «ب» غير واضحة الحروف.
(٦) في (أ) «تتأني»؛ وهو تحريف.
(٧) في (أ) «نزل»؛ وهو تحريف.
(٨) جاب الصخر: قطعه.

أَوْ رَجَاهُ لِمُنْتَظَرٍ ، أَوْ حُزْنٍ عَلَى حَالٍ ، وَهَذِهِ أَسْوَالٌ مَعْرُوفَةٌ ، وَالنَّاسُ [مِنْهَا] عَلَى جَدِيلَةٍ ^(١) مَعْدُودَةٍ .

وَلَا طَرَبَ ابْنُ غَسَّانَ الْبَصْرِيُّ الْمُتَطَبِّبُ إِذَا سَمِعَ ابْنَ الرَّفَاءِ يُقَتَّى :
وَحَيَاةٍ مَنْ أَهْوَى فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ أَبَدًا لِأَخْلَفَ كَاذِبًا بِحَيَاتِهِ
لِأَخْلَفَنَّ عَوَازِلِي فِي لَذَّتِي وَلَا سَعِيدَنَّ أَخِي عَلَى لَذَاتِهِ
وَإِبْنُ غَسَّانَ هَذَا مَلِيحُ الْأَدَبِ ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ فِي ابْنِ نَصْرِ الْعَامِلِ
— وَقَدْ عَالَجَهُ مِنْ عِلَّةٍ فَلَمْ يَنْفَقْهُ وَلَمْ يَقْضِ حَقَّهُ — :

هَبِ الشُّعْرَاءُ تَعْطِيبَهُمْ رِقَاعًا مُنَوَّرَةً كَلَامًا عَنْ كَلَامٍ
فَلَيْمٌ صِلَةُ الطَّبِيبِ تَكُونُ زُورًا وَقَدْ أَهْدَى الشِّفَاءَ مِنَ السَّقَامِ
عَجِبْتُ لِمَنْ نَمَتَهُ ^(٢) أَرْضُ لُؤْمٍ وَبُخْلِ لِمَنْ يُعَدُّ مِنَ الْكِرَامِ
نُسِبْتُ إِلَى السَّاجِدِ لِأَشْيِهِ سِوَى نَقْصَانِ لُؤْمِكَ فِي اللَّثَامِ

عَنِي بِهَا أَنَّهُ مِنْ أَصْبَهَانَ ^(٣) ، وَكَانَ آخِرُ حَدِيثِ ابْنِ غَسَّانَ مَا عَرَفْتَهُ ^(٤) ،
بِأَنَّهُ غَرَّقَ ^(٥) نَفْسَهُ فِي كِرْدَابٍ ^(٦) كَلَوَازِي ، وَذَلِكَ لِأَسْبَابٍ تَجَمَّعَتْ عَلَيْهِ مِنْ صَفَرِ
الْبَيْدِ ، وَسُوءِ الْحَالِ ، وَجَرَبِ أَكْلِ بَدَنِهِ ، وَعِشْقِ أَخْرَقَ كَبْدَهُ عَلَى غُلَامِ
(الْأَمِيدِيِّ الْحَلَاوِيِّ) بِيَابِ الطَّاقِ ، وَحَيْرَةِ عَزَبٍ مَعَهَا عَقْلُهُ ، وَخَذَلَهُ رَأْيُهُ ، وَمَلَكَهُ
حَيْثُهُ ، وَتَسَأَلُ اللَّهُ حَسَنَ الْعُقُوبِيِّ بِدَرْكِ الْمُنَى ، وَلَيْسَ لِلْإِنْسَانِ مِنْ أَمْرِهِ شَيْءٌ ،

(١) الجَدِيلَةُ : الطَّرِيقَةُ . (٢) فِي (١) « نَمَتْ » ؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) يُشِيرُ إِلَى شَهْرَةِ أَهْلِ أَصْبَهَانَ بِالْبُخْلِ .

(٤) فِي ب « عِلَّتُهُ » .

(٥) فِي (١) « عَرَفَ » ؟ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(٦) فِي (١) كِرْدَانُ بَالْتُونِ ؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَالْجِرْدَابُ كَلِمَةٌ فَارُوسِيَّةٌ مَعْنَاهَا دَوَامَةُ الْمَاءِ . وَهِيَ وَسَطُ الْبَحْرِ وَبَلْعُهُ الَّذِي يَدْرُمُ عَلَيْهَا الْوُجُ . وَهِيَ بِالْجِيمِ ، وَلِلَّعَرَبِ كَانُوا يَنْطُقُونَهَا بِالْكَافِ .

وما هو أنس^(١) إليه فهو مملوك عليه ، يُصْرَفُهُ فَيَا يُصْرَفُ فَيَظُنُّ أَنَّهُ أَتَى مِنْ قَبْلِهِ ،
ولعمري مَنْ غُلَطَّ غِلَطٌ ، ومن غُرِلَطَ غَالَطٌ ، والكلام في هذا غاش^(٢) والإغراق^(٣)
فيه مُوسِسٌ ، والإعراض^(٤) عنه أَجْلَبُ للأنس ، وما أحسن ما قال القائل :
إذا استعقبتُ من أسيرِ الليالي تُصْرَفُنِي فَأُسْرِي فِي خَلَاصِي^(٥)
ولولا طيش^(٦) القلم وتَسَحُّبُ الخاطر ، وشُرُودُ الرأى ، ما عَزَزْتُ بهذا الموضع
ولا عَلِقْتُ بهذا الجبل ، نم .

ولا طَرَبَ ابنُ نَبَاتَةَ الشاعرِ على صَوْتِ الخاطِيفِ إذا غَنَّتْ .
تَلْتَبُّ الكَفَّ مِنْ تَلْهِبِهَا وَتَحْسُرُ العَيْنُ إِنْ تَقَعَاها
كَأَنَّ نَارًا بِهَا مَحْرُوتَةٌ^(٧) تَهَابُهَا^(٨) مَرَّةً وَتَقْشَاها
نَاخِذُهَا تَارَةً وَتَاخُذُنا فَتَنْحُنُ فُرْسَانُهَا وَصَرَعاها
ولا طَرَبَ ابنُ العَوْدِي^(٩) إذا سَمِعَ غَنَاءَ تَرْفٍ^(١٠) الصابئةِ في صوتِها ، عند
نشاطِها ومَرَجِها ، وهواها حاضِر ، وطَرَفُها إليه ناظِر :

- (١) أنس ، أى راجع .
(٢) فى (أ) « شاش » بالحاء والشين المعجمة ؛ وفى « ب » حاس بالحاء والسين المهملة ؛
ولم نجد لواحدة منهما معنى يناسب السياق ؛ ولعل الصواب ما أثبتنا .
(٣) فى كلتا النسختين : « والإفراج » ؛ وهو تحريف .
(٤) ورد هذا البيت فى (أ) هكذا :
إذا استعقب رقى من ليالى تُصْرَفُنِي فَأُسْرِي فِي خَلَاصِي
وفيه تحريف ظاهر .
(٥) فى (أ) « طلس » ؛ وهو تحريف .
(٦) حرث النار : حركها . وفى كلتا النسختين « محرشة » بالشين ؛ وهو تصحيف .
(٧) فى (أ) « تهابها » ؛ وهو تحريف .
(٨) لعله نسبة إلى المود من بنى أسد . والثنى فى كلتا النسختين ابن المودى بالهمال
المهملة ، ولم نجد هذه النسبة فيما راجعناه من كتب الألساب .
(٩) فى (أ) « شرف » ؛ وما أثبتناه عن « ب » وهو الأوجع أن يكون من اسمائهن .

لَبَّ الهوى كُلَّمَا دَعَاكَ ولاحَ في الحبِّ من لَحَاكَ
مَنْ لَامَ في الحبِّ أَوْ نَهَاكَ فزَدَهُ في غَيْثِكَ أَنَهُمَا كَا
إِنْ لَمْ تَكُنْ في الهوى كَذَا كَا نال^(١) لَذَاتِهِ سِوَاكَ

ولا طَرَبَ العَلَمُ غلامَ الحُصْرَى شيخَ الصُّوفِيَةِ إِذَا سَمِعَ ابنَ بَهلولٍ يَغْنَى في
رَحْبَةِ المَسْجِدِ بَعْدَ الجُمُعَةِ وَقَدْ خَفَّ الزَّحَامُ :

وَقَالَ لِي التَّدُولُ تَسَلَّ عَنْهَا قُلْتُ لَهُ : أَتَدْرِي مَا تَقُولُ ؟
هِيَ النَفْسُ الَّتِي لَا بُدَّ مِنْهَا فَكَيْفَ أَزُولُ عَنْهَا وَأُحُولُ ؟

وَلَا طَرَبَ ابنُ الغَزَّازِي عَلَى جَارِيَةِ العَمَى^(٢) فِي مَجْلِسِهَا النَّاصِ بِبَيْلَاءِ النَّاسِ
بَيْنَ السُّورَيْنِ^(٣)

يَلْعَى ، وَلَوْ أَرَقَّهُ مِيعَادُ أَوْ رَاعَهُ الإِعْرَاضُ وَالْإِبْعَادُ
أَوْ هَرَّهَ الْأَعْدَاءُ وَالْحُسَادُ أَوْ سَلَقَتْهُ الْأَلْسُنُ الْحِدَادُ
مَا^(٤) لَامَ مَنْ لَيْسَ لَهُ فَوَادُ

وَلَا طَرَبَ ابنُ صُبَيْرٍ^(٥) الْقَاضِي قَبْلَ الْقَضَاءِ عَلَى غَنَاءِ دَرَّةٍ جَارِيَةِ أَبِي بَكْرٍ
الْجَرَّاحِي فِي دَرْبِ الزَّعْفَرَانِي الَّتِي لَا تَقْعُدُ فِي السَّنَةِ إِلَّا فِي رَجَبٍ ، إِذَا غَنَتْ :
لَسْتُ أَسْمَى تِلْكَ الزَّيَاةَ لَمَّا طَرَقْتُنَا وَأَقْبَلْتُ تَتَنَّقَى
طَرَقَتْ ظُيُفَةُ الرُّصَافَةِ لَيْلًا فِيهِ أَحْلَى مِنْ جَسِّ عُودَاوُغْنَى

(١) فِي كِتَابِ النِّسَخَيْنِ : « فَإِنْ بَدَأَهُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ لَا مَعْنَى لَهُ .

(٢) فِي كِتَابِ النِّسَخَيْنِ « عَمَى » بِدُونِ أَلِفٍ وَوَلَامٍ ؛ وَلَعَلَّ صَوَابَهُ مَا أَثْبَتْنَا ، وَالْعَمَى
نِسْبَةٌ إِلَى الْعَمِّ بِطَنٍ مِنْ تَيْمٍ .

(٣) بَيْنَ السُّورَيْنِ : مَحَلَّةٌ كَبِيرَةٌ كَانَتْ بِكَرْخِ بَغْدَادَ وَكَانَتْ مِنْ أَحْسَنِ مَحَالِّهَا وَأَمْرُهَا
وَقَدْ وَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي كِلْتَا النِّسَخَيْنِ بِعِدَّةِ قَوْلِهِ « الْعَمَى » . وَاللَّاتِقُ إِثْبَاتَهَا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ .

(٤) فِي « ب » « مَن لَامَ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٥) كَذَا ضَبَطَ هَذَا الْأِسْمَ بِالْبَاءِ فِي شَرْحِ الْقَامُوسِ .

كَمَ لِيَالٍ بَتْنَا نَلْدُ وَنَلْهُو وَنُسْقَى شَرَابًا وَنُفَى
 هَجَرْنَا فَا إِلَيْهَا سَبِيلُ غَيْرَ أَنَا نَقُولُ : كَانَتْ وَكُنَّا
 وإذا بلغت « كانت وكنا » رأيتَ الجيبَ مشقوقا ، والدَّيْلَ مخروفا ،
 والدَّمْعَ مُنْهِمَلا ، والبالَ مُنْخَذِلَا ، ومكتومَ السَّرِّ في الهوى باديا ، ودليلَ العشقِ على
 صاحبه مُنَادِيَا .

ولا طربَ أبْنِ حَجَّاجِ الشاعرِ على غناء قِنَوَةَ البَصْرِيَّةِ ، وهي جَارَتُهُ (١)
 وَعَشِيقَتُهُ ، وله معها أحاديث ، ومع زوجها أعاجيب ؛ وهناك مكائِدات ، وَرَفُئُ
 وَمُعَايِرَات ، وإنشاهِ نِكَات ؛ إِذَا أُنْشِدَتْ :

يَا لَيْتَنِي أَحْيَا بِقُرْبِهِمْو إِذَا قَدَّسَتْهُمْ أَتَقْضَى عَمْرِي
 ثُمَّ ثَلُثَ بِصَوْتِهَا (٢) الْآخِر :

هَيْبَنِي أَمْرًا إِنَّمَا بَرِيثًا ظَلَمْتَهُو إِنَّمَا مَبِيتًا تَابَ بِهِدُ فَعُتِبَ
 فَكُنْتُ كَذِي دَاهٍ تَبْقَى لِدَاهِ طَبِيبًا فَمَا لَمْ يَجِدْهُ تَطَلَّبِيَا

ولا طربَ أبْنِ معروفٍ قاضِي القضاةِ على غناء عُائِيَّةِ إِذَا رَجَعْتَ لِحَنًا فِي
 حَلَقِهَا الْحَلُو (٣) الشَّجِي بِشعرِ أبْنِ أَبِي رَبِيعَةَ :

أُنِيرِي مَكَانَ الْبَذْرِ إِنْ أَقْلَ الْبَذْرُ وَتَوَمَّى مَقَامَ الشَّمْسِ مَا أَسْتَأَخَرَ الْفَجْرُ
 ففِيكَ مِنَ الشَّمْسِ الْمُخَيَّرَةِ نُورُهَا وَلَيْسَ لَهَا مِنْكَ الْحَاجِرُ وَالشَّمْرُ (٤)
 وَلَا طَرَبَ ابْنِ إِسْحَاقَ الطَّبْرِيِّ عَلَى صَوْتِ [دُرَّة] الْبَصْرِيَّةِ إِذَا غَنَّتْ :

(١) في (١) جاريته ؛ وهو تحريف .

(٢) في (١) صورتها .

(٣) هنا كلمة مطبوعة في (١) قبل هذه الكلمة .

(٤) في (١) « والشمر » .

يا ذا الذي زار وما زارا كأنه مُقْتَسِـمٌ نارا
قامَ ببابِ الدارِ مِنْ زَهِوهِ ما ضَرَّه لو دَخَلَ الدارا
لو دَخَلَ الدارَ فَكَلَمْتُهُ بحاجتي ما دَخَلَ النارا
نَفْسِي فِدَاهُ الْيَوْمَ مِنْ زائِرٍ ما حلَّ حتى قيلَ قد سارا

ولا طَرَبَ ابْنُ الْأَزْرَقِ الْجَرَجَرَانِيَّ عَلَى غِنَاءِ سُنْدُسٍ جارية ابن يوسف صاحب ديوان السَّوَادِ إِذَا تَشَابَحَتْ وَتَدَلَّلَتْ ، وَتَقَلَّتْ ^(١) ، وَتَقَلَّتْ ، وَتَكَسَّرَتْ ، وَتَيْسَّرَتْ ، وَقَالَتْ : أَنَا وَاللَّهِ كَسَلَانَةٌ مَشْغُولَةٌ الْقَلْبَ بَيْنَ أَحْلَامٍ أَرَاهَا رَدِيثَةً ، وَبَحْتٍ ^(٢) إِذَا أَسْتَوَى التَّوَى ، [وَأَمَلٍ] إِذَا ظَهَرَ عَمْرٌ ؛ ثُمَّ انْدَفَعَتْ وَغَنَّتْ :

مَجْلِسُ صَبِيٍّ تَعْمِيدِيٍّ لَيْسَا مِنَ الْحُبِّ بِمُخْلَوِيٍّ
قَدْ صَيَّرَا رُوحَيْهِمَا وَاحِدًا وَاقْتَسَمَا بَيْنَ جِسْمَيْنِ
تَنَازَعَا ^(٣) كَأَسَا عَلَى لَذَّةٍ قَدْ مَزَّجَاهَا بَيْنَ دُمْعَيْنِ
الْكَأْسُ لَا تَحْسُنُ إِلَّا إِذَا أَدْرَتْهَا بَيْنَ مُحِبِّينِ

وَلَا طَرَبَ ابْنُ سَمْعُونٍ [الصُّوفِيَّ] عَلَى ابْنِ ^(٤) بَهْلُولٍ إِذَا أَخَذَ الْقَضِيبَ وَأَوْقَعَ ^(٥) بَيْنَانَهُ الرَّخْصَ ، ثُمَّ زَلَّزَلَ الدُّنْيَا بِصَوْتِهِ النَّاعِمِ ، وَغَنَّتِ الرَّخِيمَةُ ، وَإِشَارَتُهُ الْخَالِبَةُ ، وَحَرَكَتُهُ الْمَدْغُغَةُ ^(٦) ، وَظَرْفُهُ الْبَارِعُ ، وَدِمَائَتُهُ الْعُلُوءَةُ ، وَغَنَّى :

- (١) تَقَلَّتْ ، أَيْ تَلَوْتُ ، وَفِي كَلَامِ النَّسَخِيِّينَ « وَتَقَلَّتْ » وَهُوَ تَصْغِيفٌ إِذْ لَا يَنْاسِبُ مَعْنَاهُ سِيَاقٌ مَا هُنَا ، وَلَمَّا صَوَّاهُ مَا أَتَيْنَا كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ بَدَلٌ : « وَتَقَلَّتْ » أَيْ تَثَلَّثَ فِي مَشَبَّهَاتِهِ .
(٢) فِي (١) « وَنَجِيبٌ » ؟ وَهُوَ تَصْغِيفٌ .
(٣) هَذِهِ الْكَلِمَةُ مَطْبُوعَةٌ فِي (١) .
(٤) عَلَى ابْنِ بَهْلُولٍ ، أَيْ عَلَى غِنَاءِ ابْنِ بَهْلُولٍ .
(٥) فِي (١) « وَرَفَعٌ » ؟ وَهُوَ تَصْغِيفٌ .
(٦) الْمَدْغُغَةُ وَالرَّغْزَةُ كَلَامُ اللَّفْظَيْنِ بِمَعْنَى وَاحِدٍ وَقَدْ اسْتَأْصَرَاهَا هُنَا لِمَا يُلْزَمُ ذَلِكَ مِنْ مَعْنَى الْحَفَةِ وَالسَّرُورِ وَانْتِسَاطِ النَّفْسِ .

ولو طابَ لي غَرَسٌ لَطابَتْ ثَمَارُهُ ولو صَحَّ لي غَيْبٌ لَصَحَّتْ شَهَادَتِي
تَرَهَّدْتُ فِي الدُّنْيَا وَإِنِّي لَرَاغِبٌ أَرَى رَغْبَتِي مَمْزُوجَةً بِزَهَادَتِي
أَيَا نَفْسٍ مَا الدُّنْيَا بِأَهْلٍ لِحُبِّهَا دَعِيهَا لِأَقْوَامٍ عَلَيْهَا تَعَادَتِ
وَلَا طَرَبَ ابْنُ حَيَّوَيْهِ^(١) عَلَى غَلَامٍ^(٢) الْأَسْرَاءِ إِذَا غَفَى :

قَدْ أَشْهَدُ الشَّارِبَ الْمَذَلَّ^(٣) لَا مَعْرُوفُهُ مُنْكَرٌ وَلَا حَصْرُ
فِي فِتْنَةٍ لَيْسَى الْمَازِرِ لَا يَنْسَوْنَ^(٤) أَخْلَاقَهُمْ^(٥) إِذَا سَكَرُوا
وَعَلَامُ الْأَسْرَاءِ هُوَ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ الْقَائِلُ :

أَبُو الْعَبَّاسِ قَدْ حَجَّ وَقَدْ عَادَ وَقَدْ غَفَى
وَقَدْ عَلَّقَ عَقْدَانًا^(٦) فَمِذَا هُمْ كَمَا كُنَّا

وَأَصْحَابُنَا يَسْتَمْلِحُونَ قَوْلَهُ (هُمْ) هَاهُنَا ، وَيَرَوْنَهُ مِنَ الْعَمَى الْفَصِيحِ .

وَلَا طَرَبَ أَبِي سُلَيْمَانَ الْمُنْطَقِيَّ إِذَا سَمِعَ غِنَاءَ هَذَا الصَّبِيِّ الْمُوصَلِيِّ النَّابِغِ الَّذِي
قَدْ قَتَنَ النَّاسَ وَمَلَأَ الدُّنْيَا عِيَارَةً^(٧) وَخُسْرَةً . وَافْتَضَحَ بِهِ أَصْحَابُ النَّسْلِ وَالْوَقَارِ ،
وَأَصْنَافُ النَّاسِ مِنَ الصَّغَارِ وَالْكِبَارِ ، بِوَجْهِهِ الْحَسَنِ ، وَتَغَرُّهِ الْمُبْتَسِمِ ، وَحَدِيثِهِ
السَّاحِرِ ، وَطَرَفِهِ الْفَاتِرِ . وَقَدْ هُ الذِّيدُ^(٨) ، وَنَمِظْلُهُ الْحَاوُ ، وَدَلَّهُ الْخُلُوبُ ، وَتَمَنَعَهُ

(١) فِي (أ) « حَيَّوَيْهِ » بِالْمِيمِ . وَهُوَ تَعْرِيفٌ .

(٢) عَلَى غَلَامٍ ، أَيْ عَلَى غَمٍّ غَلَامٌ .

(٣) وَرَدَتْ هَذِهِ السَّكَاةُ فِي كَلَامِ الْخَلِيفَةِ بِالْبَدَلِ الْمُهْمَلَةِ ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(٤) وَرَدَ هَذَا أَنْبِئْتُ فِي (أ) أَكْثَرَ حُرُوفِهِ مَهْمَلَةً مِنْ انْتِظَافٍ .

(٥) فِي (ب) « أَحْلَامُهُمْ » ، وَالْمَعْنَى يَسْتَقْرِئُ عَلَيْهِ أَيْضًا .

(٦) الشَّيْءُ طَبِيلٌ كَانَ يَطْلُقُهُ الْمُخْتَشِنُونَ وَأَصْحَابُ الْغَنَاءِ فِي أَغْنَاهُمْ . وَالَّذِي فِي (أ) « وَقَدْ
عَلَّقَ غُبَارًا » .

(٧) الْعِيَارَةُ : تَحْلِيلَةُ الْمَرْءِ نَفْسَهُ وَهَوَاهَا لَا يَرُدُّهَا وَلَا يَزْجُرُهَا .

(٨) فِي (أ) « الدِّيرِ » وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

المطعم ، وإطاعه المُمْتَع^(١) وتشكيكه في الوصل والمجر ، وخَلَطَهُ الإياء بالإجابة ،
ووقفه بين لا ونم . إِنْ صَرَّخْتَ لَهُ كُنْتُ ، وَإِنْ كُنَيْتَ لَهُ صَرَّحَ ؛ يَسْرِقُكَ
مِنْكَ ، وَيَرُدُّكَ عَلَيْكَ ، يَعْرِفُكَ مُنْكَرًا لَكَ ، وَيُنْكَرُكَ عَارِفًا بِكَ ؛ غَالَهُ
حالات ، وَهْدَايَتُهُ ضَلَالَات ، وَهُوَ فِتْنَةُ الْحَاضِرِ وَالْبَادِي ، وَمُنْيَةُ^(٢) السَّائِقِ
وَالْمَادِي ؛ فِي صَوْتِهِ الَّذِي هُوَ مِنْ قَلَانْدِهِ :

عَرَفْتَ الَّذِي بِي فَلَا تَلْحَنِي فَلَيْسَ أَخُو الْجَهْلِ كَالصَّالِحِ
وَكَنْتُ أَخَوْفُهُ بِالْدُّعَا^(٣) وَأَخْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَائِمِ
فَلَوْ كُنْتُ أَبْصَرْتُ مِثْلًا لَهُ إِذَا لَمْتُ نَفْسِي مَعَ اللَّائِمِ
فَلَمَّا أَقَامَ عَلَى ظُلْمِهِ تَرَكْتُ الدُّعَاءَ عَلَى الظَّالِمِ

وَلَا طَرَبَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْبَصْرِيُّ عَلَى إِيقَاعِ ابْنِ الْعَصْبِيِّ إِذَا أَوْقَعَ بِقَضِيْبِهِ
وَغَنَى بِصَوْتِهِ :

أَنْسَيْتَ الْوَصْلَ إِذِ بَيْتُهُ خَا عَلَى مَرْقَدٍ وَزَدِ
وَاعْتَنَقْنَا كَوَاشِحَ وَانْتَضَمْنَا نَظْمَ عَقِيدِ
وَتَعَطَّفْنَا كَغَضْنَيْنِ قَدْدَانَا^(٤) كَقَدِّ

وَبِسَبَبِ^(٥) هَذَا وَنَظَائِرِهِ عَابَهُ^(٦) الْوَاسِطِيُّ ، وَقَدَّحَ فِي دِينِهِ ، وَأَلْصَقَ بِهِ
الرَّيْبَةَ^(٧) ، وَأَسْتَحَلَّ فِي عِرْضِهِ الْغِيْبَةَ ، وَلَقَبَهُ بِالْمُنْفَرِّ عَنِ الْمَذْهَبِ ، وَقَاطَعَ
الطَّرِيقَ عَلَى الْمُسْتَرْتَدِّدِ .

(١) فِي كِلْتَا النُّسخَيْنِ « الْمُتَمَع » بَالِئًا ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ ، وَمَا أَتَيْنَاهُ هُوَ مُقْتَضَى سِيَاقِ الْكَلَامِ .

(٢) فِي (١) وَفِتْنَةٌ ؛ وَهُوَ تَبْدِيلٌ مِنَ النَّاسِخِ لِتَكَرُّرِهِ مَعَ مَا قَبْلَهُ .

(٣) كَذَا فِي « ب » . وَالَّذِي فِي (١) وَلَسْتُ أَخَوْفُهُ بِالْقَا ؛ وَالْمَعْنَى عَلَيْهِ غَيْرُ مُسْتَقِيمٍ .

(٤) فِي (١) « قَدَا » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . (٥) فِي (١) وَلَيْسَتْ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٦) فِي (١) « بِنَايَةٌ » ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ . (٧) فِي (١) « الزَّيْنَةُ » ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

ولا طَرَبَ ابن الوراقِ على رَوْعَةٍ^(١) جارية ابن الرضى في الرصافة
إذا غَنَّتْ :

وَحَقٌّ مَحَلٌّ ذِكْرُكَ مِنْ لِسَانِي وَقَلْبِي حِينَ أَخْلُو بِالْأَمَانِي
لَقَدْ أَضْبَعْتُ أَغْبِطُ كُلَّ عَيْنٍ تَعَانِيهَا فَتَسْمُدُ بِالْمِيَانِ

ولا طَرَبَ السُّنْدَوَانِي^(٢) على ابن الكرخي إذا غَنَى :

هَجَرْتَنِي نَمَ لَا كَلَّمْتَنِي أَبَدًا إِنْ كُنْتُ خُنْتُكَ فِي حَالٍ مِنْ الْحَالِ
فَلَا أَتَجَنَّبُ نَجْمًا فِي خِيَانَتِكَ وَلَا جَرَتْ خَطَرَةٌ مِنْهُ^(٣) عَلَى بَالٍ
فَسَوْغَنِي الْمَنَى كَيْمَا أَعِيشَ بِهَا ثُمَّ أَحْبَسِي الْبَذْلَ مَا أَطْلَقْتَ آمَالِي
أَوْ أَبْقِي ثَلَاثًا إِنْ كُنْتَ قَاتِلِي إِلَى مِنْكَ بِإِحْسَانٍ وَإِجْمَالٍ

ولا طَرَبَ الحريري الشاهد على حليّة جارية أبي عائد الكرخي إذا
أَخَذَتْ فِي هَزَارِهَا^(٤) ، وَاشْتَقَلَّتْ بِنَارِهَا وَغَنَّتْ :

قَالَتْ مُبْتَنِيَّةٌ لَمَّا جِئْتُ زَائِرَهَا^(٥) سَبْحَانَ خَالِقِنَا مَا كَانَ أَوْفَاكَ
وَعَدْتَنَا مَوْعِدًا ثَانِيًا^(٦) لَنَا عَجَلًا وَقَدْ مَضَى الْحَوْلُ عَنَّا مَا رَأَيْنَاكَ
إِنْ كُنْتَ ذَا غَرَضٍ أَوْ كُنْتَ ذَا مَرَضٍ أَوْ كُنْتَ ذَا خُسْلَةٍ أُخْرَى عَدَرْنَاكَ

ولا طَرَبَ أبي سعيد الصائغ على جاريته ظَلُومٍ إذا قَلَبَتْ لَحْنَهَا إِلَى حَلْقِهَا
وَاسْتَنْزَلَتْهُ^(٧) مِنَ الرَّأْسِ ، ثُمَّ أَوْقَعَتْ فَنَعَتْ :

(١) في (ب) زوعة ؛ وهو تحريف . وروعة من أحمان .

(٢) في (أ) السنودي . وفي (ب) : « السودي » . ولم نجد هاتين النسبتين فيما
راجعناه من كتب الأنساب ولعل الصواب ما أبناه والسندواني نسبة إلى السندية وهي قرية
بنوأي بفساد (٣) في (أ) مني ؛ وهو تحريف .

(٤) كذا وردت هذه العبارة التي بين هاتين علامتين في كلا الأصلين ؛ ولم تبين معناها
ولعله تحريف سواء ؛ إذا خلعت من عذارها .

(٥) كذا في ب والتي في (أ) أكبرها ؛ وهو تحريف .

(٦) في (ب) يتأبنا ؛ وفي (أ) فتأبنا ؛ وهو تحريف في كلتا النسختين .

(٧) عبارة « أ » واسترسلت من الرأس .

فِيَالِكَ نَظْرَةً أَوَدَّتْ بِعَقْلِي وَغَادَرَ سَهْمُهَا مِثْقَى جَرِيحَا
فَلَيْتَ مَلِيكَتِي جَادَتْ بِأُخْرَى وَأَعْلَمَ أَنَّهَا تَنَكَّا التُّرُوحَا
فَاتِمَا أَنْ يَكُونَ بِهَا شِفَاؤِي وَإِنَّمَا أَنْ أَمُوتَ فَاسْتَرِيحَا
ولا طرب الزُّهْرَى^(١) على خَلُوبٍ جارية أبي أيوب القَطَّانِ إِذَا أَهْلَتْ
وَأَسْتَهَلَّتْ ، نَمِ انْدَفَعْتَ وَغَنَّتْ :

إِذَا أَرَدْتُ سُؤْلًا كَانَ نَاصِرَكُمْ قَلْبِي وَمَا أَنَا مِنْ قَلْبِي بِمُنْتَصِرٍ
فَاكْثُرُوا أَوْ اتَّلُوا مِنْ إِسَاءَتِكُمْ^(٢) فَكُلُّ ذَلِكَ مَحْمُولٌ عَلَى الْقَدَرِ
وَضَعْتُ خَدِي لِأَدْنَى مَنْ يُطِيفُ بَكُمْ حَتَّى احْتَقَرْتُ وَمَا مِثْلِي بِمُحْتَقَرٍ
وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ الرِّزْبَانِيُّ شَيْخُنَا إِذَا سَمِعَ هَذَا جُنًّا وَاسْتَفَاثَ ، وَشَقَّ الْجَنِيبَ
وَحَوْلَى^(٣) وَقَالَ : يَا قَوْمُ أَمَا تَرَوْنَ إِلَى الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَحْنَفِ ، مَا يَكْفِيهِ أَنْ يَنْفَجِرَ
حَتَّى يَكْفُرَ ؟ مَتَى كَانَتِ الْقُبَاخُ وَالْفَضَاخُ وَالْعُيُوبُ وَالذُّنُوبُ^(٤) مَحْمُولَةً عَلَى
الْقَدَرِ ؟ وَمَتَى قَدَّرَ اللَّهُ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ وَقَدَّنَهِيَ عَنْهَا ، وَلَوْ قَدَّرَهَا كَانَ قَدَرَضَى
بِهَا ، وَلَوْ رَضَى بِهَا لَمَّا عَاقَبَ عَلَيْهَا ، لَعَنَ اللَّهُ الْفَزَلَ إِذَا شِيبَ بِمَجَانَةٍ ، وَالْمَجَانَةَ
إِذَا قُرِنَتْ بِمَا يَقْدَحُ فِي الدِّيَانَةِ . وَرَأَيْتُ أَبَا صَالِحٍ الْهَاشِمِيَّ يَقُولُ لَهُ : هَوَّنْ عَلَيْكَ
يَا شَيْخُ ، فَلَيْسَ هَذَا كُلُّهُ عَلَى مَا تَنْظُرُ ، الْقَدَرُ يَأْتِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، وَبِتَعَلُّقٍ
بِكُلِّ شَيْءٍ ، وَيَجْرِي بِكُلِّ شَيْءٍ ، وَهُوَ سِرُّ اللَّهِ الْمَكْتُومُ ، كَالْمِمْ^(٥) الَّذِي يَحِيطُ

(١) كَمَا فِي (ب) وَالَّذِي فِي (أ) الزَّنْدِيرِيُّ . ؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ إِذْ لَمْ نَجِدْ هَذِهِ النِّسْبَةَ
فِيهَا وَاجْتِمَاعَهُ مِنْ كُتُبِ الْأَنْسَابِ
(٢) فِي (أ) « مِنْ أَمْرِ يَكُم » ؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .
(٣) حَوْلَى ، أَيْ أَكْثَرَ مِنْ قَوْلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .
(٤) فِي (أ) « مِنَ الذُّنُوبِ » .
(٥) هَذِهِ الْكَلِمَةُ سَائِلَةٌ مِنْ (أ) .

بكل شيء ؛ وكل ما جاز أن يحيط به علم جاز أن يجزى به قدر ، وإذا جاز
لهذا جاز أن ينشره خبر ، وما هذا التضيق والتحارج في هذا المكان ، والشاعر
يَهْزِلُ وَيَجِدُّ ، وَيَقْرُبُ وَيَبْعُدُ ، وَيُصِيبُ وَيُخْطِئُ ، ولا يؤاخذ بما يؤاخذ به
الرجل الديان ، والعالم ذو البيان .

ولا طَرَبَ ابن التَّهْدِيَّ على جارية بنت خاقان المشهورة بقلوة إذا غنت :
أُرْوَعُ^(١) حين يأتي الرسولُ وأُكْمَدُ^(٢) حين لا يأتي الرسولُ
أؤمِّلُكم وقد أبقنتُ أني إلى تكذيبِ آمالي أوولُ
ولا طَرَبَ أبي طاهر بن المقنن^(٣) المدلل على علوان^(٤) غلام ابن عرْس فانه
إذا حَضَرَ وألقى إزاره ، وحلَّ أزراره ، وقال لأهل المجلس : اقترحوا وأستفتحو
فإني ولدتُكم بل عبْدُكم لأخدمكم^(٥) بغنائِي ، وأتقرَّب إليكم بولائي ، وأساعِدُكم^(٦)
على رُخْصَى وغِلَافِي ؛ مَنْ أَرَادَنِي مَرَّةً أَرَدْتُهُ مَرَّاتٍ ، ومن أَحْبَبَنِي رِيَاءً أَحْبَبْتُهُ
إِخْلَاصًا ، وَمَنْ بَلَغَ بِي بَلَفْتُ بِهِ ؛ لَمْ أَنْجَلْ عَلَيْكُمْ بِحُسْنِي^(٧) وظرفي ، ولم أنفس^(٨)
بهما عليكم ، وإنما خلقتُ لكم ، ولم أغاضِبْكم^(٩) وأنا أملكُكم غدا إذا بَقِلَ^(١٠)

(١) في كلتا النسخين « أودع » ؛ وهو تحريف .

(٢) في (١) « وأكره » ؛ وهو تحريف .

(٣) في (١) ابن النبي ، وهو تحريف ؛ إذ لم نجد هذه النسبة فيما راجعناه من معجمات النسب .

(٤) في (١) « علون » ، وهو تحريف .

(٥) في (١) « ألقمكم » وفي ب « أفديكم » وما أثبتناه هو ما كتبه المصحح في ب

حاشية الصنعة .

(٦) في (١) « وأشاعركم » ، وهو تحريف .

(٧) في (١) « تمسني » ، وهو تحريف .

(٨) أنفس بهما عليك ، أي أضن .

(٩) في ب « أعاصيكم » ، والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(١٠) في (١) « ثقل » بقاء الثلاثة ، وهو تصحيف . وبقل وجه الفلام ، أ

خرجت لحيته .

وَجِئِي ، وَتَدَلِّي سِبَالِي ، وَوَلِّي جَمَالِي ، وَتَكَسَّرْ خَدِّي ، وَتَعَوِّجْ قَدِّي ، مَا أَصْنَعُ ؟
 حَاجَتِي إِلَهِكُمْ غَدَا أَشَدَّ مِنْ حَاجَتِكُمْ إِلَيَّ الْيَوْمَ ، لَعَنَ اللَّهُ سُوءَ الْخَلْقِ ، وَعُسْرَ
 الطَّبَّاعِ ، وَقَلَّةَ الرِّعَايَةِ ، وَأُسْتَحْصَانَ الْقَدَرِ . فَيَمُرُّ فِي هَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ كَلَامٌ كَثِيرٌ ،
 فَلَا يَبْقَى مِنَ الْجَمَاعَةِ أَحَدٌ إِلَّا وَيَنْبِضُ عِرْقُهُ ، وَيَهْشُ فُؤَادُهُ ، [وَيَذْ كُوطْمُهُ]
 وَيَفْسِكُهُ قَلْبُهُ ، وَبِتَحْرُكِ مَا كُنْهُ ، وَيَتَدَغْدَغُ رُؤُوسُهُ ^(١) ، وَيُؤْمِي إِلَيْهِ بِقُبْلَتِهِ ،
 وَيَفْزِزُهُ بِطَرْفِهِ ، وَيَخْصُهُ بِتَحِيَّةٍ ، وَيَعِدُّهُ بِعَطِيَّةٍ ، وَيُقَابِلُهُ بِمَدْحَةٍ ، وَيَضْمَنُ لَهُ
 مِئْنَةً ، وَيَعُوِّدُهُ بِلِسَانِهِ ، وَيُفَضِّلُهُ عَلَى أَقْرَانِهِ ، وَيَرَاهُ وَاحِدًا أَهْلَ زَمَانِهِ ؛ فَيُزِي
 ابْنُ الْمُقَنَّنِيِّ وَقَدْ طَارَ فِي الْجَوِّ ، وَخَلَقَ فِي الشَّكَاكِ ^(٢) ، وَلَقَطَ بِأَنَامِلِهِ النُّجُومَ ؛
 وَأَقْبَلَ عَلَى الْجَمَاعَةِ بِفَرْحِ الْمَشَاشَةِ ^(٣) ، وَمَرَّحَ الْبَشَاشَةَ ^(٤) ، فَيَقُولُ : كَيْفَ تَرُونَ
 اخْتِيَارِي ^(٥) ؟ وَأَيْنَ فَرَّاسَتِي مِنْ فَرَّاسَةِ غَيْرِي ، أَيْ اللَّهُ لِي إِلَّا مَا بَرِئْتَنِي ،
 وَلَا يَشِينُنِي ، وَيزِيدُنِي فِي جَمَالِي ، وَلَا يَنْقُصُنِي مِنْ حَالِي ؛ وَيُقَرِّعُنِي وَلُحِي ، وَيَقْصِمُ
 ظَهَرَ عَدُوِّي ؛ هَاتِ يَا غَلَامُ ذَلِكَ التَّوْبَ الدَّيْبِيَّ ^(٦) ، وَذَلِكَ الْبُرْدَ الشَّطْوِيَّ ^(٧) ،
 وَذَلِكَ الْقُرُوجَ ^(٨) ، وَتِلْكَ السُّكَّةَ ^(٩) ، وَتِلْكَ الْمَطْيِيَّةَ ، وَابْخُورَ الْمَذْخَرَفِ
 الْحَقَّةَ ^(١٠) ، وَهَاتِ الدِّينَارَ الَّذِي فِيهِ مِائَةُ مِثْقَالٍ أَهْدَاهُ لَنَا أَمْسَ أَبُو الْعَلَاءِ الصِّيرَفِيُّ

(١) الدغدغة والزعزعة كلا اللفظين بمعنى واحد ، والمراد هنا انبساط الروح وهشاشته .

(٢) السكاك : الجو . وفي (١) الشكاك بالعين المسجمة وفي ب « السكال » باللام في آخره وهو تحريف في كلتا النسخين .

(٣) في (١) « السياسة » مكان « المشاشة » ، وهو تحريف .

(٤) في (١) « أخباري » ، وهو تصحيف .

(٥) الديبقي من دق الثياب ، منسوب إلى قرية بمصر كان ينسج فيها اسمها ديبقي .

(٦) الشطوي نسبة إلى شطا قرية بمصر كانت تنسج فيها هذه الثياب .

(٧) القروج قباء فيه شق من خلقه .

(٨) في ب « السكة » ، وهو تحريف ، والسك : ضرب من الطيب معروف ، وقد

ذكره صاحب نهاية الأرب في الجزء الثاني عصر الطبعة الأولى وذكر كيفية عمله ونوع

في ذلك فانظره . (٩) في (١) « مع الحققة » وقوله « مع » خطأ من الناسخ .

فإنه يكفيه لشفقة أسبوع ؛ ما أحسن سِكَته ، وأخلى نَفْسه ! ما رأيتُ في حُسْنِ
 أُسْتِدَارَتِهِ شَيْهاً^(١) ، وَعَجَلٌ لَنَا يَا غلامُ ما أَدْرَكَ عِنْدَ الطَّبَّاخِ ، من الدَّجَاجِ
 والفِرَاحِ ؛ والبوارِدِ^(٢) والجَوَزِيَّاتِ^(٣) وتَرايِن المائدة ؛ وصِل ذلك بشراء أَمْراطٍ^(٤)
 وجَبِنِ^(٥) وزَيْتون من عند كبل^(٦) البَقَالِ في السَّكَرَنِخِ ، وقطائف حَبَشِ ، وقالوذج
 عُمَرُ ، وَقَفَّاعٌ^(٧) زُرْبِقُ ، وَمُخَلَّطٌ^(٨) خُراسان من عِنْدِ أَبِي زُنْبُورِ ، ولو كُنَّا نَشْرَبُ
 لَقُلْنَا : وشَرابِ صَرِيفين^(٩) مِن عِنْدِ ابْنِ سُورِينِ^(١٠) ، ولكن إِنْ أَحْبَبْتُمْ أَنْ أُخْضِرَ
 بِسَبِّبِكُمْ ومن أَجْلِكُمْ فليس في الفُتُوَّةِ أَنْ ائْتَمَّكُمْ مِنْ أَرِيكُمْ^(١١) بسببِ نَقْلِ رُوحِي
 وَقِلَّةِ مُسَاعَدَتِي ، لَمَنْ اللهُ الشَّهَادَةَ ، فَقَدْ حَجَبْتَنِي عَنْ كُلِّ شَهْوَةٍ وَإِرَادَةٍ ؛
 وما أَعرِفُ في التَّدَالَةِ ، إِلَّا مَوْتَ الطَّلِبَةِ^(١٢) وَالْعَلَالَةِ .

وما أَحْسَنَ ما قَالَ مَنْ قال :

ما العَيْشُ إِلَّا في جُنُونِ الصَّيِّ فَإِنْ تَوَلَّى فُجِنُونِ المُدَامِ
 هذا كُلُّهُ يَمُرُّ وما هو أَشْجَى مِنْهُ وَأَرْقُ ، وَأَعْجَبُ وَأَظْهَرُ ، ثُمَّ يَنْدَفِعُ
 حُلُوانٌ وَيَغْنَى في أبياتٍ بَشَّارِ :

(١) في كلتا النسختين « شَيْهاً » .

(٢) في ب « والنواد » . ولعل المراد بالبوارِدِ ما يؤكل من الأَطْمَةِ بارداً .

(٣) الجوزيات أنواع من الأَطْمَةِ تصنع من الجوز . وفي كلتا النسختين والجوزيات ، وهو تحريف . (٤) في كلتا النسختين « قِراط » . ولم نجد من معانيه ما يناسب السياق ، ولعل سوابه ما أثبتنا ، والأقراط جمع قرط بكسر أوله وسكون ثانيه . وهو نوع من الكراث يقال له كراث المائدة . (٥) في (١) و « خبز » ، وهو تحريف .

(٦) كذا ورد هذا الاسم في كلتا النسختين ولم نتبين وجه الصواب فيه بعد طول المراجعة والبحث . (٧) القفَّاع ، شراب يتخذ من الشعير .

(٨) مخلط خراسان طعام يصنع من أنواع شتى .

(٩) صريفين : من قرى بغداد تنسب إليها الخمر . (١٠) لقنا ورد هذا الاسم

في كلتا النسختين . (١١) في ب « من لذتكم » والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(١٢) في كلتا النسختين « الطينة » ، وهو تحريف .

أَلَا يَا قَوْمُ خَلَوْنِي وَشَانِي فَلَسْتُ بِتَارِكٍ حُبِّ التَّوَانِي
 نَهَوْنِي يَا عُبَيْدَةَ عَنْ هَوَاكُم فَلَمْ أَقْبَلْ مَقَالَةَ مَنْ نَهَانِي
 فَإِنْ لَمْ تُسْعِفْنِي فَعِدْدِي وَمَتَّى خِدَاعًا لَا أُمُوتُ عَلَى بَيَانٍ^(١)
 وَلَا طَرَبَ أَبِي سَعِيدٍ الرَّقِّيَّ عَلَى غِنَاءِ مَذْكَورَةٍ إِذَا انْدَفَعَتْ وَغَنَّتْ :
 سَرَرْتُ بِهَجْرِكَ لَمَّا عَلِمْتُ أَنَّ لِقَابِكَ فِيهِ سُرُورًا
 وَلَوْلَا سُرُورُكَ مَا سَرَرْتَنِي وَلَا كَانَ قَلْبِي عَلَيْهِ صَبُورًا
 وَلَكِنْ أَرَى كُلَّ مَا سَاءَنِي إِذَا كَانَ يُرْضِيكَ سَهْلًا سَيِّئًا
 وَلَا طَرَبَ ابْنَ مَيَّاسٍ عَلَى غِنَاءِ حَبَابَةِ جَارِيَةٍ أَبِي تَمَامٍ إِذَا غَنَّتْ :
 صَدَدْنَا كَأَنَّا لَا مَوَدَّةَ بَيْنَنَا عَلَى أَنَّ طَرَفَ الْقَيْنِ لَا بُدَّ فَاضِحُ
 وَمَدَّ إِلَيْنَا الْكَاشِحُونَ عُيُونَهُمْ فَلَمْ يَبْدُ مِنَّا مَا حَوَتْهُ الْجَوَائِحُ
 وَصَاحَتْ مِنْ لَاقِيَتٍ فِي الْبَيْتِ غَيْرَهَا وَكُلُّ الْهَوَىِّ مِثْلِي لَنْ لَا^(٢) أَصَافِحُ
 وَحَبَابَةُ هَذِهِ كَانَتْ تَنُوحُ أَيْضًا ، وَكَانَتْ فِي التَّنُوحِ وَاحِدَةً لَا أُخْتَ لَهَا ،
 وَالنَّاسُ بِالْعِرَاقِ تَهَالَكُوا عَلَى نَوْحِهَا ، وَلَوْلَا أَنِّي أَكْرَهَ ذِكْرَهُ لَرَقَعْتُ الْحَدِيثَ
 بِهِ . وَقَدَّمَ مِنْ شَأْنِ^(٣) خُرَّاسَانَ أَبُو مُسْلِمٍ — وَكَانَ فِي مَرْتَبَةِ الْأَمْرَاءِ —
 فَاشْتَرَاهَا بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ مِعْزِيَّةً^(٤) ، وَخَرَجَ بِهَا إِلَى الْمَشْرِقِ ، فَقِيلَ : إِنَّهَا لَمْ
 تَعْسَ بِهِ إِلَّا دُونَ سَنَةٍ لَكَيْدٍ لِحَقِّهَا ، وَهَوَىٰ لَهَا بِبَعْدَادٍ مَاتَتْ مِنْهُ .

(١) بيان بكسر الباء : مصدر بانه أى فارقه ، أى لا أُموت على قطعة وفرة .

(٢) عبارة (١) : « متى لم أصفح » ؛ وهو تحريف .

(٣) في كلتا النسخين : « ساس » بمهملتين ؛ وهو تصحيف . والناس بمجمعتين :

قرية بما وراء النهر ثم ما وراء نهر سيحون .

(٤) في (١) : « عربة » ؛ وفي (ب) : « غزوة » ؛ وهو تحريف في كلتا النسخين

إذ لم نجد ذلك فيما راجعناه من الكتب المؤلفة في النقود ، ولعل صوابه ما أثبتنا . والمعزة
 سبة إلى معزة الدولة البويهية .

ورأيتُ لها أختاً يُقال لها صَبَابَةٌ ، وكانت في العُسن والجمال فوقها ، وفي الصنعة والحِذْق دونها ، وزَلَزَلَتْ هذه بغدادَ في وَقِتها ، ولم يكنْ للنَّاسِ غيرُ حديقِها ، لنواديرِها ، وحاضِرِ جوابِها ، وحِدَّةِ مِزاجِها ، وسُرْعَةِ حركِتها ، بغيرِ طَبَشٍ ولا إِفراطٍ ، وهذه شِمالُ إِذَا أَتَفَقَّتْ في الجَواري الصانعاتِ المُحسِناتِ خَلْبَنَ المَقول ، وَخَلَسَنَ القلوب ، [وَسَمَرَنَ السُّدور] ، وَعَجَلَنَ بَعْشَاتِهِنَّ إِلَى القُبور . ولا طَرَبَ الكِنَانِي المَقْرئُ الشَّيخُ الصالحُ على غِناءِ هذه ^(١) في صَوْتِها ^(٢)

المعروف بها :

مهود الصبي حاجت لي اليومَ لوعةً وذكرُ سُلَيْمَى حين لا يَنْفَعُ الذِّكرُ
بأرضٍ بها كان الهوى غيرَ عازِبٍ لَدَيْنَا وَغَضُّ ^(٣) العُشِّ مُهْتَصِرٌ نَفْسُ
كأنْ لم نَعِشْ يوماً بأجراعٍ يَبِشَّةٍ بأرضٍ بها أَنشَأَ ^(٤) شَيْبَتُنَا الدَّهْرُ
بلى إن هذا الدهرَ فَرَّقَ بَيْنَنَا وأى جَمِيعٍ لا يَفْرُقُهُ الدَّهْرُ
ولا طَرَبَ غلامُ بابا على جارية [أُمِّي] طلحة الشاهد ^(٥) في سُوْقِ ^(٦)
الطَّشِّ إِذَا غَنَّتْ :

لَيْتَ شِعْرِي بِكَ هَلْ تَه لَمْ أَقِ لَكَ عَانِي
فلقد أَسْرَرْتُهُ مِنْ لَكَ وَأَطْلَعْتُ الْأَمَانِي
وَوَهَّمْتُكَ فِي نَفْ سِي فَنَاجَاكَ لِسَانِي
فَأَجْتَمَعْنَا وَأَفْتَرَقْنَا بِالْأَمَانِي فِي مَكَانِ

(١) هذه ، أى صِبَاةُ السابق ذَكَرَها .

(٢) في (ب) : « وَضَرِبَهَا » ؛ وهو تحريف . (٣) في (أ) : « وَغَضِنَ » .

(٤) في (أ) : « أَنَا » ؛ وهو نصيف . وَأَنشَأَ ، أى أَنشَأَ بِالْمَعْرِفَةِ .

(٥) عبارة (أ) : « السَّاهِقِ » ؛ وهو تحريف .

(٦) سوق العطش : محلة كبيرة كانت ببغداد بالجانب الشرقي بين الرصافة ونهر المثل ،

وقيل : إن سوق العطش كانت بين باب القباسية والرصافة .

ولوذ كَرَّتْ هذه الأطراب من المستمعين ، والأغاني من الرجال والصبيان
والجواري والحرثاء — لَطَّالٌ وأَمَلٌ ، وزاحمتُ كلَّ من صَنَّفَ كتاباً في الأغاني
والألحان ، وعهدى^(١) بهذا الحديث سنة ستين وثلاثمائة .

وقد أَحْصَيْنَا — ونحن جماعة في الكَرْنَج — أربعمائة وستين جارية
في الجانبين^(٢) ، ومائة وعشرين حُرَّةً ، وخمسة وتسعين من الصبيان البُدُور ،
يجمعون بين الحَذَق والحُسْن والظَرْف والعِشرة ، هذا سِوَى مَنْ كُنَّا لَا نَظْفُرُ
به وَلَا نَصِلُ إِلَيْهِ لِمِزْتِهِ وَحَرَسِهِ وَرُتْبَاتِهِ ، وَسِوَى مَا كُنَّا نَسْمَعُهُ مِمَّنْ لَا يَتَظَاهَرُ
بِالْفِئَاءِ وَبِالضَّرْبِ إِلَّا إِذَا نَشِطَ فِي وَقْتٍ ، أَوْ تَمَلَّ فِي حَالٍ ، وَخَلَعَ الْمِذَازَ فِي
هَوًى قَدْ حَالَفَهُ وَأَضْنَاهُ ، وَتَرَنَّمَ وَأَوْقَعَ ، وَهَزَّ رَأْسَهُ ، وَصَدَّدَ أَغْنَاهُ ، وَأَطْرَبَ
جُلَاسَهُ ، وَأَسْتَكْتَمَهُمْ حَالَهُ ، وَكَشَفَ عَنْهُمْ حِجَابَهُ ، وَأَدْعَى الثَّقَةَ بِهِمْ ،
وَالِاسْتِنَامَةَ إِلَى حِفَاطِهِمْ .

(٣) ثم إنى أرجعُ إلى مُنْقَطَعِ الكلام في الصَّفحة الأولى من هذا الجزء الثالث
وَأَصِلُهُ بِالدُّعَاءِ الَّذِي أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَقْبَلَهُ فَيْكَ ، وَيَحَقِّقَهُ لَكَ وَبِكَ ، وَأَقُولُ :
وَأَبْقَاكَ لِي خَاصَّةً ، فَقَدْ تَعَصَّيْتَ لِي غَائِبًا وَشَاهِدًا ، وَتَعَمَّيْتَ^(٤) بِسَبْئِي سِرًّا
وَجَهْرًا ، وَبَدَأْتَ بِالتَّفَضُّلِ ، وَعُدْتَ بِالْإِفْضَالِ ، وَتَظَاهَرْتَ بِالْفَضْلِ ؛ فَإِنْ
أَسْتَزِدُّكَ فَلَنُفِّمَهُمْ^(٥) الَّذِي قَدْ يَخْلُو^(٦) مِنْهُ بَشَرٌ ، وَإِنْ تَغْلَطْتُ فَلِلدَّالَةِ الَّتِي تَغْلَطُ بِهَا

(١) في كلتا السختين « فلمهدى » واللام زيادة من الناسخ .

(٢) في (١) : « الحلتين » ؛ وهو تحريف .

(٣) في (١) : « وتعمت بسني » ؛ وهو تحريف في كلا اللفظين . والمراد بتعمت
وتعصت واحد ، إذ أن مأخذ اللفظين من العبادة والهمة اللتين كانتا تلبسان في الحرب يعلم
بهما الفارس نفسه بين الأفران . فتجوز في منيبيهما واستعصلا في انتصار المرء لصديقه ودفاعه
عنه في الحرب وفي غيرها . (٤) في نسخة : « فالعمره » . والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٥) في (ب) : « يخلص » . والمعنى يستقيم عليه أيضا .

الخدم^(١) ، وإن خاشت^(٢) فليثقة بحسن الإجاب^(٣) ، وإن غالطت^(٤) فليعلمى
 بغالب الحلم وفرط الاحتمال ، وما أفترق الكرم والتفاضل قط ، وما أفترق
 المجد والكيس قط ، وليس إلا أن يظلم السيد نفسه لقبه في الحقوق
 اللازمة وغير اللازمة ، ويعرض عن الحجة وإن كانت له ؛ والناس يقولون :
 الحق مر ، وأنا أقول : السود مر ، والرئاسة ثقيلة ، والنزول تحت الغبن
 شديد ؛ لكن ذلك كله منبت العز ، ودليل على صحة الأصل ، وباب إلى
 اكتساب الحمد ، وإشادة الذكر ، وإبعاد الصيت ؛ ومكرم النفس بإهانة
 المال وبذل الجاه وإيثار^(٥) التواضع أربح تجارة ، وأحقى حريما ، وأهز
 ناصرا من مهن النفس بصيانة المال وحسن الجاه وأستعمال التكبر ؛ هذا
 ما لا يشك فيه أحد وإن أباه طباعه ، ولم يساعده اختياره ، وكان في طينه
 يئس ، وفي منبته شوك ، وفي عرقه خور ، وفي خلقه تيه .

وقد رأيت ناسا من عظماء أهل الفضل والروعة عابوا مذهب الرجل الذي
 ما كس في شيء تافه يسير اشتراه . قيل له : أنت تهب أضفاف هذا ، فما هذا
 المكاس ؟ ! فقال : هذا عقى أبحل به ، وتلك مروة أجد بها .
 وأكثر الناس الذين لم يغوروا في التجارب ، ولا أجدوا^(٦) في الحقائق ،
 يرون هذا حكمة تامة ، وفضيلة شريفة .

(١) في (١) : « يغلط بها الحزم » . ولهذه العبارة معنى غير مستبعد ، غير أن ما أثبتناه
 في صلب الكتاب أظهر وأصح . (٢) في (١) : « حاسبت » . وفي (ب) :
 « حاشيت » ؛ وهو تصحيف في كلتا النسختين إذ لا معنى لكلا اللفظين يناسب السياق . ولعل
 الصواب ما أثبتنا . (٣) الإجاب (بهمز طبع) : الإجابة .
 (٤) في كلتا النسختين : « غالطت » بالطاء المهملة ؛ وهو تصحيف .
 (٥) في (١) : « ولاتيان » . (٦) في (١) : « ولا أتمدوا » ؛ ووردت
 هذه الكلمة في (ب) مطبوسة الحروف يتغير قراءتها ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

فأما الذين ذكرتهم في أوّل الحديث فإنهم قالوا : لا تتمُّ المروءةُ وصاحبها
يَنْظُرُ في الدقيقِ الحقيرِ ، ويُعيدُ القولَ ويُبَدِّلهُ في الشيءِ التَّزَرُّ^(١) الذي
لا مَرَدَّ له ظاهرٌ ، ولا جَدْوَى حاضرة .

وذكروا أيضاً أنَّ العقلَ أَشْرَفُ من أن يُنْذَلَ^(٢) في مثَلِ هذه الحالِ ،
ويُستخدَمُ على هذا الوجه ، قالوا : هَذَا وما هو في بابهِ بالكَيْسِ أَشْبَهَ ،
والكَيْسُ يُحَمَّدُ في الصَّبَّانِ ، وهو من مبادئِ اللُّؤْمِ ، وفَوَاحِشِ الصُّلُوقِ ،
وقد قال الأوّل :

وقد يَتَغَابَى المَرْءُ عن عَظَمِ مالِهِ ومن تَحْتَ بُرْدَيْهِ المَغِيرَةُ أو عَمْرُو^(٣)
ولذلك يُقال للحيوان الذي لا يَنْطِقُ : هو كَيْسٌ .

هَذَا والله الصَّدَقُ ، فإنِّي سمعتُ بِمَكَّةَ أَعْرَابِيًّا يقول : مَا أَكَيْسَ هَذَا
الْفِطْ^(٤) ؟ !

قالوا : ولذلك لا يُقال للشَّيْخِ المَجْرُبِ والحَكِيمِ البَلِيعِ والأَصِيلِ في الشَّرَفِ
والمَشْهُورِ بِالزَّامَةِ^(٥) والسَّكِينَةِ : كَيْسٌ . والكَيْسُ هو وَحْدَةُ الحِيسِ في طَلَبِ
الْمَثَالَةِ ودَفْعِ الكَرِيهَةِ وبلوغ^(٦) الشَّهْوَةِ . والحِيسُ بعيدٌ من العَقْلِ ، والعَالِي
في الحِيسِ كَأَنَّهُ يَرْتَقِي في وادِي الحيوان الذي لا نُطْقَ له^(٧) ، والعَالِي في العَقْلِ

(١) في (١) : « المتزدد » ؛ وهو تحريف .

(٢) في (١) : « يذال » بالهمزة ؛ وهو تصحيف .

(٣) يريد المغيرة بن شعبة وممرو بن العاص ؛ ويشير إلى ما كانا يعرفان به من الدعاء
والذكاء . وفي (١) : ابن ممرو ؛ وهو تحريف .

(٤) في (١) : الفط ؛ وهو تصحيف .

(٥) في (١) : بالزمامة ؛ وهو تصحيف . وفي (ب) : بالديانة ؛ وما أبتناه أنسب

بقوله بعد : والسكينة . (٦) في (ب) : واتباع .

(٧) في (١) : التي ينطق له ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى .

كَأَنَّهُ مَعْلُومٌ فِي وَادِي الْمَلَكِ الَّذِي لَا حِسَّ لَهُ ، وَالْمَلَكُ لَمْ يَقْدَمَ الْحِسَّ لِنَقْصِهِ ، وَلَكِنْ لِكَمَالِهِ ، لِأَنَّهُ غَفَى عَنْهُ ، كَمَا أَنَّ الْحَارَّ لَمْ يَقْدَمَ الْعَقْلَ لِكَمَالِهِ ، وَلَكِنْ لِنَقْصِهِ [وَلَمَّا لَمْ يَرُدَّ مِنَ الْحَارِّ أَنْ يَكُونَ إِنْسَانًا جَبِلَ عَلَى مَا هُوَ لَهُ وَبِهِ كَامِلٌ فِي نَقْصِهِ ، أَيْ هُوَ كَامِلٌ بِمَا هُوَ بِهِ حَارٌّ وَنَاقِصٌ بِمَا لَيْسَ هُوَ بِهِ إِنْسَانًا] ؛ وَلَمَّا لَمْ يَرُدَّ مِنَ الْإِنْسَانِ أَنْ يَكُونَ حَارًّا خُفِظَ عَلَيْهِ مَا هُوَ بِهِ إِنْسَانٌ ، وَدُرِّجَ إِلَى كَمَالِ الْمَلَكِ الَّذِي هُوَ بِهِ شَبِيهِ ؛ وَهَذَا التَّدْرِيجُ طَرِيقُهُ عَلَى الْإِخْتِيَارِ [الْجَيِّدِ] وَالتَّوْفِيقِ السَّابِقِ .

وَبَعْدَتْ — جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ — عَنْ مَنَهِجِ الْقَوْلِ وَسَنَنَ^(١) الْحَدِيثِ ، وَأَطَعْتُ دَاعِيَةَ الْوَسْوَاسِ ، وَذَهَبْتُ مَعَ سَارِجِ الْوَهْمِ ؛ وَقَدْ قِيلَ : « الْحَدِيثُ ذُو شُجُونٍ » .

وَقَدْ قَالَ الْأَوَّلُ :

وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مَتَى كُلِّ حَاجَةٍ وَمَسَّحَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحٌ
أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَعْلِيِّ الْأَبَاطِحِ
فَأَرْجِعْ [وَأَقُولُ] :

قَدْ أَوْصَلْتُ إِلَيْكَ الْجَزَائِنَ الْأَوَّلَ وَالثَّانِيَّ عَلَى يَدِ غَلَامِكَ فَاتَّقِ ؛ وَهَذَا الْجُزْءُ — وَهُوَ الثَّالِثُ — قَدْ وَاللَّهِ نَفَثْتُ^(٢) فِيهِ كُلَّ مَا كَانَ فِي نَفْسِي مِنْ جِدَرٍ وَهَزَلٍ ، وَغَتٍّ وَسَمِينٍ ، وَشَاحِبٍ وَنَضِيرٍ ، وَفُكَاةٍ وَطِيبٍ ، وَأَدَبٍ وَاحْتِجَاجٍ ، وَأَعْتَذَارٍ وَأَعْتِلَالٍ وَأُسْتِدْلَالٍ ، وَأَشْيَاءَ مِنْ طَرِيفِ^(٣) الْمُمَالَحَةِ عَلَى مَا رُسِمَ لِي ،

(١) فِي (١) : « عَنْ سَنَنٍ » ؛ وَقَوْلُهُ : « عَنْ » زِيَادَةٌ مِنَ النَّاسِخِ ؛ وَالصَّوَابُ مَا أَتَيْنَا .

(٢) فِي (١) : « بَقِيت » ؛ وَهُوَ تَصْغِيرٌ .

(٣) فِي نَسْخَةِ : « مِنْ حَدِيثٍ » .

وطلُبَ مِنِّي ؛ ولأنه آخرُ الكتابِ خَتَمَتْهُ رسالةٌ وَصَلَتْهَا بكلامٍ في خاصِّ أمرى سَقَفَ عليه ، وتَسْتَأْنَفُ نَظْرًا في حَالِي ، يكون — إن شاء الله — كَطَفَى بكَ ، ورجاؤى فيكَ ؛ وفيه بعضُ العَرَبِدةِ^(١) لم أخرج منه إلى كفرانٍ لنعمة ، ولا جَعْدٍ لإحسان ، ولا سِتْرٍ لِيَدٍ ، ولا إنكارٍ لمعروف ، ولا شَكٍّ في عناية ؛ وإنما تكلمت على مَذْهَبِ الدِّلِّ القِلِّ الذى يَبْعَثُهُ إِفْلَاقُهُ على تَجَاوُزِ قَدْرِهِ بالدَّالةِ ، ويرِيعُ^(٢) به إِدْلالَهُ عن حُسْنِ أدبِهِ بِفِرَاطِ الثَّقَةِ ؛ ورُبَّ واثِقٍ خَجِلٍ ؛ وبالله المَعَاذُ مِنْ ذَلِكَ ، وفي الحَالِينِ صاحِبُ هَذَا المَذْهَبِ لَا يَخْلُو مِنْ وِلَادِهِ صَمِيحِ المُتَقَبِّ ، وعقيدةِ كَسِيكَرِ الذَّهَبِ ؛ وأنتَ بِكَرَمِ^(٣) طِبَاعِكَ ، وَسَعَةِ باعِكَ ، تَجَبَّرُ تَقْصِي ، وتَأْسُو ما غَثَ^(٤) مِنْ جِراحِي ، وأماتَ أَهْماءِي ؛ وَمَنْ كانَ إِحْسانُكَ إِلَيْهِ مَشْكُورًا ، وَتَقْذِيرُكَ^(٥) عِنْدَهُ مَسْتُورًا ، لَعَلِّيقُ أَنْ يَكُونَ على بَالِكَ خَاطِرًا ، وبِلِسانِكَ مَذْكَورًا ، والسلام .

وها أنا آخِذٌ في نَشْرِ ما جَرَى على وَجْهِهِ إِلَّا ما أَقْتَضَى مِنَ الزِّيَادَةِ في الإِبانةِ والتَّقريبِ ، والشرحِ والتَّكْشِيفِ .

وقد جَمَعْتُ لَكَ جَمِيعَ ما شَهِدْتُهُ في هَذِهِ المَدَّةِ الطَّوِيلَةِ ، لِيَكُونَ حَظُّكَ مِنَ الكَرَمِ والمَجْدِ مَوْفُورًا ، ونَصِيبِي مِنْ أَهْماءِكَ بِأَمْرِي وَجَذْبِكَ بِبِاعِي

(١) في (أ) : « الفرقة » ؛ وهو تحريف .

(٢) يرِيع ، أى يرجع . وفي (أ) : « ويرفع » ؛ ولا معنى له يناسب السياق .

(٣) في (أ) : « تكثر من » ؛ وهو تحريف .

(٤) في (أ) : « ما غب » ؛ وهو تصحيف . وغث الجرح ، أى سال غثيته ، وهو

مدته وقبحه .

(٥) وردت هذه الكلمة في (أ) مهملة المحروف من النقط . ووردت في (ب) :

« وتقذيرك » . وما أثبتناه هو مقتضى السياق . والتقدير : التصغير .

وإِذَا ذَكَ إِيَّائِي مِنْ أَسْرَى تَامًا ، فَظَنِّي وَعِدْتُ بِأَنْتَكَ تَبْلُغُ بِي مَا آمَلُهُ فِيكَ
وَتَجَاوِزُهُ وَتَتَطَاوَلُ إِلَى مَا قُوَّتُهُ ، لِأَزْدَادٍ عَجَبًا مِمَّا خَصَّكَ اللَّهُ بِهِ ، وَأَفْرَدَكَ
فِيهِ ؛ وَأَتَحَدَّثَ عَلَى سِرِّ الْأَيَّامِ بِغَرِيبِهِ ، وَأُحِثُّ كُلَّ مَنْ أَرَاهُ بِعَدْلِكَ عَلَى
سُلُوكِ طَرِيقِكَ فِي الْخَيْرِ ، وَلُزُومِ مَنِهَاجِكَ فِي الْجَمِيلِ ، وَالْدِّيْنُوَّةِ بِمَذْهَبِكَ
الْمُسْتَقِيمِ ، وَأُكَادُ أَصْحَابَنَا بَيِّضَادُ ؛ وَأَقُولُ [لهم] : هل كان في حُصْبَانِكُمْ أَنْ
يَطْلُعَ عَلَيْكُمْ مِنَ الشَّرْقِ مَنْ يَزِيدُ^(١) ظَرْفَهُ عَلَى ظَرْفِكُمْ ، « وَيَنْقُدُ »^(٢) يَعْلَمُهُ عَلَى
عَلَيْكُمْ ، وَيُبَرِّزُ هَذَا التَّبَرُّزَ فِي كُلِّ شَيْءٍ تَفْخَرُونَ^(٣) بِهِ عَلَى غَيْرِكُمْ ، فَأَنَاظِرُهُمْ
فِيكَ وَيَسْبَبُكَ^(٤) ، لَا مُنَاطَرَةَ الْحَنْبَلِيِّينَ مَعَ الطَّبَرِيِّينَ ؛ وَأَتَقَصَّبُ لَكَ ،
لَا تَمَّصَّبُ الْمُفْضَلِيِّينَ^(٥) وَالْبَرْغَوِيِّينَ^(٦) ؛ وَأُجَادِلُ مَنْ أَجْلِكَ ، لَا جَدَلَ
الزَّيْدِيِّينَ^(٧) مَعَ الْإِمَامِيِّينَ^(٨) ؛ وَأَدْعِي فِي فُضَائِكَ الظَّاهِرَةَ وَالْبَاطِنَةَ دَعْوَى أَقْوَى
مِنْ دَعْوَى الشَّيْعِيِّينَ ؛ وَأَضْرِبُ فِي ذَلِكَ كُلِّ مَثَلٍ ، وَأُسْتَعِينُ بِكُلِّ سَجْعٍ ،

(١) في (١) : « يرتد طرفه على طرفكم » ؛ وهو تصحيف في هذه الكلمات الثلاث .

(٢) كذا وردت هذه العبارة التي بين هاتين الملامتين في (١) والمقابلة عليها « يستقيم » .

والذي في (ب) : « وينقد بعلمه في علمكم » ؛ وفي قوله : « وينقد » بالالف والذال تصحيف
ظاهر سواه : « وينفذ » . (٣) في (ب) : « محزون » ؛ وهو تحريف .

(٤) في كلتا النسختين : « وبسبك » ؛ وهو تصحيف .

(٥) المفضلون فرقة تنسب إلى المفضل بن عمرو من الشيعة الإمامية يقولون بأن الإمامة بعد
موسى بن جعفر قد انتقلت إلى ابنه محمد بن موسى . والمفضلون أيضاً فرقة أخرى تنسب إلى المفضل
الصيرفي ، وهذا قد قال : إن جعفر بن محمد إله ؛ فطرده ولحقه . والبرغوثيون فرقة من التجارة
أصحاب محمد بن الحسين النجار والبرغوثية هذه تنسب إلى محمد بن عيسى الملقب ببرغوث . والذي
في كلتا النسختين والمرعوشيين وهو تحريف سواه ما أثبتنا انظر (الملل والنحل) (وخبيثة
الأكوان) (ومسلم الدين) .

(٦) الزيدون أصحاب زيد بن علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهم وهذه الفرقة تقول :
إن الإمامة لأولاد فاطمة لا يشاركهم فيها أحد ولا يسوِّغون إمامة غيرهم . والإمامية فرقة من
الشيعة تقول إن الإمامة لعل بن أبي طالب بعد محمد صلى الله عليه وسلم نصاً وتصريحاً وإشارة
إليه بالعين .

وَأَزَوَى كُلَّ حَبْرٍ ، وَأَنْشِدُ كُلَّ بَيْتٍ ، وَأَعْبُرُ كُلَّ رُؤْيَا ، وَأَقِيمُ كُلَّ بُرْهَانٍ ،
وَأَسْتَشْهَدُ كُلَّ حَاضِرٍ وَغَائِبٍ ، وَأَتَأَوَّلُ كُلَّ مُشْكِلٍ وَغَامِضٍ ، وَأُضِيفُ إِلَيْكَ
الآيَةَ بَعْدَ الْآيَةِ ، وَالْمُعْجَزَةَ بَعْدَ الْمُعْجَزَةِ ، وَأَنْصَلْتُ ^(١) لِكُلِّ ضَرْبَةٍ ، وَأَدَّعَى كُلَّ
غَرِيبَةٍ ؛ هَذَا وَلَا أَخْطِئُ كَلَامِي بِالْهَزْلِ ، وَلَا أَشِينُ دَعْوَايَ بِالْمُحَالِ ، وَلَا أَبْهَدُ
الشَّاهِدَ ، وَلَا أُنَمِّقُ بِالْمُسْتَنْجِمِ ، وَلَا أَجْنَحُ إِلَى التَّلْفِيْقِ وَالتَّلْزِيْقِ ؛ وَكَيْفَ
لَا أَنْصَلُ هَذَا وَلِي فِي قَوْلِ الْحَقِّ فِيكَ مَتَدُوْحَةٌ ، وَفِي تَقْدِيْمِ الصَّدْقِ عَلَى غَيْرِهِ
كَفَايَةٌ ، وَفِي نَشْرِ الْمَطْوِيِّ مِنْ فَضْلِكَ بَلَاغٌ ؟ وَإِنَّمَا يَمِيلُ إِلَى الْكَذِبِ مَنْ قَعَدَ
بِهِ الصَّدْقُ ، وَيَتَيَقَّنُ بِالصَّعِيدِ مَنْ فَاتَهُ الْمَاءُ ، وَيَعْلَمُ بِالْحَقِّ مَنْ عَدِمَ الْمُتَقَيُّ
فِي الْيَقَظَةِ ؛ فَأَمَّا أَنْتَ وَقَدْ أَلْبَسَكَ اللَّهُ رِدَاءَ الْفَضْلِ ، وَأَطْلَمَكَ مِنْ مَنْبِتِ
كَرِيمٍ ، وَدَرَجَكَ مِنْ بَيْتِ ضَخْمٍ ، وَأَتَاكَ الْحِكْمَةُ ، وَفَتَقَ لِسَانُكَ بِالْبَيَانِ ،
وَأَتَرَعَ ^(٢) صَدْرُكَ بِالْعِلْمِ ، وَخَطَطَ أَخْلَاقُكَ بِالذَّمَامَةِ ، وَشَهَرَكَ بِالكَرَمِ ، وَخَفَّفَ
عَلَيْكَ التَّهْوِضَ بِكُلِّ مَا يُكْسِبُكَ الشُّكْرَ مِنَ الْقَرِيبِ وَالتَّبْعِيدِ ، وَبِكُلِّ
مَا يَدَّخِرُ لَكَ الْأَجَرَ عِنْدَ الصَّادِرِ وَالْوَارِدِ ، حَتَّى صِرْتَ كَهْفًا لِأَبْنَاءِ الرَّجَاءِ ،
وَمَقَرًّا لِبَنَى الْأَمَالِ ؛ فَبَابُكَ مَفْشُوقٌ مَزُورٌ ، وَفِنَاؤُكَ مُنْتَابٌ وَخِوَانُكَ ^(٣)
مَحْضُورٌ ، وَعِلْمُكَ مُقْتَبَسٌ ، وَجَاهُكَ مَبْذُولٌ ، وَضَيْفُكَ مُحَدَّثٌ ، وَكُتُبُكَ
مُسْتَعَارَةٌ ، وَغَدَاؤُكَ حَاضِرٌ ، وَعَسَاؤُكَ مُعْجَلٌ ، وَوَجْهُكَ مَبْسُوطٌ ، وَغَفْوُكَ
مَحْمُودٌ ، وَجِدُّكَ مَشْكُورٌ ، وَكُلُّ أَمْرٍ قَائِمٌ عَلَى النِّهَايَةِ ، وَبَالِغٌ الْغَايَةِ ، وَاللَّهُ
يَزِيدُكَ وَيَزِيدُنَا بِكَ ، وَلَا يَبْتَلِينَا بِفَقْدِ مَا أَلْفَنَاهُ مِنْكَ ، بِمَنَّةٍ وَجُودِهِ .

(١) فِي (١) : « وَانصَلب » ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(٢) فِي (١) : « وَدَع » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي (١) : « وَجَوَابُكَ » ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

الليلة التاسعة والعشرون

(١) قال الوزير — أعز الله نصره ^(١) ، وأطاب ذكركه ، وأطار صيته — ليلة : أحب أن أسمع كلاماً في قول الله عز وجل : (هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ) ، فإن هذا الإيجاز لم يُعَد في كلام البشر .

فكان من الجواب : إن الإشارة في «الأول» إلى ما بدأ الله به من الإبداع والتصوير ، والإبراز والتسكين : والإشارة في «الآخر» إلى المصير إليه في ^(٢) العاقبة على ما يجب في الحكمة من الإنشاء، والتصريف ، والإنعام والتعريف ، والهداية والتوقيف . وقد بان بالاعتبار ^(٣) الصحيح أنه عز وجل لما كان مُحجَّبا عن الأبصار ، ظهرت آثاره في صفحات العالم وأجزائه ، وحواشيه وأثنائه ^(٤) ، حتى يكون لسان الآثار داعياً إلى معرفته ، ومعرفته طريقاً إلى ^(٥) قصده ، وقصده سبباً للسكينة عنده والحظوة لديه . على أنه في احتجابه بارز ، كما أنه في بروزه مُحْتَجِب : وبيان هذا أن الحجاب من ناحية الحسن ، والبروز من ناحية القبح ، فإذا طُلب من جهة الحسن وُجِدَ محجوباً ، وإذا لُحِظ من جهة القبح وُجِدَ بارزاً ، وهاتان الجهتان ليستا له تعالى ، ولكنهما الإنسان الذي له الحسن والعقل ، فصارت بهما كالناظر من مكانين ؛ ومن نظر إلى شيء واحد من مكانين كانت نِسْبَتُهُ إلى الناظر إليه مفترقة .

(١) في (١) : « رهظه » .

(٢) في (١) : « والعاقبة » ؛ وهو تحريف .

(٣) في (١) : « الاعتبار » بقوط الباء ؛ وهو تعريف .

(٤) في (١) : « وأبناؤه » ؛ وهو تصحيف .

(٥) في (١) : « في » مكان « إلى » ؛ وهو تحريف .

وإنما شقَّ هذا الأمرُ على أكثر الناس وأختلفوا فيه ، لأنهم راموا تحقيقَ ما لا يُعَصَّرُ بالحِسن ، ولو راموا ذلك بالعقل اللَّعْضي بغيرِ شَوْبٍ من الحِسن ، لكان المَرُومُ يَسْبِقُ الرَّائِمُ ، والمطلوبُ يَلُوحُ قُبَالَةَ الطَّالِبِ مِنْ غيرِ شكٍّ [لايس ، ولا ريبَ مُوحِشٍ ، لأنه ليس في العقل والمعقول شكٌّ] . وإنما الرِّيبُ والشُّكُّ والظَّنُّ والتَّوَهُّمُ كلُّها من علائق الحِسن وتَوَابِعِ الخِلَقَةِ ، ولولا هذه العوارِضُ لَمَّا أَغْبَتْ وَجْهَ العقل ، ولا عَلَاهُ شُحُوبُ ، وَلَبِثَى عَلَى نَضْرَتِهِ وَجَمَالِهِ ^(١) وَخُسْنِهِ وَبَهْجَتِهِ . ولَمَّا كَانَ الْإِنْسَانُ مَفِيفُ ^(٢) هَذِهِ الْأَعْرَاضِ فِي الْأَوَّلِ ، صَارَ مَفِيفُ ^(٣) هَذِهِ الْأَحْوَالِ فِي الثَّانِي ، فَاسْتَعَارَ مِنَ الْعَقْلِ نُورَهُ فِي وَصْفِ الْأَشْيَاءِ الْجَسْمِيَّةِ جَهْلًا مِنْهُ وَخَطَاً ، وَاسْتَعَارَ مِنْ ظِلَامِ الْحِسن فِي وَصْفِ الْأَشْيَاءِ الرُّوحَانِيَّةِ عَجْزًا مِنْهُ وَنَقْصًا ، وَلَوْ وُفِّقَ لَوَضَعَ كُلُّ شَيْءٍ مَوْضِعَهُ وَنَسَبَهُ إِلَى شَكْلِهِ ، وَلَمْ يَرْفَعْ الْوَضِيعَ إِلَى مَحَلِّ الرَّفِيعِ ، وَلَمْ يَضَعْ الرَّفِيعَ فِي مَوْضِعِ الْوَضِيعِ .

فلَمَّا بَلَغَ الْحَدِيثُ هَذَا الْحَدَّ ، عَجِبَ الْوَزِيرُ وَقَالَ : مَا أَعْدَبَ هَذَا الْمُوَرِّدُ ! وَمَا أَعْجَبَ هَذَا الْمَشْهَدُ ! وَمَا أَبْعَدَ هَذَا الْقَصْدُ ! وَمَا أَرَى لِمَصْنُفٍ ^(٤) مِنْ الْمُوَحِّدِينَ مُتَصَرِّفًا فِي هَذَا النَّوعِ ! لِأَنَّ هَذِهِ الْعِصَابَةَ الْكَرِيمَةَ الْخُصُوصَةَ بِالْيَقِظَةِ ^(٥) .

وسأل عن جُشَمَ في أسمِ الرَّجُلِ مَا مَعْنَاهُ ؟

فكان من الجواب : إن أبا سعيد السِّيرافي الإمامَ ذَكَرَ عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ أَنَّهُ يَقَالُ : « رَجُلٌ عَظِيمُ الْجُشَمِ » ، يَعْنِي وَسَطُهُ ، وَمِنْهُ مُعْمَى جُشَمِ .

(١) في (١) : « وكاله » .

(٢) مفيف بفتح الميم في الموضعين أي موضع فيض هذه الأمراض وتلك الأحوال .

(٣) في (١) : « لصف » ؟ وهو تحريف .

(٤) في (١) : « بالثقة » .

وقال : ما الحِمْحِم ؟ وما الحَنَحْم ؟^(١) ؟ فقيل أما الحِمْحِمُ فَيَبْقَلُ يَهْبِجُ فِي أَوَّلِ الصَّيْفِ وَيَنْتَبُ فَيُؤْكَلُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ؛ وَأما الحَنَحْمُ فَيَبْقَلُ آخِرُ خَيْثٍ مُنْتَنِ الرَّيْحِ^(٢) .

وقال : فَأَرَّةُ الْمِسْكِ ، أَتَقُولُهَا بِالْهَمْزِ ؟

فكان من الجواب : حكاها أَبْنُ الْأَعْرَابِيِّ بِالْهَمْزِ .

قال : عَارِضًا الرَّجُلُ مَا يُعْقَى بِهِمَا ؟

قيل : قال أبو سعيد السَّيرَافِيُّ : هُمَا شَعْرُ خَدَّيْهِ ، وَلَوْ قُلْتُ [لِأَمْرَدٍ] : اِسْتَسْخِ عَارِضِيكَ كَانَ خَطَأً .

وقال : سَمِعْتُ الْيَوْمَ فِي كَلَامِ ابْنِ عُبَيْدٍ : لَايْثَهُ ، وَظَنَنْتُ أَنَّهُ أَرَادَ : لَاوْثَهُ مِنْ اللَّوْثِ [لَوْثٌ] الْعَامَّةُ .

فقيل : بَلَى يَقَالُ : لَايْثَهُ إِذَا تَشَبَّهَ بِاللَّيْثِ .

وقال : مَا الشَّاكِدُ ؟

فقيل : الْمُعْطَى مِنْ غَيْرِ مَكَافَأَةٍ .

قال : أَوْ تَهْمِزُ الْكَلِمَةِ^(٣) ؟

(١) كَذَا ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ فِي تَفْسِيرِ هَذَيْنِ اللَّفْظَيْنِ . وَقَالَ أَبُو حَنِيْفَةَ : الْحَمْحَمُ وَالْحَنَحْمُ وَاحِدٌ . وَقَالَ ابْنُ الْبَيْطَارِ فِي الْحَمْحَمِ بِالْهَمْزِ بِالْهَاءِ الْمَجْمُوعَةُ . هُوَ اسْمُ عَرَبِي لِنَبَاتٍ شَكَلُهُ شَكْلُ الْأَنْجُرَةِ السُّودَاءِ إِلَّا أَنَّهُ أَشَدَّ خَضَرَةً مِنْهَا وَأَغْصَانُهُ حَرٌّ كَأَغْصَانِهَا إِلَّا أَنَّهَا أَصْلَبُ . وَمَنَابِتُهُ الْوُدْيَانُ وَالْمَسَائِلُ وَعَلَيْهِ شَوْكٌ ذَقِيقٌ أَصَاقِي بِكُلِّ مَا يُلْقَى بِهِ مِنْ ثَوْبٍ أَوْ غَيْرِهِ وَلَا يُوْذَى اللَّامِسُ وَكَثِيرًا مَا تَنْتَبُ هَذِهِ النَّبَتَةُ بِظَاهِرِهَا الْفَاهِرَةِ تَحْتَ الْجَبَلِ الْأَحْمَرِ فِي مَسْبِلٍ هُنَاكَ بِالْقَرْبِ مِنْ قَلْعَةِ الْجَبَلِ . وَذَكَرَ فِي الْحَمْحَمِ بِالْمُهْمَلَاتَيْنِ . أَنَّهُ هُوَ النَّبَاتُ الْمَرْوُوفُ بِلِسَانِ الثَّوْرِ عِنْدَ أَهْلِ الشَّامِ وَدِيَارِ بَكْرِ . وَقَالَ فِي التَّعْرِيفِ بِلِسَانِ الثَّوْرِ لِأَنَّهُ نَبَاتٌ خَشَنٌ أَسْوَدٌ ، يَشْبَهُ فِي شَكْلِهِ أَلْسِنَةَ الْبَقَرِ . وَذَكَرَ فِي الْحَمْحَمِ أَنَّهُ حَمْمُهُمْ يَنْطَفُونَ بِضَمِّ الْمُهْمَلَتَيْنِ . وَفِي نَسْخَةٍ : « مَا الْجَمْحَم » بِجَمْعٍ مَكَانَ الْحَمْحَمِ بِحَاءٍ مِنْ مِهْمَلَتَيْنِ . وَالْجَمْحَمُ بِجَمْعٍ عُرُوقٌ تَشْبَهُ فِي شَكْلِهَا وَمَقْدَارِهَا عُرُوقُ الْجَزْرِ الْبَرِّي الْمَسْمُوعِ عِنْدَ أَهْلِ الشَّامِ الشَّقَاقِلِ .

(٢) يَرِيدُ بِالْكَلِمَةِ : الْمَكَافَأَةَ .

فقيل : إني لو لم أُمِرْ لكان مُفاعلةً من كَفَيْتُ .

قال : والثانية^(١) ؟ تكونُ من كَفَأْتُ الإِثْمَ . فما معناه ؟

قيل : قال أبو سعيد : كأنَّه قَلَبَ الحَالِ إليه بِالْمِثْلِ .

قال : الذَّوْدُ ، ما قَدَّرَ عَدَدَهُ مِنَ الْإِبِلِ ؟ فكان من الجواب : أَنَّ ابْنَ الْأَعْرَابِيَّ قال : الذَّوْدُ ما بَيْنَ الثَّلَاثَةِ إِلَى الْعَشْرَةِ . وإذا بَلَغَتْ الْعَشْرِينَ أَوْ قَارَبَتْ فَهِيَ قِطْعَةٌ وَصُبَّةٌ وَفِرْقَةٌ وَصِرْمَةٌ حَتَّى تَبْلُغَ الثَّلَاثِينَ وَالْأَرْبَعِينَ . ثم هِيَ حُدْرَةٌ وَعَسْكَرَةٌ وَعَجْرَمَةٌ حَتَّى تَبْلُغَ مِائَةَ . ثُمَّ هُنَيْدَةٌ . فإذا بَلَغَتْ مِائَتَيْنِ فَهِيَ خِطَرٌ^(٢) . وكذلك الثَّلَاثُمِائَةُ . فإذا بَلَغَتْ أَرْبَعِمِائَةَ فَهِيَ عَرَجٌ إِلَى الْأَلْفِ ، وَالْجَمَاعَةُ عُرُوجٌ . فإذا كَثُرَتْ عَنِ الْأَرْبَعِينَ وَالْخَمْسِينَ فَبَلَغَتْ مِائَةَ وَزَادَتْ فَهِيَ جَرْجُورٌ ، وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ جَرْجُورًا لِجَرَّاجِرِهَا وَأَصْوَاتِهَا . وقد تَسْتَعِيرُ الْعَرَبُ بَعْضَ هَذَا فَتَجْهَلُهُ فِي بَعْضٍ .

وقال : ما الْفَرْقُ بَيْنَ الْقَبْضِ وَالْقَبْضِ ؟ فقيل : الْقَبْضُ لَهُ دَرَجَتَانِ مَا كَانَ قَلِيلًا أَوْ كَثِيرًا ؛ قال ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : وَأَنْشَدَنِي الْعَامِرِيُّ لِابْنِ مَيْيَادَةَ

عَطَاؤُكُمْ قَبْضٌ وَيَحْنُ غَيْرُكُمْ وَلَلْحَفْنُ أَغْنَى لِلْفَقِيرِ مِنَ الْقَبْضِ

وقال : الْقَبْضُ بِأَطْرَافِ الْأَصَابِعِ ، وَالْقَبْضُ بِالْكَفِّ ، وَالْحَفْنُ بِالْكَفِّ وَالرَّاحَةُ إِلَى فَوْقَ مَفْتُوحَةٍ قَلِيلًا . هَذَا لَفْظُهُ .

وقال : الْإِلَّ الَّذِي هُوَ الْعَهْدُ هَلْ يَجْمَعُ ؟ فقيل : حَكَى ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ فِي

(١) ورد في كلتا النسخين قوله فقيل بعد قوله والثانية ؛ وهي زيادة من الناسخ لا ملقضى لها هنا .

(٢) في (أ) « حطرة » . وفي (ب) « حطم » ؛ وهو تحريف في كلتا النسخين .

جَمْعُهُ ، فقال : إِيَّالَ وَأَوَّلُ (١) .

وقال : آمَ الرجل ماذا ؟ فقيل : هذا على وجوه ؛ يقال : آمَ الرَّجُلُ يَوْمُ أَوَّامًا مِنَ التَّطَشُّ ؛ ويقال آمَ الرَّجُلُ يَوْمَ إِيَّامًا (٢) ، وهو الدُّخَانُ . وآمَ الرَّجُلُ يَثِمُ إِذَا بَقِيَ بغير حليمة ، والأَيْثِمُ مستعملٌ في الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ .

قال : هذا تَمَطُّ مفيد ، ويجب أن يَجْمَعَ منه جُزْءٌ أو جُزْآنٍ لِيَسْهَلَ عَلَى الطَّرْفِ الْمَجَالُ فِيهِ ، فإن الكُتُبَ الطَّوَالَ مُشْتَمِعَةٌ ، وإذا تَدَاخَلَ اللَّطِيفُ بِالْكثِيفِ وَمَا رَقَّ بِمَا غُلُظَ تَبَتَّ النَّفْسُ ، وَدَبَّ الْمَلَلُ (٣) وَالْإِنْسَانُ كَسَلَهُ مِنْ طِينِهِ ، وَنَشَاطُهُ مِنْ نَفْسِهِ ، وَالطِّينُ أَغْلَبُ مِنَ النَّفْسِ .

فكان الجواب : السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ الْأَمْرُ الْمُشْرِفُ .

قال : هَاتِ حَدِيثًا يَكُونُ مَقْطَعًا لِلوَدَاعِ ، فَإِنَّ اللَّيْلَ قَدْ عَبَسَ وَجْهَهُ ، وَجَنَحَ كَاهِلُهُ ، وَأَهْدَى إِلَى الْعَيْنِ سِنَّةً تَسْرِقُ الذَّهْنَ وَتُسَبِّحُ الرَّأْيَ .

فكان من الجواب أَنَّهُ مَرَّةٌ بِي الْيَوْمِ حَدِيثٌ يُضَارِعُ مَا جَرَى مُنْذُ لِيَالٍ فِي فَسَادِ النَّاسِ وَخَوْفِ الزَّمَانِ ، وَمَا دَهَمَ الْخَصَّ وَالْعَامَّ فِي حَدِيثِ الدِّينِ الَّذِي هُوَ التَّوَهُدُ وَالذُّعَامَةُ فِي عِمَارَةِ الدَّارَيْنِ . وَقَدْ طَالَ تَعَجُّبِي مِنْهُ ، وَصَحَّ عِنْدِي أَنَّ الدَّاءَ فِي هَذَا قَدِيمٌ ، وَالْوَجَعُ فِيهِ أَلِيمٌ .

(١) لم نجد الأول ههنا للآين بمعنى مهمل فيما راجعناه من كتب اللغة والذي وجدناه إلال كما هنا وآلال .

(٢) الإيام بالياء بمعنى الدخان أصله الواو ، ثم قلبت الواو ياء كما في كتب اللغة .

(٣) في (١) « ورت لحال » ؛ وهو تحريف في كنا السكاميين .

قال : فهات فتشيبك^(١) قد رَغَبَ شديداً ، وغَرَامُكَ^(٢) قد بَعَثَ^(٣) جديداً .
 فكان [من ذلك] الحديث أن محمد بن سلام قال فيما حَدَّثَنَا به أبو السائب
 القاضي عُثْمَةُ بنُ عُبَيْدِ اللهِ قال : حَدَّثَنَا السَّكْرِيُّ أبو سعيد قال : قال محمد بن
 سلام : سمعتُ يونسَ يقول : فَكَّرْتُ في أَمْرٍ فَأَسْمَعُوهُ . قلنا : هاتِهِ . قال : كلُّ
 من أَصْبَحَ على وَجْهِ الأَرْضِ مِنَ أَهْلِ النَّارِ إِلَّا أُمَّتُنَا^(٤) هَذِهِ ؛ وَالسُّلْطَانُ وَمَنْ
 يُطِيفُ بِهِ هَلْكَى إِلَّا قَلِيلاً ، فَإِذَا قَطَعْتَ هَذِهِ الطَّبَقَةَ حَتَّى تَبْلُغَ الشَّامَ
 فَأَكَلَهُ رَبًّا وَبَاغِيَةً وَشَرِبَهُ خَمْرٍ وَبَاعَتْهَا إِلَّا قَلِيلاً ، فَإِذَا خَلَفْتَ هَذَا الرَّمْلَ حَتَّى
 تَأْتِيَ رَمْلَ بَيْرِينَ وَأَعْلَامَ الرُّومِ فَلَا غَسْلَ مِنْ جَنَابَةٍ ، وَلَا إِسْبَاغَ وَضوءٍ ،
 وَلَا إِيْتَامَ صَلَاةٍ ، وَلَا عِلْمَ مَجْدُودٍ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 إِلَّا قَلِيلاً ؛ فَإِذَا صِرْتَ إِلَى الْأَمْصَارِ فَأَصْحَابُ هَذِهِ الْكَرَاسِيِّ^(٥) لَيْسَ مِنْهُمْ إِلَّا ذَنْبٌ
 مُسْتَعْتَرٍ^(٦) بِذَنْبِهِ ، يَحْتَلِكُ^(٧) عَنْ دِينَارِكَ وَدِرْهَمِكَ ، يَكْذِبُ ، وَيَبْخَسُ فِي الْمِيزَانِ ،
 وَيَطْلُقُ فِي الْمِكِيلِ ، إِلَّا قَلِيلاً ؛ فَإِذَا صِرْتَ إِلَى أَصْحَابِ الْفَلَائِ الَّذِينَ كَفُّوا
 التَّوَّابَةَ وَأَنْعَمَ عَلَيْهِمْ | وَجَدْتَهُمْ | يُفْسِي أَحَدُهُمْ سَكَرَانَ وَيُغْبِصُ^(٨) مَخْمُورًا ، إِلَّا
 قَلِيلاً ، وَمَعِيَ وَاللَّهِ مِنْهُمْ^(٩) قَطِيعٌ فِي الدَّارِ ، فَإِذَا صِرْتَ إِلَى قَوْمٍ لَمْ يُنْعَمْ عَلَيْهِمْ بِمَا أَنْعَمَ

(١) في (ب) « فَنَسِيكَ » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضاً .

(٢) في كلتا النسختين : « وعَرَامُكَ » بالياء ؛ وهو تحريف .

(٣) قرأ بعث جديداً ، أى بعث غراماً جديداً في نفسى . والذي في (أ) : « نَب » .

ووردت هذه الكلمة في (ب) . « دالة الحروف من القَطْع » والصواب ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٤) يريد بالأمة هنا أهل طيئته كما يدل على ذلك سياق القصة .

(٥) مستعر أى يطلب غرة الناس وغفلتهم .

(٦) في (أ) « يَحْيَلُ » ؛ وهو تصحيف .

(٧) في (أ) « فِيهِمْ » ؛ وهو تحريف .

على هؤلاء ، وهم يشتهون ما يشتهى هؤلاء ، فواحد لص ، وآخر طرار^(١) ، وآخر مستغف^(٢) إلا قليلا ، فإذا صرنا إلى أصحاب هذه السواري^(٣) ، فهذا يشهد على هذا بالكفر ، وهذا يبرأ من هذا ، والله لن لم يعمنا الله برحمته إنها للفضيحة .

فقال الوزير : لقد شرذمت النوم عن عني ، وملأت قلبي عجباً ، فإن الأمر لكما قال ، فإذا كان هذا قوله في عمره ، وشجرة الدين على نضارة أغصانها وخضرة أوراقها ، وينبع ثمارها ، فما قوله — ترى — فينا لو لحقنا ، وأدرك زماننا ، إننا لله وإننا إليه راجعون .

الليلة الثلاثون^(١)

وقال الوزير — [أدام الله أيامه] — : سراويل يذكرك أم يؤث ، ويُصرف أم لا ؟

فكان الجواب : أن علي بن عيسى حدثنا عن شيخه ابن السراج قال : سألت المبرد فقلت : إذا كان الواحد في صيغة الجمع ما يصنع | به | في الصرف

(١) في كلتا النسخين « طراز » بالزاي المعجمة في آخره ؛ وهو تصحيف سوابه ما أثبتنا والطراز بمهملتين هو الذي يشق أن تك ويسئل ما فيه ، وهو المعروف عندنا بالثقال .

(٢) يقال : استغف إذا جاء من خلفه وضربه بالعضا على قفاه ويشير إلى هؤلاء الذين يقفون في الطرق المنقطعة حتى إذا صر بهم من يظنون معه مالا ضربه من خلفه بالعضا على قفاه حتى يفقد الحس والشعور فيستلون ما معه ويهربون ؛ أو لعل سوابه مستغف بالخاء .

(٣) يريد سواري السجد وعمده . ويريد بأصحابها العلماء الذين يجلسون إلى جانبها يقرأون العلم على الناس .

(٤) يلاحظ أنه لم يرد في كلتا النسخين ما يشير إلى أنه ابتدأ ليلة جديدة ببدء الكلام السابق لهذا العنوان . وقد رأينا أن الكلام الآتي ببدء أعما وقع في ليلة جديدة غير السابقة بدليل قوله فيما تقدم : « هات حديثا يكون مقطعا للوداع » الخ .

في مثل شعره^(١) هراميل [وهذه] سراويل وما أشبهه ، قال : ألحقه بالجمع فامتنعه الصِّرف ، لأنه مثله وشبيهه .

قال : وسألتُ أحمدَ بنَ يحيى عن ذلك ، فقال : أخبرنا سلمة عن القراء قال : ألحقه بأحمد فامتنعه الصِّرف في المعرفة ، وأصرِّفه في النِّكرة حتى يكون بين الواحد والجمع فرق .

وسأل فقال : ما واحد المناخيب والمناجيب وما حكمهما ؟

فكان من الجواب : واحد للمناخيب مِنخَاب ، يُمدح به ويذم ، فإذا كان مدحاً فهو مأخوذ من النَّخب^(٢) ، وهو الاختيار ، وإذا كان ذمّاً فهو مأخوذ من النَّخبَةِ ، وهي الأست . قال : وهكذا المنجَابُ يكون مدحاً وذمّاً ، فإذا كان مدحاً فهو مأخوذ من الأنتجاب ، وهو الاختيار ، وإذا كان ذمّاً فهو مأخوذ من النَّجَب ، وهو قشرُ الشَّجر .

قال : ما معنى قولهم : امرأة عروب ؟

فكان من الجواب أن محمد بن يزيد قال -- على ما حدثنا به أبو سعيد وابن السراج عنه -- إنه من الأضداد ، وهي للمتجبية إلى زوجها ؛ وهي الفاسدة ، مأخوذ من قولهم : عَرِبَتْ مَعِدَتُهُ إذا فَسَدَتْ .

وقال : الضَّهْيَاءُ يَمْدُّ وَيُقَصِّرُ ؟

فكان من الجواب أن ابن الأعرابي قال : الذي حَصَلَتْهُ عن الأعراب

(١) في (ب) « صفة » ؛ وهو تحريف . ويقال : شعره هراميل ، إذا سقط .

(٢) في الأصل : من النخبة ، وهي الاختيار ؛ وهو تحريف صواب ما أبقنا كما في كتب اللغة إذ النخبة من قوم الجماعة المختارة ، لا من الاختيار .

أَنَّ الصَّهْبَاءَ السَّدُودَةَ هِيَ الَّتِي لَا تَحْيِضُ ^(١) ، وَأَنَّ الْقَصُورَةَ هِيَ الْيَاسْمِينُ ^(٢) ؛
وَجَمْعُ الْأَوَّلِ مُهْنَى وَجَمْعُ الْمَقْصُورِ ضَهَايَا ^(٣) .

قال : مَا مَعْنَى الْمَنْدَلِيِّ الْمَطِيرِ ؟

فكان من الجواب : أَنَّ ابْنَ الْأَعْرَابِيِّ قَالَ : هُوَ مَقْلُوبُ الْمَطَرِيِّ ^(٤) .

(٢) وقال : أَنشِدْنِي غَزَلًا ، فَأَنْشُدْتُهُ مَا حَضَرَ فِي الْوَقْتِ لِأَعْرَابِي :

أَمْرُ مَجْنُونًا عَنْ نَيْتٍ سَلَمَى وَلَمْ أَلِمْ بِهِ وَبِهِ الْغَلِيلُ
أَمْرُ مَجْنُونًا وَهَوَايَ فِيهِ وَطَرَفِي عَنْهُ مُنْكَسِرٌ كَلِيلُ
وَقَلْبِي فِيهِ مُقْتَتِلٌ فَهَلْ لِي إِلَى قَلْبِي وَقَدْ تَلَدَّ سَبِيلُ

(٣) وقال : أَحْفَظُ الْأَبْيَاتِ الَّتِي فِيهَا :

تَكْفِيهِ يَلْذُو كَيْدٌ إِنَّ أَلَمَ بِهَا مِنَ الشَّوَاءِ وَيَكْفِي شُرْبُهُ الْغَمْرُ
فَأَنْشُدَهُ ابْنَ نَبَاتَةَ ، وَذَاكَ لِأَنِّي فَتَتْ : مَا أَحْفَظُ إِلَّا هَذَا الْبَيْتَ شَاهِدًا ،
وَهُوَ لِأَعَشَى بِأَهْلَةٍ يَرْتِي الْمُنْتَشِرَ ^(٥) :

(١) وَأَيْضًا الَّتِي لَا يَبْرُزُ لَهَا نَدَى .

(٢) لَا تُجَدُّ فِيهَا وَاجْتِمَاعُهُ مِنْ كِتَابِ الْفَهْمِ أَنْ أَصْبَحَ مَقْصُورًا هُوَ الْيَاسْمِينُ كَمَا ذَكَرَ الْوُزْنُ
هَنَا . وَالَّذِي فِي الْمَنْشُورِ أَنَّ أَصْبَحَ شَجَرٍ مِنْ أَصْبَحَ ، لَا يَرَى وَغَائِقَهُ ، كَأَنَّهُ شَوْكٌ ، وَغَائِقَتُهُ
حَمْرَاءُ شَدِيدَةُ الْحُمْرَةِ ، وَوُزْنُهُ كَوُزْنِ السَّوَرِ .

(٣) فِي كُنَّا أَصْحَابُ « صِهْيَا » : وَهُوَ تَحْرِيفٌ لِأَنَّ أَحَدَ هَذَا الْجَمْعِ أَصْبَحَ مَقْصُورًا فِيهَا
رَاجِعَتَاهُ مِنْ كِتَابِ الْفَهْمِ : وَأَصْحَابُ مَا أَتَيْنَا كَمَا تَقْتَضِيهِ أَوَاعِدُ الصَّرْفِيَّةِ فَمِنْ مَا أَخْرَجَ أَلْفُ
تَأْنِيثٍ مَقْصُورَةٌ وَكَانَ عَلَى هَذَا الْوِزْنِ يَتِمُّ عَلَى فَعْلٍ يَفْتَحُ بِالْألفِ وَقَدْ نَاقَلَ بَعْضُهُمْ ، كَحَبْلٍ وَدَفْرَى .

(٤) فِي الْأَوَّلِ « إِلَى الْمَطَرِيِّ » . وَقَوْلُهُ : « إِلَى » زِيَادَةٌ مِنَ التَّنْبِيْهِ إِذِ الْمَطَرِيُّ هُوَ
الْمَقْلُوبُ إِلَى مَطِيرٍ ، وَالْمَطِيرُ مَقْلُوبٌ إِلَيْهِ . وَالْمَطَرِيُّ هُوَ الَّذِي صُيِّرَ لِإِصْنَاعِهِ مُرَابًا . وَالْمَنْدَلِيُّ :
الْعُودُ مِنَ الطَّيْبِ يَنْبُثُ بِهِ فَعْنَى الْمَنْدَلِ الطَّيْبُ أَعُودُ الرَّطْبِ .

(٥) الْمُنْتَشِرُ ، هُوَ ابْنُ وَهَبِ بْنِ سُلَيْمٍ الْبَاهِلِ . قَالَ الْأَمْدِيُّ : وَهُوَ أَخُو الْأَعَشَى لِأَنَّهُ .
وَرَوَيْتُ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ لِلدَّجَّاجِ أَخْتِ الْمُنْتَشِرِ ، وَقَدْ ذَكَرَهَا سَابِحُ خِرَاطَةِ الْأَدَبِ ، وَعِدَّةُ آيَاتِهَا
أَرْبَعَةٌ وَثَلَاثُونَ بَيْتًا فِيهَا : وَفِي شَعْرِ أَهْلَةٍ الْمَطْبُوعِ فِي أَوْرَبَا سِتَّةَ وَأَرْبَعِينَ بَيْتًا . وَقِصَّةُ
الْمُنْتَشِرِ هَذَا أَمَّا كَلَامُهُ ، فَقَدْ خُذَ مِنْ غِلْغِلَةٍ مِنْ قَدَمِهِ هَذِهِ الْمَادَّةُ الْكَلَامَةُ

إِنِّي أَتَقْنَى لِسَانٍ لَا أَسْرُهُ بِهَا مِنْ غَلَوٍ لَا عَجَبَ مِنْهَا وَلَا سُخْرُ^(١)
 فَبِتُّ مَرْتَقِيًا لِلنَّجْمِ أَزْقُبُهُ حَيْرَانَ ذَا حَذَرٍ لَوْ يَنْفَعُ الْحَذَرُ
 وَجَاشَتْ النَّفْسُ لَمَّا جَاءَ جَمْعُهُمْ وَرَاكِبٌ جَاءَ مِنْ (تَثْلِيثٍ) مُقْتَمِرٍ^(٢)
 يَأْتِي عَلَى النَّاسِ لَا يُلَوِي عَلَى أَحَدٍ حَتَّى الْتَقَيْنَا وَكَانَتْ دُونَنَا (مُضَرٌّ)
 نَمَيْتَ^(٣) مِنْ لَا تُقَبُّ الْحَيَّ جَفْنَتُهُ إِذَا الْكَوَكِبُ أَخْطَأَ نَوَّاهَا الْمَطَرُ
 مَنْ أَيْسَرَ فِي خَيْرِهِ شَرٌّ يَكْدَرُهُ عَلَى الصَّدِيقِ وَلَا فِي صَفْوِهِ كَدَرُ
 طَاوَى الْمَصِيرِ عَلَى الْقَزَاءِ مُنْصَلَّتِ بِالْقَوْمِ لَيْثَلَةٌ لَا مَاءَ وَلَا شَجَرُ^(٤)
 لَا تُنْكِرُ الْبَازِلُ الْكُومَةَ ضَرْبَتَهُ بِالْمَشْرِفِ إِذَا مَا أَجْلَوْذَ السَّفَرِ^(٥)

البياضة — وكان بنو نقيل بن عمرو بن كلاب أعداء له ، وقد رأوا مغرجه وعورته وما يطلبه به بنو الحارث بن كعب وطريقه عليهم . فسار المنتصر ، حتى إذا كان بهضب النباح أنذر بنو نقيل بني الحارث بن كعب بالنتصر ، وكان المنتصر قد أسر رجلا من بني الحارث بن كعب يقال له هند بن أسماء بن زنياع ، فسأله المنتصر أن يهدي نفسه ، فأبطأ عليه هند فقطع أذنه ثم سأله فأبطأ فقطع منه أخرى ، وقد أمسسه القوم ووضع سلاحه ، فقال هند بن أسماء : أنؤمنون مقطعا (بتشديد الطاء مكسورة) ؟ وإلهي لا أؤمسه . ثم قتله وقتل غلته . انتهى ملخصا من خزنة الأدب .
 (١) اللسان : الرسالة ، وجمه ألسن . أما اللسان بمعنى الجارحة فجمعه ألسنة . وعلو روى بتثنية الواو ، يريد أعلى نجد كما في خزنة الأدب . ووشمر أعشى بأهله المطبوع في أوروبا : « لا كذب » مكان قوله : « لا عجب » .

(٢) في رواية : « فلهم » مكان قوله : « جمهم » . ومقتمر ، أي زائر . يقال : اعتمر إذا قصد مكانا بعينه زائرا له . وتثليت : وضع بالجواز قرب مكة ، كما في ياقوت .

(٣) في كتابنا النسختين : « يعين من لا يعين » ؛ وهو تصحيف . والتصويب عن شمر أعشى بأهله المطبوع في أوروبا وخزنة الأدب . ولا تقبُّ الحيَّ جفنته ، أي أنه دائم الإطعام لقومه لا تعيب عنهم جفنته ، وهي القصعة في زمن الجذب وقلة الأمطار . والنوء : سقوط نجم في المغرب عند الفجر وظلوع نجم آخر يقابله في المشرق ، وكانت العرب تنسب الأمطار والرياح والحرب والبرد إلى الأنواء فيقولون : مطرنا بنوء كذا .

(٤) القزاء : الشدة والجهد . ومنصلت بالقوم ، أي منجرد مشعر .

(٥) في كتابنا النسختين : « المطر » ؛ وهو تبديل من الناسخ لا معنى له في هذا البيت . والتصويب عن ديوان أعشى بأهله المطبوع في أوروبا وخزنة الأدب . والبازل من النوق : التي =

وتَفَزَعُ^(١) السَّوْلُ مِنْهُ حِينَ تُبْصِرُهُ حَتَّى تَقْطَعَ فِي أَغْنَاقِهَا الْجِرَزُ
لَا يَصْغُبُ الْأَمْرُ إِلَّا رَيْثَ يَزْكِبُهُ وَكُلَّ أَمْرٍ سَوَى الْقَحْشَاءِ يَأْتِمُرُ
يَكْفِيهِ حُرَّةٌ فَلَذَانِ أَلَمَ بِهَا مِنَ الشَّوَاءِ وَيَكْفِي شُرْبُهُ الْغُمُرُ^(٢)
لَا يَتَأَرَى^(٣) لِمَا فِي الْقَدْرِ يَرْقُبُهُ وَلَا يَمُضُ^(٤) عَلَى شُرُوفِهِ الصَّغَرُ
لَا يَتَغَمَّرُ السَّاقِ مِنْ أَيْنَ وَمِنْ وَصَبٍ^(٥) وَلَا يَزَالُ^(٦) أَمَامَ الْقَسُومِ يَتَغَيَّرُ
مَهْمَنْتْ أَهْمُ الْكَشْحَيْنِ مُنْخَرِقٌ عَنْهُ الْقَمِيصُ بِسِيرِ اللَّيْلِ مُحْتَقِرُ
عِشْنَا بِذَلِكَ دَهْرًا ثُمَّ فَارَقْنَا كَذَلِكَ الرُّمَحُ ذُو الْقَعَائِنِ يَنْكَمِرُ
لَا تَأْمَنُ النَّاسُ مُمْسَاهُ وَمُصْبِحَهُ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ^(٧) وَإِنْ لَمْ يَأْتِ يُنْتَظَرُ
إِمَّا يُسِيبُكَ عَدُوٌّ فِي مُنَاوَاةٍ يَوْمًا فَقَدْ كُنْتَ تَسْتَغْفِي وَتَنْتَهَرُ

== دخلت في السنة التاسعة . والكوهاء : الناقة العظيمة . واجاوز اسفر ، أى حال وامتنع .
وفي رواية : « إذا ما اخروط » ؟ وهو بمعناه .

(١) يقول إن النياق تفزع منه مخافة أن يعقرها وتحبس جررها في أعناقها حتى تنقطع .
والجرر جمع جررة (بالكسر) ، وهى ما يجتره البعير معروف . وفي رواية : « قد تحكظم
البزل منه من مخافته » حتى تنقطع ... الخ .

(٢) الحزة : القطعة من اللحم تقطع طولاً . والفلذان : جمع فذة ، وهى انقطعة من
الكبد واللحم . والذمر : أصفر الأقداح . يقول : إنه يكفى بالليل من ملغاه وشرايه إثارة
لغيره على نفسه ، وكانت العرب كثيرا ما تتمدح بذلك .

(٣) لا يتأرى ، أى لا يتحسس ولا يتمكث .

(٤) ورد في كلا الأصلين هذان الشطران اللذان تحت هذا الرقم كل منهما مكان الآخر ؛
وهو خطأ من الناسخ صوابه ما أثبتنا نقلنا عن المصادر التى بين أيدينا . والقرسوف : طرف
الضلع . والصفر زعموا أنها دويبة تكون في البطن تمرى من به شدة جوع . وفي
كلتا النسختين : « ولا يراه » مكان قوله : « ولا يزال » ؛ وهو تحريف . ويقتصر ، أى
يقتنى ويتبع .

(٥) في رواية : « ألم به » مكان قوله : « ومن وصب » . يصفه بالصبر على السحر .

(٦) في رواية : « من كل فج ولان لم يفر » الخ .

لَوْ لَمْ تَخْنُهُ نُفَيْلٌ^(١) وَهِيَ خَائِنَةٌ أَلَمْ بِالْقَوْمِ وَزِدْ مِنْهُ أَوْ صَدَرَ
وَرَادُ حَرْبٍ شِهَابٍ يُسْتَضَاءُ بِهِ كَمَا يُضِيءُ سَوَادَ الطُّخْيَةِ الْقَمَرِ^(٢)
إِمَّا سَلَكَتْ سَبِيلًا كُنْتَ سَارِلَكُمَا فَاذْهَبْ فَلَا يُبْعِدُكَ اللَّهُ مُنْشِرِ
مَنْ لَيْسَ فِيهِ إِذَا قَاوَلْتَهُ رَهَقٌ^(٣) وَلَيْسَ فِيهِ إِذَا يَأْسَرْتَهُ عُسْرٌ^(٤)

الليلة الواحدة والثلاثون

وَجَرَى لَيْلَةَ حَدِيثُ الرَّأْيِ فِي الْحَرْبِ وَالْحَزَمِ وَالتَّيَقُّظِ وَقِلَّةِ الْأَسْهَانَةِ بِالْعَصَمِ ،
فَقَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ الْكَاتِبُ : أَنَا أَسْتَحْسِنُ كَلَامًا جَرَى أَيَّامَ الْأَمِينِ وَالْأَمُونِ ، وَذَاكَ
أَنْ عَلَى بْنِ عِيسَى بْنِ مَاهَانَ لَمَّا تَوَجَّهَ إِلَى حَرْبِ طَاهِرٍ [بْنِ الْحُسَيْنِ] مِنْ بَغْدَادَ ،
سَأَلَ قَوْمًا وَزَدُوا مِنَ الرَّأْيِ عَنْ طَاهِرٍ ، فَقَالُوا : إِنَّهُ مُجِدٌّ^(١) . فَقَالَ : وَمَا طَاهِرٌ ؟ إِنَّمَا
هُوَ شَوْكَةٌ مِنْ أَغْصَانِي ، وَشَرَارَةٌ مِنْ نَارِي ؛ ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : وَاللَّهِ مَا بَيْنَكُمْ
وَبَيْنَ أَنْ يَنْقَعِفَ أَنْفَعَاكَ الشَّجَرِ مِنَ الرِّيحِ الْعَاصِفَةِ إِلَّا أَنْ يَبْلُغَهُ عُبُورُنَا
عَقِبَةً هَهُذَا ، لِأَنَّ السُّخَالَ لَا تَقْوَى عَلَى النَّطَاحِ ، وَالثَّعَالِبُ لَا صَبْرَ لَهَا عَلَى
لِقَاءِ الْأَسُودِ ، فَإِنْ يُقِمَّ طَاهِرٌ بِمَوْضِعِهِ يَكُنْ أَوَّلَ مَعْرِضٍ لَطْفَاتِ السُّيُوفِ
وَأَسَنَةِ الرَّمَاكِ . فَقَالَ يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ [لِعَلِيٍّ] بْنِ عِيسَى : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، إِنَّ الْمَسَاكِرَ
لَا تُسَاسُ بِالتَّوَانِي ، وَالْحُرُوبَ لَا تُدَبَّرُ بِالْأَغْرِارِ ، وَإِنَّ الشَّرَارَةَ الْخَفِيَّةَ رُبَّمَا

(١) في كلتا النسختين : « لو لم تخنه » ؛ وهو تحريف . وفي رواية : « لا ستر به » *
ورد بلم بهذا الناس أو صدر . ويريد نفيل بن عمرو بن كلاب .

(٢) الطخية (بضم الطاء) : الظلمة الشديدة .

(٣) في (١) : « عاسرته » . وفي (ب) : « عاسرته » ؛ وهو تحريف في كلتا
النسختين . وما أمثنتاه هي الرواية الصحيحة في المصادر التي رجحنا إليها . والرهق بالتحريك
السكراب . وقد ورد هذا البيت في تلك المصادر في غير هذا الموضع من القصيدة .

(٤) في (١) محل ؟ ؛ وهو تحريف .

صَارَتْ ضِرَامًا ، وَالنَّهْلَةَ ^(١) من السَّيْلِ رَبَّمَا صَارَتْ بِحَرًا عَظِيمًا .

فقال ^(٢) : إِنَّمَا حَجَبَ عَلَى بَنِ عَيْسَى عَنْ وَثِيقٍ ^(٣) الرَّأْيِ هَذَا الْأَسْتَحْقَارُ
بِالْكَلَامِ ، وَالْأَقْتِدَارُ عَلَى الْإِفْظِ ، وَمَنْ صَدَّقَ فِكْرُهُ فِي طَلَبِ الرَّأْيِ النَّارِغِ ،
قَلَّ كَلَامُهُ بِالْمَذَرِّ [الضَّائِعِ] .

(٢) وقال في هذه الليلة : مَا رَأَيْتُ مِنْ يَتَّى بِإِخْصَاءٍ وَجُودٍ نَعِيمٍ وَمَوَاقِعِهَا ^(٤) .

فكان من الجواب : أَنَّ الْأَخْفَشَ قَدْ ذَكَرَ عَشْرَةَ أَوْجُهٍ ، وَهِيَ أَكْثَرُ
مَا قَدَّرَ عَلَيْهِ ، وَالتَّصْفِيحُ قَدْ دَلَّ عَلَى أَرْبَعِينَ وَجْهًا وَزِيَادَةً . قَالَ : فَمَا أَغْرَبَ ^(٥)
مَا مَرَّ بِكَ مِنْهَا ؟ فَقِيلَ : فَعِيلٌ بِمَعْنَى فَعَلَ . فَقَالَ : هَذَا وَاللَّهِ غَرِيبٌ ، فَهَاتِ لَهُ
شَاهِدًا . فَقِيلَ : يُقَالُ مَكَانٌ ^(٦) دَمِيثٌ وَدَمَثٌ ، وَيَقِينٌ وَيَقَنٌ ، وَرَصِيفٌ ^(٧)
وَرَصَفٌ ^(٨) : وَلِلْفَرَسِ الْعَتِيدِ لِلْعَدُوِّ : الْعَتَدُ : وَالنَّقِيلُ ^(٩) مِنَ الْعَدُوِّ : نَقَلَ ؛
وَالْخَيْطُ ^(١٠) مِنَ الْوَرَقِ : خَبَطَ : وَالْمَقْدِيمُ ^(١١) : قَدَّمَ ^(١٢) : وَالْبَثْرُ التَّزْيِجُ :
تَزَجَّ ، وَلِلْجَسَمِ الْغَمِيمِ : غَمِمَ .

(١) في (أ) والنهله .

(٢) فقال ، أي الوزير .

(٣) في « ب » « وَثِيقٌ » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٤) في (أ) « وَتَوَاقِعُهَا » ؛ وهو تحريف .

(٥) في (أ) « أَحْرَفَ مَا غَرِبَ مِنْهَا » ؛ وهو تحريف في مكانا كلماتين .

(٦) في الأصل : « مِنْ قَنْ » ؛ وهو تحريف سواها ؛ أثبتنا كذا في « ب » .

(٧) كذا ورد في مكانا النسختين هذه الكلمات الأربع التي تمت هذا النظم ؛ ولم نجد في
كتب اللغة التي بين أيدينا ، يفيد أنه يقال في إلفظ رصيف وقديم رصف أو قدم بالتحريك فيهما ؛
فلعل في هذه الكلمات تحريفا لم يتهدى إلى سواها بعد البحث تطويل .

(٨) النقيل : مداومة العدو وسرعة نقل القهائم .

(٩) الخيط : الذي يضرب من ورق الشجر حتى ينحات بدون أن يضر ذلك بأصل
الشجرة وفروعها .

وقال ابن الأعرابي : القَفِيل : الشُّوكُ^(١) اليابس ، والجمع قَفَلٌ^(٢) . وقال أحمد بن يحيى : هو منى بَعْدَ أى بعيد ، والبَعْد يكون للجمع^(٣) والواحد^(٤) .
فَعَجِب وقال : ينبى أن يُعْنَى بهذه الوجوه كلها . فإن^(٥) الزيادة على مثل
الأخفش ظفّرَ حسن ، وأُمْتَازَ في الفَرَاة جميل^(٦) ، وما تَفَاضَلَتْ^(٧) دَرَجَاتُ
العُلَمَاءِ إِلَّا بِتَصَفُّحِ الْآخِرِ قَوْلِ الْأَوَّلِ وأَسْتِيلَانِهِ على ما فاتهُ .

وسأل — أباَد الله عِداَهُ ، وَحَقَّقْ مُنَاهُ — وقال : هل يَسْلُمُ على أهل الذِّمَّة ؟^(٨)
وهل يُبْدَأُون ؟ فكان أبو البُخْتَرِيُّ الداودى حاضراً — فَصَكَّى أَنَّ عُمَرَ بْنَ
عَبْدِ الْعَزِيزِ سَمِلَ عَنْ هَذَا بِعَيْنِهِ ، فقال : يُرَدُّ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وَلَا بَأْسَ بَأَنَّ
يُبْدَأُوا ، لقول الله عزَّ وجلَّ : (فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ) .

وَحَكَّى فِي مَقْرِضٍ حَدِيثِ أَبِي^(٩) بَكَرٍ قَالَ : كُتِبَ مَجْنُونٌ إِلَى مَجْنُونٍ :
« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، حَفِظَكَ اللَّهُ ، وَأَبْقَاكَ اللَّهُ ، كُتِبَتْ إِلَيْكَ وَدَجَلَةٌ
نَطَقَى ، وَسُفُنُ الْمَوْصِلِ هَامِي ، وَمَا يَزْدَادُ الصَّبِيَّانِ إِلَّا شَرًّا ، وَلَا الْحَجَارَةُ إِلَّا
كَثْرَةً ، نَابِيَاكَ وَالْمَرْقَى فَإِنَّهُ شَرُّ طَعَامٍ فِي الدُّنْيَا ، وَلَا تَبْتَئْ إِلَّا وَعِنْدَ رَأْسِكَ حَجَرٌ

(١) في كتب اللغة « الشجر » . كان « الشوك » .

(٢) لاحظ أن قفلا ليس جمعا لقفيل ، بل هو جمع قفلة بفتح القاف .

(٣) نظيره في الجمع خدم جمع خادم .

(٤) شاهده قول النابغة في مدح النعمان :

تلك تلبقى النعمان إن له فضلا على الناس في الأدنى وفي البعد

بالجديك . وفي رواية : « والبعد » بضمين .

(٥) في (١) « قال » ؛ وهو تحريف .

(٦) في (١) : « فامتاز في الفرة جميل » ؛ وهو تحريف في هذه الكلمات الثلاث

سواء ما أثبتنا .

(٧) في (١) « تماضت » .

(٨) لاحظ أن هنا كلاما ساقطا من كلتا النسختين كما يظهر لنا إذ لم يتقدم ذكر

لأبي بكر هذا ولا حديث عنه .

أَوْ حَجَرَانِ ، فَإِنَّ الْآخِرَ^(١) يَقُولُ : (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) .
[وَكُتِبَتْ إِلَيْكَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً خَلْتَ مِنْ عَاشُورَاءَ سَنَةِ الْكُفَاءِ] «
قَالَ : وَكُتِبَ مَجْنُونٌ آخَرُ : « أَبْقَاكَ اللَّهُ مِنَ النَّارِ وَسُوءِ الْحِسَابِ ، وَتَقْدِيرِكَ
نَفْسِي مُوَفَّقًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ » .

قَالَ : وَكُتِبَ [مَجْنُونٌ] آخَرُ إِلَى مَجْنُونٍ مِثْلِهِ : وَهَبَ اللَّهُ لِي جَمِيعَ الْمَكَارِهِ
فِيكَ ، كَتَابِي إِلَيْكَ مِنَ الْكُوفَةِ حَقًّا حَقًّا حَقًّا ، أَفْلَأَمْي تَحْطُّ ، وَالْمَوْتُ عِنْدَنَا
كَثِيرٌ ، إِلَّا أَنَّهُ سَلِمَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، أَحْيَيْتُ^(٢) لِيَقْرِئَهُ إِعْلَامُكُمْ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .
فَضَحِكَ — أَنْحَكَ اللَّهُ سِنَّهُ — حَتَّى اسْتَلْقَى ، وَقَالَ : مَا أَلَذِي يَبْتَغِي بِنَا
هَذَا الْأَسْطِرَافَ إِذَا سَمِعْنَا بِحَدِيثِ الْمَجَانِينِ ؟

فَقَالَ ابْنُ زُرْعَةَ : لِأَنَّ الْمَجْنُونَ مُشَارِكٌ لِلْعَاقِلِ فِي الْجِنْسِ ، فَإِذَا كَانَ مِنَ
الْعَاقِلِ مَا يُنَحْسَبُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمَجْنُونِ كَرَّةً ذَلِكَ لَهُ . وَإِذَا كَانَ مِنَ الْمَجْنُونِ
مَا يُنْهَدُّ مِنَ الْعَاقِلِ تُعْجَبُ مِنْهُ ، وَالْعَاقِلُ بَيْنَ أَنْحَايِهِ ذُو عَرَضٍ وَاسِعٍ ، وَبِقَدْرِ
ذَلِكَ يَتَفَاضِلُونَ التَّفَاضُلَ الَّذِي لَا سَبِيلَ إِلَى حَصْرِهِ ، وَكَذَلِكَ الْمَجْنُونُ بَيْنَ أَهْلِهِ
ذُو عَرَضٍ وَاسِعٍ ، وَبِحَسَبِ ذَلِكَ يَتَفَاوَتُونَ التَّفَاوُتَ الَّذِي لَا مَطْمَعَ فِي تَحْصِيلِهِ ،
وَكَأَنَّ^(٣) يَبْدُرُ^(٤) مِنَ الْعَاقِلِ بَعْضُ مَا لَا يُتَوَقَّعُ إِلَّا مِنَ الْمَجْنُونِ كَذَلِكَ
يَبْدُرُ^(٥) مِنَ الْمَجْنُونِ بَعْضُ مَا لَا يُتَوَقَّعُ إِلَّا مِنَ الْعَاقِلِ . وَلَا يُعْتَدُّ بِذَلِكَ وَلَا
بِهَذَا ، أَعْنَى أَنَّ الْعَاقِلَ بِذَلِكَ الْمَقْدَارِ لَا يَرَى مَجْنُونًا ، وَالْمَجْنُونُ بِذَلِكَ الْمَقْدَارِ

(١) فِي ب « لَأَنَّ اللَّهَ » .

(٢) فِي (أ) « اجْتَنِبَ » وَهُوَ تَعْرِيفٌ .

(٣) فِي (أ) : « وَكَأَنَّ إِذَا » . وَقَوْلُهُ : « إِذَا » زِيَادَةٌ مِنَ النَّاسِخِ لَا مَعْنَى لَهَا فِي

هَذَا الْمَوْضِعِ .

(٤) فِي (أ) : « يَنْدُرُ » بِالنُّونِ فِي كَلَامِ الْمُؤَصِّفِينَ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

لا يسمّى عقلا ، وإنما اجتمعّا في النادر القليل ، لأجتماعهما في الجنس الذي يعمّهما ، والنوع الذي يفصلهما ، وفي الجملة الإنسان بما هو به حيوانٌ سبعٌ وحمار ، وبما هو [به] نفسٌ إنسان ، وبما هو به عاقلٌ نبيٌّ ومَلَكٌ ؛ وهذه الأعراض — وإن تداخلت لأنظماها في طينة واحدة — فإنها تتميز بقوة الثقل في الصورة المخلوطة إما مفارقة ، وإما مواصلة . وصرّ^(١) له في هذا الموضع كلامٌ بليغٌ تامٌّ مكشوف .

كل الجزء الثاني من كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي
 حسب تحزّنتنا والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على
 سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبليه الجزء
 الثالث من هذا الكتاب وأوله : « ثم تراه
 الحديث إلى أمر المطمئنين والطامحين »
 الخ . نأله الله المصونة
 وحسن التوفيق

(١) في الأصل : « ومن » بالنون ؛ وهو تحريف .

فهرست الأعلام

الواردة في الجزء الثاني من كتاب الإمتاع والمؤانسة

لأبي حيان التوحيدي

(١)

ابن بهلول — ١٧٣ : ١٧١ : ١٣
 ابن البيطار — ١٩٢ : ١٦
 ابن ثوبة الكاتب — ١٣٧ : ١٣٨ : ٨
 ابن الجلاء الزاهد — ٧٩ : ١
 ابن حجاج الشاعر — ١٧٢ : ٦
 ابن الحساس — ٦٦ : ٤٣
 ابن حيويه — ١٧٤ : ٤
 ابنة الحس — ٢٩ : ٥
 ابن الخلال البصري — ٥٨ : ١٦
 ابن الحار وهو الحسن بن سوار — ١٤ :
 ٣ : ٨٣ ، ١٦ : ٣٨ ، ٥
 ابن دأب — ١٤٤ : ٣
 ابن ذكوان — ١٤٥ : ٤
 ابن الراوندي — ٢٠ : ١٤
 ابن الرضى — ١٧٦ : ١
 ابن الرقاء — ١٦٩ : ٣
 ابن زرعة — ١٢ : ١٦ : ٣٨ : ٤٠ : ٢٠٤ :
 ٨
 ابن السراج — ١٩٦ : ١٣
 ابن السباك الواعظ — ٦٤ : ٢٠ : ١٢٠ :
 ١٠ : ١٢٦ : ١٣ : ١٢٧ : ١٨
 ابن سميون الصوفي — ١٧٣ : ١٣
 ابن سورين — ١٨٠ : ٦
 ابن سيرين — ٥٦ : ١
 ابن صالح — ٩٥ : ١

آدم عليه السلام — ١٢٧ : ١٥
 الأمدى الخلاوى — ١٦٩ : ١٥
 آمنة بنت وهب — ٨١ : ١٤
 إبراهيم بن آدم — ١٢٦ : ٩ : ١٧٨ :
 إبراهيم بن الجنيد — ٦٨ : ١١
 إبراهيم الخليل عليه السلام — ١٨ : ٦٩ : ٢
 إبراهيم السندى — ٦٦ : ١٢ : ٦٧ : ١
 إبراهيم بن عباس الصول — ٥٤ : ٤٤ :
 ١٤٥ : ٤
 ابن أبي طاهر — ٥٥ : ١١
 ابن أبي النوجاء — ٢٠ : ١٣
 ابن الأثير — ٧٨ : ٨
 ابن الأزرقي الجرجاني — ١٧٢ : ٥
 ابن إسحاق الطبري — ١٧٢ : ١٧
 ابن أسيد النفاذى — ٦٥ : ١١
 ابن الأعرابي — ١٠٤ : ١٢ : ١٤٦ : ٥٠ :
 ١٩١ : ١٧ : ١٩٢ : ٥ : ٥
 ١٩٣ : ١٧ : ١٩٧ : ١٣ : ١٧ : ٥
 ١٩٨ : ٤٤ : ٢٠٢ : ١٣ :
 ابن الأنباري — ٩٠ : ٥

ابن ميادة — ١٣:١٩٣
 ابن مياس — ٨:١٨١
 ابن نياة — ١٦:١٣٦، ١٧:١٧٠، ١١:١٩٨
 ابن نصر العامل — ٦:١٦٩
 ابن هندو الكاتب — ٤:١٣٥
 ابن الوراق — ١:١٧٦
 ابن الزبيدي — ١٤:١٦٦
 ابن اليقوتى — ١٦:٥٨
 ابن يوسف — ١٠:٢٦
 ابن يوسف صاحب ديوان السواد — ١٧٣:
 أبو أحمد المهرجاني — ١:٥
 أبو الأسود — ١:١١٤
 أبو إسحاق الصائبي — ٢:١٤٥
 أبو أمامة — ١٤:٩٦
 أبو أيوب الأنصاري — ١٤:١٦٢
 أبو أيوب القفطان — ٤:١٧٧
 أبو البختري لداودي — ٦:٢٠٣
 أبو بقر — ١٨:٣٥
 أبو بكر — ٩:٢٠٣
 أبو بكر الجراحي — ١٣:١٧١
 أبو بكر بن حزم — ٩:٧٢
 أبو بكر الصديق — ١٧:١٠٠
 أبو تمام — ٨:١٨١
 أبو تمام النسابوري — ١٠:١٥
 أبو الجارود = زياد بن أبي زياد
 أبو جعفر المنصور — ٦:٣٤
 أبو الحارث = شبة
 أبو الحسن البصري — ١٣:٥٣
 أبو الحسن الجراحي — ٢:١٦٨
 أبو الحسن الطامري — ٨٦:٦، ٨٤:
 ٤:٨٨، ٢٠
 أبو الحسن = علي بن هارون الزنجاني الفاضلي

ابن صبر الفاضلي — ١٣:١٧١
 ابن طرارة — ١١:١٣٤
 ابن عباس رضى الله عنهما — ١٢:٦٠، ١:٩٥
 ابن عبيد الكاتب — ١٦:١٤٦، ٩:٢، ٧:٢٠١، ٩:١٩٢
 ابن عتبة — ١٨:٩٨
 ابن حرس — ٨:١٧٨
 ابن المصفي — ١٠:١٧٥
 ابن عقيل — ٩:١٦٤
 ابن علوية — ١٤:١٦٥
 ابن عمر — ١٩:٩٨
 ابن العميد = أبو الفتح بن أبي الفضل بن العميد
 ابن العميد = أبو الفضل الكاتب
 ابن العوذى — ١١:١٧٠
 ابن الفازي (الطبيب) — ٨:١٧١
 ابن غسان البصري — ٣:١٦٩
 ابن غيلان البراز — ١٣:١٦٦
 ابن الفرات — ١١:٥٤
 ابن فهم الصوفي — ٤:١٦٦
 ابن الكرخي — ٥:١٧٦
 ابن كعب الأنصاري — ٨:١٣٥
 ابن الكلبي — ٨:٧٤
 ابن المبارك — ٩:١٢٢، ٩:٦٦
 ابن المرائي — ١١:١٤٦
 ابن مسعود — ٩:١١٩، ٩:١٠٢
 ابن معروف — ١٣:١٧٢
 ابن المنقي — ٤:١٦٦
 ابن النفق — ١٦:٢٣
 ابن مكدم — ٤:١٧٩
 ابن مكرم — ١٣:٥٤
 ابن منظور — ٢١:٦٠
 ابن موسى — ٣:١٤٤

أبو الحسن الفرضي — ١٥٥:٧
 أبو الحسين = أحمد بن يحيى بن إسحاق
 الراوندي
 أبو حنيفة الإمام — ١٢٣:٤
 أبو حنيفة القنوي — ١٩٢:١٥
 أبو حيان الفوحيدى — ٢٠٥:٦
 أبو الخير بن يعقوب — ١٤:٦
 أبو الدرداء — ٩٨:٥
 أبو ذر الغفارى — ٩٦:١٠٩، ١٢٨:٤
 ١٦٥:١٣٠، ٤:٤
 أبو زكرياء الصيرى — ٨٤:٣
 أبو زنبور — ١٨٠:٥
 أبو زيد البلخى — ١٤:٤٥، ٣٨:٢٠
 أبو السائب القاضى = عتبة بن عبيد
 أبو سعيد — ١٩٣:١٩٦، ١٣:١٣
 أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنابى القرمطى
 ٧٧:٢٦
 أبو سعيد الرقى — ١٨١:٤
 أبو سعيد الكرى — ١٩٥:٣
 أبو سعيد السمرقانى — ٢:١٢، ١٩١:٥
 ١٧:١٩٢، ٧:٧
 أبو سعيد الصائغ — ١٧٦:١٥
 أبو سفيان صخر بن حرب — ٧٣:١٦، ٧٥:١٦
 أبو سليمان المقدسى = محمد بن مسعر
 البستى
 أبو سليمان النطقى = محمد بن بهرام
 الجبستانی — ٦:٢، ١٤:٧، ١٨:٤
 ١٣:١٣، ١٨:٤١، ٢٣:١٤، ٢٤:٤
 ١٣:١٣، ٢٣:٤٤، ٢٤:٤٥، ٢٥:٢٠
 ٤٦:٣، ١٥:٤٧، ٢٠:٢٠
 ٤٦:٤، ٨٢:٤، ٨٣:٩٠
 ٦:٩١، ١٠:١٠٥، ١١:٦١
 ١٢:١٧، ١٦:١٣٢، ١٧:١١٧، ١٩:١٦٧، ٢٠:١١٧

١٥:١٣٩، ١٤:١٣٨، ١٥:١٥٣
 ١٤:١٧٤، ١٣:١٥٤، ١٢:١١٦٥
 ١٤:١٧٧
 ١٤:٥٣
 ١٤:١٧٨
 ٨:١٧٨
 ٨:١٧٩
 ١٢:١٨٢
 ٧:٣٩
 ١٣:١٧٨
 ٧:١٧٤
 ١٤:١٧٤
 ١٠:١٩، ١١:١٦، ١٢:١٥
 ١٦:٢٠، ١٧:٢١، ١٨:١٦
 ١٠:١٧٥
 ٩:١٧٧
 ١١:١٠١
 ١٤:١٧٩
 ٦:١٣٧
 ١٨:٧٧
 ٥٦:٥
 ١٩
 ١٠:١٠١
 ١٤
 ٣:١٠٥
 ١١:٥٣

الأخفش — ١٣٩ : ١٠ : ١١ و ٢٠٢ :

٣ : ٢٠٣ و ٦

أوسطوطاليس — ١٦ : ٤١ و ٤١ :

١٩ : ٨٧ ، ٦ : ٤٥

أريوس — ٣٦ : ٨ :

أسامة بن زيد — ٣٠ : ٨ و ١٤ :

الأسدي — ١٠٥ : ٣ :

أسطفانوس — ٣٦ : ١٢ :

أستقليس — ٤٥ : ٩ :

الإسكندر — ٢٢ : ١٥ : ٣٣ : ٨ :

٣٤ : ٥ : ٣٧ : ١ : ٤٦ : ٧ :

أصحمة بن أبجر النجاشي — ٩٩ : ١٦ :

الأصمعي — ٥٦ : ٤ : ٦٣ : ٩ :

أعشى بأعلة — ١٩٨ : ١٢ : ٢٢ و ٢٤ :

الأعشى — ٦٩ : ٨ :

أفلاطون — ١٦ : ٥ : ١٨ : ١٥ : ٢٠ :

٢٠ : ٣٦ : ١٤ : ٤٤ : ١١ : ٤٥ :

١٨ : ٤٦ : ١٧ : ٤٧ : ٤ : ١٨ و ٤ :

٤٩ : ٣ :

أم حبيبة بنت أبي سفيان — ٧٤ : ٩ :

أم كلثوم زوجة عمر بن الخطاب — ٨١ :

٩

الأمين (الخليفة) — ١ : ٢٠١ :

أنس بن مالك — ٦٩ : ١٠ : ٨١ : ١١ : ١٢٧ :

١٤

الأنصاري — ١٣٧ : ٨ :

الأنطاكي = أحمد بن حاتم

انكساغورس — ٣٥ : ١٠ :

الأوزاعي — ٦٨ : ٧ : ١٢٢ : ١ :

أوميروس — ٣٤ : ١٥ :

(ب)

بشينة — ١٧٦ : ١٢ :

أبو الميثاء — ٥٤ : ١٣ : ١٣٧ : ٦ :

١٤ : ١٤٤

أبو ظالم الطيب — ٢٣ : ٧ :

أبو الفتح بن أبي الفضل بن الصيد الكاتب

٣٩ : ٦ :

أبو فرعون الثاني — ٥٣ : ٧ و ٦ :

أبو الفضل بن الصيد — ١٥ : ١٤ : ٣٩ :

٢٠ و ٦

أبو مسلم الخراساني صاحب الدعوة —

٥٧ : ١٠ : ١٨١ : ١٤ :

أبو مسلم الخولاني — ١٢٤ : ٣ :

أبو موسى الأشعري — ٩٨ : ٢٠ : ٩٩ :

١

أبو نصر = مالك بن حمارة اللخمي

أبو النصر نفيس — ٨٦ : ١٤ : ٨٨ : ١١ :

٨٩ : ١٠ :

أبو نواس — ٦٠ : ٤ :

أبو هاشم بن أبي علي الجبائي — ٧٧ : ١٩ :

أبو الهذيل الملاف — ٩٠ : ٩ :

أبو هريرة — ٥٥ : ١٧ : ٩٦ : ١٢ :

٩٧ : ١١ و ٩٨ : ٩ : ١١١ : ١٠ :

١٢٠ : ١٦ : ١٢٩ : ١ :

أبو الوزير الصوفي — ١٦٧ : ٦ :

أبو يوسف — ٥٦ : ١٢ :

أبان بن سعيد بن العاص — ٧٣ : ١٧ :

أبجراط — ٤٧ : ١٤ :

إيليس — ١١٩ : ٢٠ : ١٢٤ : ٧ :

أبي بن كعب — ٣٠ : ٢ :

أحمد بن حرب — ١٢٤ : ١ :

أحمد بن حاتم الأنطاكي — ١٢٧ : ٤ :

أحمد بن محمد كاتب ركن الدولة — ١٣٥ :

١

أحمد بن يحيى — ١٩٧ : ٢٠٧ : ٣ : ١٣ :

أحمد بن يحيى بن إسحاق الراوندى — ٧٨ : ١٤ :

(ح)

حاتم الزاهد — ٦٨ : ١٤ ، ٦٩ : ٢٧ ،
١٢٠ : ١٧٥ ، ١٢٣ : ٨ ، ١٢٤ :
١٠ ، ١٢٥ : ١٤ ، ١٢٦ : ٤٤ ،
١٢٨ : ٧٤ ، ١٣٠ : ٥

حارث بن مزيد الإباضي رأس الفرقة الحارثية

٧٨ : ٢٦

حافظ — ٥٧ : ٥

حباية جارية أبي تمام — ١٨١ : ٨

حيان الأنصاري — ١٠٢ : ١٤

حبش (القال) — ١٨٠ : ٤

حباج بن هارون — ٦٥ : ١٨

الحجاج بن يوسف — ٦٤ : ٣

حذيفة — ٣١ : ١٤

الحريري الشاهد — ١٧٦ : ١٠

الحريري غلام ابن طراوة — ١١ : ٥٥

١٢ : ٦ ، ١٤ : ١٣ ، ١٧ : ٣

حسان بن ثابت — ١٠٣ : ٤

الحسن بن بهرام الجنابي = أبو سعيد

الحسن بن علي — ٦٣ : ٥٥ ، ٦٤ : ١٠

١٦٤ : ٨

حسنون المجنون — ٥٠ : ٤

الحسين بن محمد التجار رأس الفرقة التجارية

٧٨ : ١٦ ، ١٨٨ : ٢٠

الحصري — ٢٠ : ١٤

حفص بن المغيرة — ١٠١ : ١٤

الحكم بن أبي العاص — ٧٤ : ١٣

الحكم بن هشام الثقفي — ٧٤ : ٨

حلية جارية أبي عاتق الكرخي — ١٧٦ : ١٥

حزة بن عبد المطلب — ٧٥ : ١٧

البرداني — ١٦٥ : ١٣

بروع بنت واشق الأشجعية — ١٠٢ :

١١

بقار بن برد التامري — ١٨٠ : ١٣

بعر بن هارون — ٥٣ : ١٤ ، ٥٦ : ٨

بلور (جارية ابن يزيد) — ١٦٦ : ١٤

(ت)

ترف الصابئة المنسية — ١٧٠ : ١١

(ث)

ثعلب الذوي — ٥٧ : ١٦

الثوري — ١٢٣ : ١٨

ثيودسيوس — ١٥٣ : ١٤

ثيودوروس — ٤٥ : ١٠

(ج)

جامع الصيدفاني — ٥٧ : ١

جسطة — ٥٦ : ١٢ ، ٥٧ : ٨

جسي — ٥٧ : ١٠

الجراح بن عبد الله رواد — ٢٨ : ١١

١٢٥

جريح الراهب — ٩٧ : ١١ ، ١٢٥ : ١٣

جرير التامري — ٢٨ : ١

جفر بن أبي طالب — ٨١ : ٣

جفر بن محمد الصادق — ٦٣ : ٦٧ ، ٦٤ : ٧٧

١٦ : ١٣٠ ، ١٢ : ١٩٨ ، ١٦

الجلاز — ٥٨ : ٦

جندب بن مكث — ١٠٣ : ١٠

جندل بن صخر — ٢٨ : ٨

العمري صاحب حياة الحيوان — ٢٣:١٠٤
ديوجانس — ١٦:٣١ ، ٧:٣٢ ، ٣٤:٧
١٧ ، ١٩:٣٦ ، ١٠:٤٤ ، ١٠:٦٥ ، ١٠:٦٥
١٤:٤٥ ، ١٤:٥٥ ، ١٤:٤٦ ، ١٤:١١ ، ١٤:١١
٢٠:٤٨ ، ١١:٤٧

(ر)

رافع بن مكبت — ١٠:١٠٣
الراوندي = أحد بن يحيى بن إسحاق
رؤية بن المجاج — ٣:٥٧
الريسم (حاجب المنصور) — ٧:٧٦
الريسم بن خيم — ٨:٦٩
ربيعه بن عاصر بن مالك — ٨:٢٧
الرشيد — ٦:٥٨ ، ١٣:١٣٠
الرقاشي — ١:١٢٣
رقية بنت عمر بن الخطاب (رضى الله عنه)
٩:٨١
رواد = الجراح بن عبيد الله
روعة جارية ابن الرضى — ١:١٧٦

(ز)

زرادشت — ٢٣:٧٧
زريق (صانع قناع ينفذ) — ٥:١٨٠
الزعفراني (رأس الفرقة الزعفرانية) —
١٨:٧٨
زكرياء (عليه السلام) — ٢:١٨
زنجويه المحال — ١٤:١١ ، ١٤:١١
الزهرى — ٤:١٧٧
زهير بن أبي سلمى — ١٢:١٠ ، ١٢:١٠
زهير بن جذيمة — ١٦:١٥ ، ١٦:٢٨
زهير بن عمرو — ١٩:١٠١
زياد بن أبي زياد أبو الجارود (رأس الفرقة

حزة الوراق — ٤:١١
حيد بن الصيمري — ١٦:٦٢
حية بن نكلز — ٤:١٦٤

(خ)

الخاطف (الجارية المنية) — ٧:١٧٠
خالد بن أسيد — ٢٠:٥٢
خالد بن جعفر بن كلاب — ١٨:٤٢ ، ١٨:٤٢
خالد بن سعيد بن العاص — ١٦:٧٣ ،
١١:٧٤
خالد بن صفوان — ٨:١٢٠ ، ٣:٢٤
خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد — ٥:٢
٢٠
خالد بن عدى الجهوى — ٧:١٠٣
خالد الكاتب — ١٧:٥٨
خالد بن الوليد — ١١:١٠١ ، ١٤:٩٢
١٤:١٤
الخالع — ٢٠:١٣٦
خياب بن الأرت — ١٥:١٠٣
خلوب (جارية أبي أيوب النطان) —
٤:١٧٧
الخليل بن أحمد — ٢:١٤٦

(د)

دارا — ١٧:٢٢
الدارقطني — ١٦:١٦٧
داود (عليه السلام) — ١٢:١٨ ، ١٢:١٢٧
٦
دلجة الخنث — ٤:٥٩
درة البصرية (جارية أبي بكر الجراسي) —
١٧:١٧٣ ، ١٣:١٧١
الديجاء بنت وهب — ٢٣:١٩٨

السندواني ١٧٦ : ٥
 سولون — ١٩ : ٤٦
 السرياني = أبو سعيد

(ش)

شداد بن حكيم — ١٨ : ١١٩
 شريك بن عبد الله القاضي — ١٢ : ١٠٠
 و ١٤

الشمي — ٧ : ١٢٦ ، ٤ : ٥٨ ، ٢٢ : ١٤
 شملة (منقبة) — ٤ : ١٦٨
 شبيب (رأس الفرقة الصيفية) — ٢١ : ٧٧
 شبيب النخعي عليه السلام — ١٥ : ٨٠
 شقيق — ١٤ : ١٢٢ ، ٤ : ١٢١
 و ١٥

الشيبي = أبو عمرو
 شيبه أبو الحارث وهو عبد الله بن جندب
 رسول الله صلى الله عليه وسلم —
 ١٤ : ٨١

(ص)

الصابي = أبو إسحاق الكاتب
 صالح بن عبد القدوس — ١٣ : ٢٠
 صالح بن علي أبو طاهر الكرخي — ١٣ : ٢٢
 ١٠ : ١٢٦ ، ١٤
 صالح بن مسار — ١٣ : ١١٩
 صباغة النائمة يصفاد — ١ : ١٨٢
 صخر بن حرب = أبو سفيان
 الصولي = إبراهيم بن أبي العباس
 الصميرى = أبو زكرياء

الجلارودية) — ١٢ : ٧٧
 زياد الأحمدي الشاعر — ١٢ : ١٤٤
 زياد بن عبد الله الحارثي — ٤ : ٦٥
 زيد بن ربيعة — ١٣ : ٣
 زيد بن علي بن الحسين — ٢٣ : ١٨٨
 زيد بن عمر بن الخطاب — ٩ : ٨١
 زرعوس — ٤ : ٣٨ ، ١٨ : ٣٧ ، ١٢ : ٣٨
 و ٨

(س)

سالم — ١٥ : ١٦٢
 السروي — ١٤ : ١٦٥
 السري — ١٥ : ١٢ ، ٥٧
 سعيد بن جبير — ٥ : ٥٨
 سعيد بن عامر — ٨ : ١٠١
 سعيد بن عمرو الجرشي — ١٩ : ١٦٣ ،
 ١ : ١٦٤
 سعيد بن القصب — ١٧ : ٧٣
 السجاح (أبو العباس الخليفة) — ٣ : ٦٣
 سقراط — ٣ : ٣٤ ، ١٥ : ١٨ ، ٥ : ١٦
 ١٢ : ٣٦ ، ١٧ : ١٩ ، ٤٤ : ٤١
 ٦ : ٤٧ ، ١٤ : ٤٦ ، ١٤ : ٤٥
 السكري = أبو سعيد
 السلمي — ٢٠ : ١٣٥
 سلة — ٣ : ١٩٧
 سلة بن الحقيق — ١٠ : ٨ ، ٦٤
 سلمى — ٦ : ١٩٨
 سليمي — ٨ : ١٨٢
 سليمان بن أبي سعيد الحسن بن بهرام الجنابي
 ٢٩ : ٧٧
 سليمان (عليه السلام) — ٢ : ١٨
 سندس (جارية ابن يوسف صاحب ديوان
 السواد) — ٥ : ١٧٣

عبد الله بن عبيد الله بن ممر التيمي —
٢١:٥٢

عبد الله بن مسعود — ٥:١٠٣
عبد المطلب جد النبي = شعبة
عبد الملك بن مروان — ١٩:٥٢ ، ٧٠ :
٦٥٤ ، ١٤٤ : ٥٣
عبيدة — ٢ : ١٨١

عبيد الله بن جحش — ٨:٧٤
عبيد الله بن ممر التيمي — ٢١:٥٢
عتاب بن أسيد — ١٦:٧٣
عتبة بن عبيد أبو السائب الفاضل — ١٠٠ :
١١ ، ١٩٥ : ٢٢

عتبة بن المنذر السلمي — ١٢ : ٨٠
عثمان بن أبي العاص — ١:٤٤
عمرو بن الزبير — ٤:٧٠
عزير — ١١:١٢١

عطاء السدي — ٩:٦٧
عقال بن عقيل — ٩:١٦٤
عقبة السلمي — ١٢:١٠٢
عقبة بن عامر الجهني — ١:١٠١
خلوان الفخ (غلام ابن عرس) — ١٧٨ :
١٣:١٨٠ ، ٨
علوة (جارية ابن علوية) — ١٣: ١٦٥ ،
٥: ١٧٨

عليه (جارية مضية) — ١٣: ١٧٢
علي بن أبي طالب — ٣١ : ١٣ ، ٦٣ :
١٤ ، ٧٥ : ٦٥٤ ، ٧٧ : ١٣ ،
٨١ : ٩ ، ٩٥ : ٦٥٥ ، ١٨٨ :

٦
علي بن الحسن — ٣٠ : ٥
علي بن عيسى بن ماهان العائذ — ٢٠٩ :
١٤

علي بن عيسى الوزير — ١٤٥ ، ١٠٠ : ٥٤
١٤ : ١٩٦ ، ١٤

(ط)

طالوت — ١٧:٣٣
طاهر بن الحسين — ٨:٢٠١
الطبري — ١:٧٨
طيا ثاوس — ٥: ٣٧

(ظ)

ظلم — ٨: ١٤٥
ظلم جارية أبي سعيد الصائغ — ١٧٦ :
١٥

(ع)

العاص بن وائل — ١٣: ٩٥
عاصم بن مالك — ٨: ٢٧
العاصمي — ١٣: ١٩٣
العاصمي = أبو الحسن
عائشة رضي الله عنها — ٥: ٦٦
العباس بن الأحنف — ١٧٧ ، ٦: ١٤٥ ،
١٠

العباس بن الحسن العلوي — ١٤: ١٤٤
العباس الصولي — ٤ : ١٤٥ ، ٤٤ : ٥٤
العباس بن عبد المطلب — ٥: ٧٥
عبد الحميد بن عبد العزيز — ١٠: ١٢٨
عبد الحميد الكاتب — ١: ٦٣
عبد الرحمن بن عوف — ١٦ و ١٤ : ٩٢
عبد الرحمن بن مدين — ١٣: ٦٤
عبد الرازيق المجنون صاحب الكيل يباب
الطابق — ١٢: ١٦٦
عبد الله بن الجوشن الفطافي — ١١: ٢٨
عبد الله بن خالد بن أسيد — ٧٠ : ٥٢

فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم —

١٠:٨١، ٩٦:١٠

فاتق الغلام — ١:٨٦، ٨:١

فتح — ١:١٦٤

الفتح بن خالان — ٧:٥٢

الفرخسي = أبو الحسن

فضيل بن عياض — ٣:١٢٢، ١٢٨:١٢٨

١٨

فيتاغورس — ٣٢:١، ٤٥:٧

(ق)

قايوس صاحب جرجان — ١٦:١١٧

قاسم بن محمد — ١:١٢٦

قييسة بن ذؤيب — ٤:٧٠

قييسة بن الحارثي — ١٠١:١٦، ١٩٩:١٩٩

٥:١٠٢

قدامة بن جعفر — ١٤٥:١٣، ١٥٥:١٥٥

القسقاع بن عمرو — ٤:٧٥

قلم التضييعة الفنية — ٧:١٦٧

قتوة البصرية — ٦:١٧٢

(ك)

كبل البقال — ٤:١٨٠

كسرى آو شروان — ٨:٢٤

الكلمي — ١١:٢٨

الكتاني الغري — ٦:١٨٢

كتنس صوابه (ابن قيس) القامرا الإفريقي —

١٥:١٥٣، ١٥:١٥٤، ١٩:١٩

كلى بن الهدي الطبري — ١٨:٣٥

كلى بن موسى الرضا — ١٧:٧٧

كلى بن هارون الزنجاني القاضي — ١٥:٤٤

١٣:١٥٧

كمر بن أبي ربيعة — ١٤:١٧٢

كمر بن الخطاب — ٩:٦٤، ١٠:٦٦، ١٣:٧٢

١٣:٧٢، ٨:٨١، ٩٥:١١، ١٣:١٠٠

١٣:١٠٠، ١٧:١٠١، ١٠:١٣

٧٦:٤، ١٦٤:٢١، ١٦٢:٧٦

كهرو بن الإطابة — ١٢:٢٧، ٨:٢٧

كهرو بن العباس — ١:٢٧، ١:٧٤، ١٠:٩٥

٨:١٨٥، ١٣:١٢، ١١:٩٥

١٨ و

كهرو بن عبد العزيز — ٧:٢٠٣

الكمي — ١٧١:٨

كنان جارية الناطق — ٤:٦٠

كهس المسيح عليه السلام — ٩:١٠، ١٨:١٨

٣:٦٩، ١٥:٤٤، ٢:١٨

١٥:٩٩، ١٨:١٢٣، ١٢:١٢٣

١٥ و٩

كهس الوزير — ٨:١٣٤

(غ)

غالوس — ٨:٣٧

غانم — ١٥:١٦٢

الغريب الخنث — ١٢:٥٧

الغراب (ماجن) — ١:٥٩

غلام الأمراء = أبو العباس

١٢:١٨٢

(ف)

فاطمة بنت الحسين — ٥:٧٢، ٦:١٨ و

محمد النبي صلى الله عليه وسلم — ٦:٩

١٤:١٨ ، ٢:٢٦ ، ١٧:٢٩ ، ١٤:١٢

و١٥ ، ٣٠:١ ، ٢:٢٥ و٧ و٨ و١٠

و١٢ و١٣ ، ٥٤:١٧ ، ٦٦:٥

و١٩ ، ٢:٧٤ و١٠ و٧٧ ، ١٣:١٣

٧٨:٦٧ ، ٧٩:١٥ ، ٨٠:١٢

و١٤ ، ٨١:١١ و١٣ ، ٩٢:

١٠ و١٢ و١٤ و١٧ ، ٩٣:

٣ و٤ و٩ و١١ و١٢ و١٣ ، ٩٤:

١ و٢ و٣ و٨ و١٠ و١٨ ، ٩٥:

٤ و٩ و١٠ و١١ و١٢ و١٣ و١٤

و١٩ ، ٩٦:٩٧ ، ٩٨:١٢ و١٥ ، ٩٩:

١ و٢ و٣ و٨ و١٣ و١٦ و١٨ ، ١٠٠:

١٠٠ ، ٢:١٠١ و١ و٨ و١٢

و١٣ و١٨ ، ١٠٢:١ و٥ و١١

و١٢ و١٤ ، ١٠٣:٣ و٤ و٥

و٧ و١١ و١٣ و١٥ و١٦ ، ١٢٢:

٥ ، ٦ و١٢:١٢٣ ، ١٥ و١٦ ، ١٩:

١٢٩ ، ٣:١٣٥ ، ٨:١٢٢

، ١١:١٦٢ ، ١٣:١٨٨ ، ٢٥:

١٩٥ ، ٩:٢٠٥ ، ٨:

٦٥ — محمد بن تحرير

محمد بن واسع — ٢٠:١٢٠

محمد بن يحيى البرمكي — ٦:٥٨

محمد بن يزيد البرد — ١٩٦:١٣ ، ١٩٧:

١٣

المختار بن عبيد — ٧:٥٣ و١١

المدائني — ٦٨:٤

مذكورة جارية متفية — ١٨١:٤

مروة — ١١:٥٥

مرداويج الجيلي — ١١:١٥

المرزباني = أبو عبد الله

مروان بن الحكم — ١٦:٧٤

(م)

مالك بن دينار — ١٧٠:١٥ ، ١٢٩:

٩:١٢٣ ، ٢

مالك بن عباد الطائي — ١٠٣:٥

مالك بن حمارة الحمصي — ١٥٧:٣ ، ١٥٨:

٧١:٢٠

مانع — ٥٧:٤

ماني — ٧٧:٢٤

المأمون (الخليفة) — ٢٠١:٧

للبرد = محمد بن يزيد

الفلوكل (الخليفة) — ٥٢:٨

مجاهد — ٦٨:٨

محرز — ٥٧:٥

محمد بن أسلم — ١٢٤:٥

محمد بن بهرام = أبو سليمان المنطقي

محمد بن الحسن الجرجاني — ٥٢:٢

محمد بن الحسين التجار (رأس الفرقة التجارية)

صوابه الحسين بن محمد التجار

محمد بن زكرياء — ٢٢٣:٦

محمد بن سلام — ١٩٥:٣ و٢

محمد بن العباس المنقري — ١٠٠:١٢

محمد بن عيسى الملقب ببرغوث رأس الفرقة

البرغوثية — ١٨٨:٢٠

محمد بن القاسم — ١٢٦:١٨

محمد بن المرزبان — ١٠٠:١١

محمد بن مسلمة — ١١:١٢ و١١:٩٥

محمد بن مضر البليسي أبو سليمان المقدسي —

١٥:٤ ، ١١:٣ ، ١٦:١٦ —

٣١:٧

محمد بن النسكر — ١٣٠:٣

محمد بن موسى — ١٨٨:١٩

١٣ و١٤ و١٧ ، ١٦٩ : ١٦٦

ميسون بن مهران — ٤٠٤ :

ميسون بن ميسون — ٤٠٦ :

(ن)

الناظرة — ١٧٠ : ١٦٧ ، ٢٠٣ : ١٦٦

نافرة بن سمي — ١٠١ : ١٠٠

الناظري — ٤٠٦ : ٤٠١ ، ٨١ : ٣

نافع — ٩٨ : ١٦٦

نجاح الكاتب — ٦٥ : ١٨

النجاشي أصمعة بن أبيجر — ٧٤ : ١٠٠ ، ٩٧ : ٣ و ٦ و ٧ ، ٩٩ : ١٤

و ١٦

نصر — ١٦٤ : ١٠١

نصير — ٧٧ : ٩٠

نضلة — ٥٨ : ١٠٠ ، ٥٤ : ٩٠

النظام — ٩٠ : ١٢ و ٩٠

النمان بن بشير — ١٠٢ : ١٠٠ ، ١١٣ :

١٧

النمان بن النضر — ٢٠٣ : ١٦٦

نهاية (جارية) — ١٦٦ : ٤٠

النوشجاني — ١٤ : ٧

النيسابوري = أبو تمام

(هـ)

هشام — ٥٦ : ٢

هشام بن سالم — ١٠٤ : ١٢

هشام بن عبد الملك — ٦٤ : ١١٣ ، ١٤٤ : ١٦٣

١٩ ، ١٦٤ : ٢١ و ١٩

هند بن أساء بن زنياع — ١١٩٩ : ١١

هوميروس — ٤٦ : ٥

زدك — ٧٧ : ٢٤

زبد — ٥٥ : ١٤

مكوكه — ٢٠٢ : ٣٩ ، ٩٠ : ٣

مسلم (المحدث) — ١٠٢ : ٢٣

المسيح عليه السلام = عيسى

مشقة الخنث — ٥٤ : ٦٥

مضرب بن الزبير — ٥٢ : ١٩٠

مطر بن أبي الليث — ٢٠ : ١٣

مطرف بن محمد وزير سرداويج — ١٥ :

١١

معاوية بن أبي سفيان — ٦٣ : ١٥ ، ٦٤ :

١ ، ٧٤ : ١٧ و ١٨

ممن الدولة البوسني — ١٨١ : ٢٣

المطم غلام الحضري — ١٧١ : ٤

ممعمر — ١٢٠ : ١٢

المنيرة — ١٠٠ : ١٢

المنيرة بن شعبة — ١٨٥ : ١٨ و ٨

المفضل الصيرفي — ١٨٨ : ١٨

المفضل بن عمرو — ١٨٨ : ١٧

المقداد بن الأسود — ٩٥ : ٢

المقدس = محمد بن معمر اليسقي

أبو سليمان

المنصور بن وهب — ١٩٨ : ١٢ و ٢٢

و ٢٣ و ٢٥ ، ٢٠١ : ٢٣

المنصور = أبو جعفر الخليفة

منصور بن مهران — ١٢٩ : ١٥

منقاريوس — ٣٧ : ١٣ و ١٥ و ١٧

المهاجر بن أبي أمية الخزوي — ٧٣ : ١٨

المهدي الخليفة — ٣٤ : ٨ و ١٠ ، ٦٥ : ٤

المهرجاني = أبو أحمد

مهليل بن ربيعة — ٥٣ : ١٦

موسى بن جعفر الصادق — ٧٧ : ١٦ ، ١٨٨ : ١٨

موسى النبي عليه السلام — ١٨ : ٢ ، ٨٠ :

يعقوب بن أبي يعل — ١٦٢:٧٢
 يعقوب بن زكريا عليه السلام — ١٨ : ٢
 يعقوب بن عدي النصراني — ١٨ : ٦ ، ٣٨ : ١٣
 يعقوب بن علي — ١٤ : ٢٠١
 يعقوب بن مصاد — ١٢٣ : ٢ ، ١٢٥ :
 ١٦ ، ١٢٦ : ١١ ، ١٢٧ : ١
 يعقوب بن القتي — ٦ : ٦٦
 يوسف بن يعقوب : ٦٣ : ١٣

(و)

الواسطي — ١٥ : ١٧٥
 واشق الأشجبي — ١١ : ١٠٢
 وهب (هو ابن منبه) — ١٠ : ١٣٠
 وهيب بن الورد — ١٠ : ١٢٣

(ي)

ياقوت الحموي — ٢ : ١٨ و ٢٠ ، ٢٩ :
 ١٨ — ١٩ : ١٩٩

« تم فهرست الأعلام »

فهرست أسماء الأماكن

الواردة في الجزء الثاني من كتاب الإمتاع والمؤانسة
لأبي حيان التوحيدي

بيس — ٢٩:٤	(١)	الأبلة — ٨:٦٤
بين السورين — ٩:١٧١		الأبواء — ١٥:٨١
(ت)		أحد — ١٥:٩٢
تبراك — ١٩:١٥٠		الأحساء — ٩:٧٨
تثليث — ٣:١٩٩		أدى — ٤:١٠٢
ترباع — ١٦:٢		أرمينية — ٧:٩٨
تعار — ٢٠:١٩٥		أسفراين — ١٨:٥
(ج)		الإسكندرية — ٧:٥٧
		أصبهان — ١٢:١٦٩، ٢١:١٥٧
جرجان — ١٦:١١٧	(ب)	
جرش — ١٨:٧٣		باب القبابية — ٢٣:١٨٢
الجفرة — ١٩:١١٥		باب الطاق — ١٢:١٦٦، ٣:٢٦
جنازة — ١٢:٧٨، ٢٧:٧٧		البحرين — ١٧:٧٣، ٢٧:٧٧، ٧٨:١٠
جى — ١٥:١٥٧		بدر — ٢:٩٥
(ح)		البصرة — ١٣:٤، ١٠:٥٠، ٦٥:٦٥
الحبلز — ١٩:١٩٩، ١٢:٧١		١٥:١٦٩، ١٣
حجر — ١٧:٥٣		بغداد — ١٨:٣٥، ١٧:١٧٦، ٢٠:٢٠
الحديبية — ١٠:١٠٣		١٨:٢٣، ١٦:١٨٢، ٢٢:٢٢
الحرم — ٩:٧٨		١٨:٢٠١، ٨:١٨٨
حنين — ١٥:١٠٢، ١٠:٩٣		بيت الله الحرام — ٢٩:٧٧

السندية — ١٩ : ١٧٦
سوق المطن — ١٨٢ : ١٧ و ٢٢
سوق عكاظ — ١٦ : ٢٨

(ش)

شاش خراسان — ١٤ : ١٨١
الشام — ٧٧ : ١٦ ، ٨١ : ١٩ ، ١٩٢ :
٢٠
شطا — ٢١ : ١٧٩
شهرستان — ١٥٧ : ٢٢

(ص)

الصراة — ١٤ : ٥٩ و ٢١
صريفين — ٦ : ١٨٠
صفين — ١٥ : ٦٣
صماء — ١٦ : ٧٣
الصين — ١٧ : ١٠٨

(ط)

الطائف — ٢ : ٧٤

(ع)

الوراق — ٣٤ : ٧ ، ٤٨ : ١٧ ،
٢١ : ٥٩ ، ٧١ : ١٢ ، ٧٢ : ٢٠ ،
١١ : ١٣٤
عقة همدان — ٢٠ : ١٢
همدان — ١ : ٧٤

(ف)

فدك — ٢٩ : ٤ ، ٩٣ : ١ و ١٨

(خ)

خراسان — ١٥ : ١٦ ، ٦٤ : ١٣ ،
٥ : ١٨٠
خير — ٩٣ : ١٨

(د)

دار الفطن — ٦ : ١٦٧
دار الكتب المصرية — ٦٤ : ٢٢
ديق — ١٧٩ : ٢٠
دجلة — ٢٠٣ : ١٠
درب الزعفران — ١٧١ : ١٤
درب السلق — ١٦٥ : ١٤
الدهناء — ٢ : ٢١
ديار بكر — ١٩٧ : ٢٠

(ذ)

ذو الخصلة (الكعبة البمانية) — ١٩٨ : ٢٥

(ر)

الرصافة — ١٧٦ : ١٩ ، ١٨٢ : ٢٣
الري — ٢٣ : ٧ ، ٣٩ : ٦ ،
١٨ : ٧٨ ، ١٥٧ : ١٤ ، ٢٠١ : ٩

(ز)

زبالة — ١٥٦ : ١٧ و ١

(س)

سجستان — ٤٨ : ١٥

مطرق — ١٠٢٩ و٤

المغرب — ١٥:٢٢

مكة — ١٦:٧٣ ، ٧٧:٢٩ ، ١٠:٧٩ ،

١٩:١٩٩ ، ١٧:١٥٦ ، ١٦:٨١

مهرجان — ١٨:٥

مهرجان لذيق — ١٨:٥

منى — ١٢: ١٨٦

الموصل — ١١: ٢٠٣

(ن)

نجد — ١٦: ١٩٩

نجران — ١٧: ٧٣

نهر الملى — ٢٢: ١٨٢

نيسابور — ١٥: ١٥

(هـ)

هضبة النباغ — ١٥: ١٩٩

الهند — ١٢: ٦٣ ، ١٠: ١٠٨

(و)

الوراقين — ١١: ٥

(ى)

يبرين — ٨: ١٩٥

اليمامة — ١٨: ٢٩

اليمن — ١١: ٦٣ و١٢

اليهودية — ٢٢: ١٥٧

(ق)

القادسية — ٧: ١٥٧

القاهرة — ١٩: ١٩٢

قزوين — ٨: ١٦

القطيف — ٩: ٧٨

قف النخلين — ٦: ٣٠

قلعة الجبل — ١٩: ١٩٢

(ك)

الكرخ — ١٠: ٥٨ ، ٦: ١٦٦ ،

١٦٨: ٢٢ ، ١٨٠: ٤ ، ١٨٣: ٤ ،

١٧١: ٢٠

الكنبة — ٩: ٧٨

الكنبة اليمانية = ذو الخلصة

كلواذى — ١٣: ١٦٩

الكوفة — ٥٠: ٤٥ ، ٥٦: ١٩ ،

٦٤: ٢٣ ، ١٠: ١٣

(م)

ماوراء النهر — ١٨١: ٢٠

المدينة — ٤: ٧٢ ، ٨١: ١٥ ، ٩٤: ١١

١٢٨: ١٦ ، ١٦٢: ١٤ ، ١٦٧: ٦

المريد — ١٧: ٥٨

مرو — ١٤: ٧٨

المعرق — ١٦: ٢٢

مصر — ٦٣: ١٣ ، ١٧٩: ٢٠ ، ٢١: ٢١

فهرست أسماء القبائل والامم والفرق

الواردة في الجزء الثاني من كتاب الإمتاع والمؤانسة

لأبي حيان التوحيدى

بنو عدى بن النجار — ١٦ : ٨١
 بنو عقيل — ١٠ : ١٦٤
 بنو الضمر — ١٩ : ٢
 بنو فهر — ٢ : ١٠٢
 بنو كلاب — ١٤ : ١٥٦
 بنو لُحَب — ١٩ : ١٦٤
 بنو مروان — ٧ : ٧٣
 بنو نغيل بن عمرو بن كلاب — ١ : ١٩٩
 ١٧ : ٢٠١
 بنو هاشم — ٥ : ٧٤ ، ٦ : ٧٣
 البهشية — ١٩ : ٧٧

(ت)

تميم — ١٩ : ١٧١

(ج)

الجارودية — ١٢ : ٧٧
 الجبائية — ١٨ : ٧٧
 الجبيرة — ٢١ : ٧٨
 جهم — ١٨ : ١٩١
 جهينة — ٢٥ : ٢٧

(١)

آل أبي طالب — ٣ : ٧٣
 آل النبي محمد صلى الله عليه وسلم —
 ٨ : ٢٠٥ ، ٣ : ١٧٦ ، ١٣ : ٧٢
 الإباضية — ٢٦ : ٧٨
 الاثنا عشرية — ١٥ : ٧٧
 أشجع — ١٠ : ١٠٢
 الأشجعية — ١٠ : ٧٧
 الأشعرية — ١٨ : ٧٧
 الإماميون — ١٧ و ١٠ : ١٨٨
 الأنصار — ٣٠ : ٦ و ١١ و ١٥ ،
 ٥ : ٩٩
 أهل الذمة — ٥ : ٢٠٣
 أهل السنة — ١٦ : ٧٨ ، ٢٢ و ٢٠ : ٧٧

(ب)

البرغوثيون — ٩ : ١٨٨
 بنو إسرائيل — ١٣ : ١٢٤
 بنو أمية — ١٨ و ٧ : ٧٣
 بنو تغلب — ١٤ : ٦٣
 بنو الحارث بن كعب — ١١ : ١٩٩
 بنو هاشم — ١٥ و ١٠ : ٩٤
 بنو عبد مناف — ٢ : ١٠٢

الشيعة — ٩ : ١٢ ، ١٥ : ١٠ ، ٧٧ :
٨ ، ١٨٨ : ١١ و ١٧

(ص)

الصابئون — ١٤ : ٥
صحابه رسول الله صلى الله عليه وسلم —
٧٧ : ١٣
الصدق — ٧٤ : ١
الصوفية — ١٥٥ : ١٦ ، ١٧١ : ٤

(ط)

الطيرون — ١٨٨ : ٨
طى — ٧٨ : ٢ ، ٢٩ : ٤

(ظ)

الظاهرية — ٧٨ : ٢٤

(ع)

الجبم — ٧٦ : ١٣ و ١٣٦
العرب — ٢٧ : ١٠ و ١٤ ، ٧٧ : ٢٧ ،
٩٤ : ١٥ ، ١١٣ : ٤ و ١٧ ،
١٣٩ : ٩ و ١١ ، ١٤٦ : ٤ ،
١٦٤ : ٢٢
الم — ١٧١ : ١٩
الموذ — ١٧٠ : ٢٣

(ف)

الفرس — ٧٧ : ٢٣
الفلاسفة — ٩ : ١٣ ، ١١ : ٨ ،
٧٧ : ٢٣

(ح)

الحارثية — ٧٨ : ٢٦
الحكام — ٢٧ : ٤ ، ٦٤ : ١٢ ،
١١٣ : ٩ ، ١١٧ : ٧ ، ١٣٦ :
١٧
الحنطيون — ١٨٨ : ٨

(خ)

الخازمية — ٧٧ : ٢٢
الخوارج — ٩ : ١٣ ، ٧٧ : ٢١

(ر)

الرافضية — ٧٨ : ٢
الراوندية — ٧٨ : ١٤
الروم — ١٣٩ : ١٤

(ز)

الزعفرانية — ٧٨ : ١٨
الزنادقة — ٧٧ : ٢٣
الفرج — ١٣٩ : ١٤
الزيدية — ١٥ : ٦ ، ٧٧ : ١٢ ، ١٨٨ :
١٠

(س)

السنينة — ٩ : ١٣

(ش)

الشعبية — ٧٧ : ٢١

المتزلة — ١٧ : ٩ ، ١٥ : ٧٨ ، ٢٧ : ٧٨
المتزلة البصرية — ١٩ : ٧٧
الفضلون — ٩ : ١٨٨
المهابة — ١٠ : ٥٠

(ن)

التاجون — ٧ : ١٦
التجارية — ٧٨ : ١٦ و ١٨ و ٧٥ ،
١٩ : ١٨٨
التحويون — ١٧ : ١٣٦
النصارى — ٩ : ١٠ ، ٥٩ ، ٧ : ٧٨ ، ٤ :
النصرية — ٨ : ٧٧
نفيل بن عمرو بن كلاب = بنو نفيل

(هـ)

المجريون — ٧ : ١٦
موازن — ٥ : ٢٨

(ي)

اليهود — ٧٨ : ٣ ، ١٦٧ : ١٤
يونان — ٨ : ٢ ، ١٨ : ١٦ و ٢٢ :
١٠ : ١٥٤ ، ١٥ : ١٥٣ ، ٩

(ق)

القدرية — ١٩ و ١٧ : ٧٨
القرامطة — ٢٣ : ٧٧
قريش — ٦٦ : ١٢ ، ٧١ : ٧ ، ٧٤ :
١٠
القطبية — ١٥ : ٧٧

(ك)

كندة — ١ : ٧٤

(ل)

اللقويون — ١٧ : ١٣٦
لهب = بنو لهب

(م)

المجوس — ٩ : ١٠ ، ٣٣ : ٣ ، ٧٨ : ٤
للرجة — ٩ : ١٢
المستركة — ٧٨ : ٢٥
المسلمون — ٧٨ : ٣
مضر — ١٩٩ : ٤

فهرست أسماء الكتب

الواردة في الجزء الثاني من كتاب الإمتاع والمؤانسة

لأبي حيان التوحيدي

(ر)

رسائل لإخوان الصفاء وخلان الوفاء —
٩ : ١٣ ، ٩ : ٥
السماء والعالم — ٨٧ : ١٠ و ١٩

(ش)

شرح القاموس = تاج العروس
شعر أعشى بأهله — ١٩٨ : ٢٤ و ٢٣٩ :
١٦

(ع)

عقد الجمان — ٧٧ : ٢٥
النقد الفريد — ٩٥ : ١٩ و ٢٠ و ٢٣ ،
١٩ : ٩٦

(ق)

القاموس المحيط — ١٩ : ٦٤ ، ٨١ : ١٧

(ل)

لسان العرب — ٢٩ : ١٨ و ١٩ ، ١٦٢ :
٢٠ ، ١٦٤ : ١٧ ، ١٩٨ : ١٥

(١٥)

(ا)

أخبار أبي نواس — ٦٠ : ٢١
الإصابة في تجريد الصحابة — ٦٤ : ١٨
الألفاظ الفارسية المربة — ٨٥ : ١٩
الامتاع والمؤانسة — ٢٠٥ : ٦

(ب)

بلوغ الأرب — ٢٨ : ١٩

(ت)

تاج العروس — ٧٨ : ١٢ ، ١٧١ : ٢٣

(ح)

حياة الحيوان — ١٠٤ : ١٥ و ٢٣ ،
١٨ : ١٠٥

(خ)

خيشة الأكوام — ١٨٨ : ٢١
خزانة الأدب — ١٩٨ : ٢٣ ، ١٩٩ :
١٦

و ١٩٠ : ٢٣
الملل والنحل — ١٨٨ : ٢١

(ن)

نهاية الأرب — ١٧٩ : ٢٤
النواميس لأفلاطون ٢٠ : ٢٠

(م)

مجم الأمثال — ١٤٨ : ١٩
المصباح المنير — ١٦٧ : ١٢
معالم الدين — ١٨٨ : ٢٢
معجم البلدان — ٧٨ : ١٢
مفردات ابن اليطار — ١٠٨ : ١٦

فهرست قوافی الآیات

الواردة فی الجزء الثانی من کتاب الإمتاع والمؤانسة

لأبی حیان التوحیدی

١٥ : ٥٣	أبا عبد الإله	الفلاة
١٢ : ١٧٥	أسيت	وردر
٦ : ١٥٣	يا رب	الحقد
١٨ : ١١٣	واسكت	بعاهد
٥ : ٦٥	أنا	جيد

(ر)

٥ : ٢٨	بل كيف	أحراراً
١ : ١٧٣	يا ذا الذي	ناراً
١٥ : ١٧٢	أنيرى	الفجر
١ : ١٩٩	إلى أنني	سخر
٧ : ١٦٨	لو أن	الكدر
٦ : ١٧٧	إذا أردت	بمتصر
٥ : ١٧٤	قد أهد	حصر
٨ : ١٨٢	يهود الصبا	الذكر
٨ : ١٨٥	وفد يتناهى	أو عمرو
٩ : ١٧٢	يا ليتنى	عمري
١٠ : ١٩٨	يكفيه	الفر
١٣ : ٢٨	شفيت	وظاهر
١ : ٢٨	رأيت	وصدور
١٧ : ٥٣	فلولا	بالذكور
٥ : ١٨١	سررت	سروراً
١ : ١٥٣	من القليل	كبير
١٢ : ٢٧	وساهى	كتير
٢ : ١١٤	لمر	عبره

(ب)

١ : ١٦٧	بالشباب	أعط
١١ : ١٧٢	فأعيا	مبين
٢٥ : ١٠٥	الكرب	أكذب
١٣ : ٦٢	جانب	وليس لنا
١٦ : ١٥٢	مجنّب	الحير

(ت)

٤ : ١٥٣	ولقاه	من
٤ : ١٦٩	بجائه	وحياة
١ : ١٧٤	شهادتي	ولو طالب
٧ : ٥٣	حجرتي	أنا
٨ : ٦٠	قوتا	زوتجوا
٥ : ٦٠	يموتا	لو

(ح)

١٧ : ١٨٦	ماسح	ولما قضينا
٩ : ١٨١	فاضح	صدونا
١ : ١٧٧	جرمنا	فيا لك

(د)

١٥ : ١٧١	والإباد	يلقى
----------	---------	------

قد يدركُ الزَّالُّ ٤ : ١٥١
أرَّوْعُ الرُّسُولُ ٦ : ١٧٨
وقال لي ما تقولُ ٦ : ١٧١
وما فلكَ وعقول ٩ : ٢٨
أمرَ الفليل ٦ : ١٩٨

(م)

ما الميشُ المدامُ ١١ : ١٨٠
أصبحتُ بالطعام ١١ : ٥٠
لست مني بسلام ١٥ : ٥٦
هب الشراء كلام ٨ : ١٦٩
لسانُ الفخ والدَّم ١١ : ١٤٤
من باعَ ندم ٢ : ١٥٣
عرفتُ كالعلم ٦ : ١٧٥
ما زال والروم ١٤ : ١٣٩
تنالُ ملو ٧ : ١٤٥
الدهرُ ولو ١٠ : ١٤٧

(ن)

ليت شعري فكَّ عاني ١٤ : ١٨٢
وحقُّ بالأمان ٣ : ١٧٦
ألا يا قوم الفؤاد ١ : ١٨١
إن كنتُ ثباتاً ٤ : ١٠٥
من سلم سلطانه ١٨ : ١٥٢
لست أنسى تنفي ١٥ : ١٧١
إن أبا موسى إذ ذن ٩ : ٥٦
لا بدَّ الحزن ٥ : ١٦٨
أبو البباس غنى ٨ : ١٧٤
يجلسُ بخلون ٩ : ١٧٣

(هـ)

تنهبُ نقصاها ٨ : ١٧٠

(س)

لاح القابس ٧ : ٢٧

(ص)

إذا خلاص ٤ : ١٧٠
عطاركم القبس ١٤ : ١٩٣

(ط)

قد يجرمُ الشاحط ٣ : ١٥٣

(ع)

ماذا لقيتُ اجتمعوا ٧ : ١٤٠
المالُ ما تزرعه ٥ : ١٥٣
أستودعُ مظلته ٦ : ١٦٦

(غ)

ربُّ سكوت أدمعُ ١٧ : ١٥٢

(ق)

أحرمُ من عصفوا ٢٠ : ٥٨
أقول لها التأتى ١٠ : ١٦٧

(ك)

لبَّ الهوى لحاكا ١ : ١٧١
فالت أوقاكا ١٢ : ١٧٦
بالوردر ظلك ١٥ : ١٦٥

(ل)

هبرنى الحال ٦ : ١٧٦

فهرست أنصاف الآيات

الواردة في الجزء الثاني من كتاب الإمتاع والمؤانسة

لأبي حيان التوحيدى

ما العلمُ الصدرُ ١١ : ١٥٠
ومن يملك اعتذرُ ٥ : ١٤٨
رُبَّ صغيرُ ٨ : ١٤٨
فنَّ الأميرُ ٩ : ١٥٠

(س)

وأكثرُ الباسرُ ١١ : ١٤٧
إنَّ للطامعِ الباسُ ٦ : ١٤٨

(ض)

ليس القلُّ براضى ١٤ : ١٤٧
وحاجةٌ لا تنقضى ١٥ : ١٤٨

(ع)

كلُّ اسمى ساجى ٣ : ١٥١
ولكنَّ أوجعُ ٩ : ١٥٢
إنَّ الشفيقَ مولعُ ١٤ : ١٥٠

(ل)

إنَّ الكريمَ ذو المالِ ١٢ : ١٥٠
المرءُ لا الحالِ ٧ : ١٤٩

(ب)

ولربما كذبه ٨ : ١٥٠
إنَّ الشجاعةَ الطبُّ ١٥ : ١٤٩
ومن يسأل مذهبهُ ١ : ١٤٩
وللمرءِ نصيبُ ١٤ : ١٥٢

(ت)

البحرُ الفراتُ ٧ : ١٥٣

(ح)

ولربِّ رياحا ٧ : ١٥٢

(د)

الموتُ العبادُ ٩ : ١٤٩
عند الأحقادُ ١٤ : ١٤٨
إذا فزع رمادُ ١٠ : ١٥٠

(ر)

إنَّ الكرامَ صبرُ ١٦ : ١٤٩

٧ : ١٤٨	يُنمى	والأحرى	١٣ : ١٥٠	الأجل	إنَّ الفرار
١٠ : ١٤٨	الحليم	ولقد يستجمل	١١ : ١٤٨	يُفعل	وإذا مضى
	(ن)			(م)	
٨ : ١٥٢	بأعنان	والحد	٩ : ١٤٨	الأقوام	ذخيرة
			١٦ : ١٤٧	وتلحا	وحسبك

استدراك

اطلع الأستاذ محمد كرد علي على الجزء الثاني من الامتاع والثوانسة بعد
طبعه فأرسل إلينا بالملاحظات الآتية .

صفحة	خطأ	صواب
٥	العَوْنِي	العوقى (كذا يرى حضرته)
١٤	الصائبون	الصائبون
١٤	ابن الخمار	ابن خمار (وكذلك يصح ما جاء فى ص ٣٨ و ٨٣)
٢٠	الحصرى	الصيترى
٢٤	باستقامنا	باستقامتنا
٣٠	حتى ترعو	حتى ترغو
٣١	شباط	شباط
٣٢	الأمراض والأغراض	الأمراض والأعراض
٤٠	بالوْفَق والخرق	بالرَفَق والخرق
٤٨	وحامسوس	حامسوس
٤٨	الدولة مقبلة	والدولة مقبلة
٥٥	مزِيد	مُزِيد (كعَدَث)
٩٣	صَيْرِبَاب	صير باب
٩٩	الكافر خب صب والمؤمن	فى الأساس : ويقال المؤمن دَعِب لَمِب والمنافق عَمِس قَطِب
	دعب لعب	

صفحة	خطأ	صواب
١٠٥	أجبن من صقر	أجبن من صِفرد (وكذلك ما ورد في الصفحة التالية ، وفي القاموس هو ابو المليح وهو طائر جبان)
١١٧	أطفأ نائرتها	أطفأ نائرتها
١٢٤	أن يكن معكم	إن لم يكن معكم
١٣٥	بالنير الخطط	بالنير الخطط
١٤٨	الموت القادح	في أمثال الميداني : ظمأ قاصح خير من رى قاصح غير ما
١٤٩	غير ما	غير ما
١٥٥	أبو الحسن الفرضي	القرضي ؟
١٧١	بين السورين	بين السورين (في الحاشية وقد وردت صحيفة في صلب الكتاب)
١٧٩	فراستی من فَراسة	فراستی من فِراسة

إلى هنا انتهت ملاحظات الأستاذ كرد علي بك

استدراكات أخرى عثرنا نحن عليها في هذا الجزء

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٦	٢	منهم	مُهم
٢٨	١٢	روّاد	روّادا
١٣٢	١٤	أبو عابد	أبو عائد
١٥٠	٩	يعدل	يُعدي

